

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم ، ومدرَك مَعَانِي المنطوق والمفهوم ،
وَمُنْشَأَ بَيَانِ الْحَقِّ وَالْمَوْهُوم ، وظاهر بديع المنثور والمنظوم .

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ يَجْزِيهِ نِعْمُهُ اعْتَرَفَ ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ وَرَدَ مَنَاهِلُ فَضْلِهِ
وَاعْتَرَفَ . وَأَشْهَدُ أَنَّهُ الرَّبُّ الرَّحْمَنُ ، الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ . وَأَشْهَدُ
أَنْ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، وَحَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ ، الَّذِي تَلَخَّصَ الدِّينُ
بَارشَادِهِ أَحْسَنَ تَلْخِصٍ ، وَتَخَلَّصَ مُتَّبِعُ هَدْيِهِ مِنَ الْجَحِيمِ أَعْظَمَ تَخْلِصٍ . فَكَانَتْ
بَعَثَتُهُ مِفْتَاحَ بَابِ الْخَيْرَاتِ ، وَالطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى مَنِهْجِ الْمَبْرَاتِ . صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْكَرَامِ ، وَصَحْبِهِ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ ، مَا غَرَبَ مَبْتَدِئُ بِيَدِيْعِ النِّظَامِ ،
وَأَعْجَبَ مُنْتَهَى بِحْسَنِ الْخَتَامِ ١١ .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ الْفَقِيرَ الْحَقِيرَ ، الْمُعْتَرِفَ بِالْعُجْزِ وَالنَّقْصِيرِ ، نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ
الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ ! وَرَضَى عَنْهُ أَنْتُمْ الرِّضْوَانُ الْمَأْكَانَ مُتَحَلِّيًا بِجَلِيَّةِ الْعَالَمَاءِ ،
مُسْتَشْعِرًا شِعَارَ الْفَضْلَاءِ ، وَبُرْدُ الشَّيْبَةِ قَشِيبِ^(١) ، وَغُصْنِ الصَّبَا رَطِيبِ ،
وَمَرْبِيعِ الْأَمَانِي خَصِيبِ^(٢) ، وَالسَّعَادَةِ تَلَحُّظِهِ عِيُونُهَا^(٣) ، وَتَتَوَارَدُ عَلَيْهِ أُبْكَارُهَا
وَعُيُونُهَا^(٤) ، لَمْ يَزَلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ وَتَأْلِيفِهِ ، وَتَرْتِيبِهِ وَتَصْنِيفِهِ ، بِقَدْرِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ

(١) البرد - بضم الباء - الثوب ، والقشيب : الجديد ، وأراد بمجدة ثوب
الشباب أنه في مقتبل العمر .

(٢) المربع : المنزل الذى يسكن فى زمن الربيع ، وخصيب : همه الغصب
ونماء الزرع ، وأراد أن آماله عظيمة واسعة المدى كثيرة .

(٣) كأنه لحظه معنى قول الشاعر :

وَإِذَا الْعَيْنَا لِحَافَتِكَ عِيُونَهَا نَمِ فَالْخَسَافُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

(٤) العيون - بضم العين - جمع عوان - بفتح العين والواو - وهى النصف
فى سنه .

عله القاصر ، وحسب ما ينفذ فيه فهمه الفار ، وكان من جملة ما حفظه من المتن ، وعلّق بخاطره من القنون ، كتاب تلخيص المفتاح ، الذى هو فى باب راحة الأرواح ، تفيد الله مؤلفه برحمته ورضوانه ! وأسكنه بحاج (١) جناته ! وفيه من الشواهد الشعرية ما يعزى (٢) للأقسمين ، وما ينسب للمولدين ، إلا أن أكثرها مجهول الأنساب ، مفعول الأحساب (٣) ، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائليه ، ونسبه إلى غير أبيه : إما لاشتباه في الأوزان ، أو تماثل في المعان ، ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحاً يشفى العليل ، أو يروى الغليل (٤) غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي سقى الله من صوب الرحمة نراه ، وأكرم منزله ومثواه ! عمل على بعضها تعليقاً لطيفاً لم يسكله ولم يخرج عن مسودته ، وكثيراً ما كانت نفسى تنازعنى للتصدي لذلك ، وأقول لها : لست هناك ، وأعلها بالمواعيد ، وهى تقرب إلى البعيد ، وتؤول لى أنه أقرب إلى من حبل الوريد ، فيقوى العزم ، ويستعمل الجزم ، ويُسعمل الأخذ بالجرم ، إلى أن آن أوانه ، وحان إتيانه (٥) فشمرت عن ساعد الاجتهاد ، واستعملت الجد في تحصيل ذلك المراد ، وسلكت فيه منهج الاختصار ، ومدرج الاختصار ، ونصيت (٦) على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم أطلع عليه بعد

(١) بحاج : جمع بحبوبة ، وهى فى الأصل وسط الدار .

(٢) يعزى : ينسب .

(٣) كذا ، والمعروف «مغفل الأحساب» أو «غفل الأحساب» بضم الغين وسكون الفاء فى الأخيرة ، وذلك لأن الفعل الثلاثى لا يعتمدى بنفسه فلا يؤخذ منه اسم المفعول .

(٤) الغليل . العطش ، أو شدته .

(٥) إبان الشئ - بكسر الهمزة وتشديد الباء - وقته .

(٦) أصله نصصت ، فقلب أحد الأمثال ياء كما فى تظنيت وتقضى ، والأصل تظننت وتقضض .

التفتيش في كتب الأدب ، والتحرى والاستقصاء في الطلب ، ومزجت فيه الجدة بالهزل ، والحزن بالسهل .

ومحنته بـ « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

فجاء بحمد الله غريب الابتداء ، عجيب الاختراع ، بديع الترتيب ، رائع وصف التركيب ، مُرَدًّا في فنّ الأدب ، كفيلاً لمن تأمله بالعجب ، وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستعمل ، أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل ؛ فهو أمنية كان الخياطُ يَتمناها ، وحاجة في نفس يَعقوب قضاها ^(١) على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مواطنها شريفة ، ودُرَّة مستخرجة من قاع البحور ، وشذرة ^(٢) تُزِين بها قلائد النحور ، وعجائب تُحلّ لها الحبا ^(٣) وغرائب يقول لها العقل السليم : مرحباً مرحباً ، ولئن خالط هذا القول هوى النفس ، أو ظنّ المغالاة به صادق الحدس

فالرّمه مَقْتُونٌ بِتَأْلِيفِهِ وَفَضَهُ فِي مَدْحِهِ غَاوِيَهُ
وَالْفَضْلُ مِنْ نَظَرِهِ أَنْ يَرَى مَا قَدْ حَوَى بِالْمَقْلَةِ الرَّاضِيَهُ
وَإِنْ يَجِدْ عَيْباً يَكُنْ سَاتِراً عَوَارُهُ بِالْمَنْةِ الْوَافِيَهُ

ومن تأمله بعين الإنصاف والرّضى ، شهد بصديق هذا الوصف وِضحته قَصِي وحين سأل الله الوصول ثانياً إلى الممالك الرومية ، لازالت من المسكارة محمية ! استوطن منها قسطنطينية العظمى ، لازالت من الله في وقاية وحجي !

(١) مأخوذ من قوله تعالى : (لا حاجة في نفس يعقوب قضاها) من الآية

٦٨ من سورة يوسف .

(٢) الشذرة : القطعة من الذهب تقع من الممدن ، أو الذؤلثة الصغيرة .

(٣) الحبا : جمع حبوة ، وهي أن تجلس وتضع بطون قدميك على الأرض وتمسك ركبتك بشوئك أو بيدك ، ومن كلامهم " بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحبا " أى أنهم إذا جلسوا هذه الجلسة أطلقوا العطايا .

إذ هي محل الكرم ، وموطن النعم ، ومحط الرجال ، ومُنْتَهَى الآمال ، ومَشْرِق السعادة ، وَفُق السيادة ، وموسم الأدباء ، وحلّة الخطباء ، ودار الإسلام ، ومقرّ العلماء الأعلام ، وتحت الملك العظيم الشأن ، ومحلّ الدولة والسلطان ، لا زالت دار الإسلام والإيمان ، ومستقر الأمن والأمان ، أما تعاقب المآوان ، بنوام حياة سلطان العالم ، وخير ملوك بني آدم ، سليمان الزمان ، وخافان العصر والأوان ، ومفخر آل عثمان ، لا يَرِح دولته مخلّدة خلود الأبرار ، في دار القرار ، وسعادته ، وبدة مسجلة الأديوار ! مادار الفلك المدار ، بتعاقب الليل والنهار . وكان من أعظم خبايا السعد ، وعطايا الجَدَّة ^(١) ، أن شملته العناية ، وحفته الرعاية ، بنظر فرد الدهر ، وواحد العصر ، وبكر عطارد ، ونادرة الفلك ، وتلجج النجم ، وغرة الزمان ، ويتنبوع الخير والإحسان ، العالم العلامة ، والخبير البحر القهامة ، جامع أشتات المفاخر ، والمنفرد بغايات المآثر ، سيدنا ومولانا سمى قاضى القضاة بتخت الملك قسطنطينية العظمى ، فهو مولى تنخفض همم الأقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعالیه ، ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساغیه ، حضرته مَلِج الجود ، ومقصد الوفود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرجال ، وجمع الأدباء ، وحلّة الشعراء ، ذوهمة مقصورة على محمد يشيده ، وإفهام يحدده ، وفاضل يصطنعه ، وخامل وضعه الدهر فيرفعه ، فاق الأقران ، وساد الأعيان ، فلا يُدانيه مدّان ، ولو كان من بني عبد المَدَّان ^(٢) ، وليس بجاريه في مضار الجود جواد ، ولا يباريه في ارتياد السيادة مُرتاد .

(١) الجد - بفتح الجيم - الحظ والبخت .

(٢) لحظ في هذه الفقرة قول حسان بن ثابت [من الوافر] :

وفد حكتنا نقول إذا رأينا لدى جسم يعد وذى بيان
كانك أبها المعطى بيساناً وجسماً من بنى عبد المدان

ما كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَالِ نَافِذًا فِيهَا ، وَلَا كُلُّ الرَّجُلِ فُحُولًا
 لَزَالَتْ آتَى بِجَمْدِ الْإِقْلَامِ مَتَلَوَّةً ، وَأَبْكَارُ الْإِفْكَارِ بِدِيحِ مَعَالِيهِ مَجْلُوءَةٌ ١
 وَحِينَ أَنَاخَ مَطَايَا قَصْدِهِ ، بِأَفْنَاءِ سَمَدِهِ ، صَادَفَ مَوْلَى حَقِّيًّا ، وَظِلًّا ضَفِيًّا
 وَمَرْتَمًا رَحِيبًا ، وَصِرْبًا خَصِيْبًا ، وَبِشَاشَةِ وَجْهِ تَسْرِ الْقُلُوبِ ، وَطَلَاقَةِ نُحَيْجٍ تَفْرِجُ
 الْكَرُوبِ ، وَتَقْفَرُ لِلدَّهْرِ مَا جَنَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ ، مَعَ مَا يُضَافُ لِلذَّكَاءِ مِنْ مَنَظَرٍ وَسِيمٍ ، وَنَجْوَى
 كَرِيمٍ ، وَخَلَائِقِ رَقَّتْ وَرَاقَتْ ، وَطَرَائِفِ عَلَّتْ وَطَاقَتْ ، وَفَضَائِلِ ضَفَّتْ مَدَارِعُهَا ،
 وَشَمَائِلِ صَفَّتْ شَارِعُهَا ، وَسُودَدَتْ تُذْنِي بِهِ عُقُودُ الْخُنَاصِرِ ، وَتُثْنِي عَلَيْهِ طَيْبُ الْعُنَاصِرِ ،
 فَجِدَ مِنْ صَبَاحِ قَصْدِهِ السُّرَى ١ ، وَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ٢ :
 إِنْ الْكَرِيمِ إِذَا قَصَدَتْ جَنَابَهُ تَلْقَاهُ طَلَقَ الْوَجْهِ رَحْبَ الْمَنْزِلِ
 وَهَاهُوَ فِي ظِلِّ عِزِّهِ رِخَى الْبَالِ ، مُتَمِيزُ الْحَالِ ، آمِنٌ مِنْ صِرْفَانِ
 الدَّهْرِ ، وَجِدْنَانِ الْقَهْرِ ، يَرْتَفِعُ فِي رِيَاضِ فَضْلِهِ ، وَيُجْرِعُ مِنْ طَلِّ جُودِهِ وَوَبْلِهِ ،
 قَدْ عَجِزَ عَنِ الشُّكْرِ لِسَانُهُ ، وَكَلَّ عَنْ رَقْمِ الْحَمْدِ بَنَانُهُ ، لَمْ يَقْدِرْ مِنْ مَغْنَى رَأْفَتِهِ ظَلَالًا
 وَلَمْ يَقِلْ لِصَيْدِحِ أَمَالِهِ انْتَجِجِي بِلَالًا ٣ ، وَبِهِ حَقُّ قَوْلِ الْقَائِلِ ، مِنْ الْأَوَائِلِ ٤
 وَلَمَّا انْتَجَمْنَا لَا تُذِينَ بِظِلِّهِ أَعَانَ وَمَا عَنَى ، وَمَنْ وَمَا مَنَا
 وَرَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتَرِبِينَ قَرَأَشْنَا وَرُدْنَا نَدَاهُ مُجِدِّينَ فَأَخْصَبْنَا ٥

(١) مأخوذ من قولهم وعند الصباح يحمد القوم السرى، والسرى - بضم
 السين - السير ليلا .

(٢) هذه الجملة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في أبي سفيان بن حرب .

(٣) أخذته من قول ذى الرمة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
 الأشعري [من الوافر] :

سمعت الناس ينتجعون غَاً فَقُلْتُ لِصَيْدِحِ انْتَجِجِي بِلَالًا
 وَصَيْدِحُ : اسم ناقة .

(٤) البيتان لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب الأغاني، يقولهما
 في الوزير المهلب .

(٥) وردنا - في أول البيت - فعل ماضٍ من الورود، والواو فيه من أصل =

وجه ما يقوله في المعجز عن حمده وشكره ، والله عى جوده وبره :

أَمْ وَجِبَ التَّصَبُّعُ مِنْهُ ، وَبَنَاهَا أَلِيَّةُ بَرٍّ يَشْهَدُ لَا يُكَفِّرُ
لَوْ أَصْنَعْتُ حَوَاتٍ تَبْرِيَةً لُنْتُ وَكُنْتُ بِهَا أَثْقَى عَلَيْهِ وَأَشْكُرُ
وَلَسْتُ أَوْفَى حَقِّ ذَلِكَ وَتَمَّ قِيَامًا بِحَقِّ الشُّكْرِ جَهْدِي أَفْتَمُرُ

وكان من جهة دواعي التمسع وبواعث الجهد ، أن شمل هذا التأليف نظره
الشريفة حين وصل إلى حضرة بحمد الشيف ، فظهر به إعجابا رفع من مقامه ،
ونصب فوق متن الحجرة خوافق أعلامه ، جريا على عادته النفيسة في جبر
القلوب ، وسر الميوب ، فحين طرق السمع ، خبر استحسانه تلك الجمع ،
أحب الصغير أن يخدم حضرته العلية ، وسدته السنية ، بنسخة منه لتكون
مذكرة بحال التغيير ملخام في قيد الحلية ، وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الملمات .
وعليه يكون وسيلة للانظام في سلوكه ، وذريعة إلى الانحياز إلى ملكه ،
ويلا هو أقل من أن يشاع ذكره ، أو يشاد قصره ، وكيف يهدى الرشل^(١) إلى
البحر ، أو القل إلى القطر^(٢) ، غير أن هواجس الفكر وخواطر الآمل متمسكة
في قبوله بأذيل عسى ولعل^(٣) ، والحقى قوى في الظن بشيئا لا زكية ، تلقيا بالبشر
ونسحة بنته اراضية ، وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب ، ويؤمل
أن يُسبل ستر العفو عما فيه من الميوب ، وهاهو يرفع أكل التضرع والابتهال .
إلى ذى الغضة والجلال ، أن يُبليته من ذلك . أقصى غاية الآمال ، بمنه وبمنه .

= الكلمة و در دنا ، في أول النصف الثاني من البيت من قولهم : راد
أكلًا^(١) بروده ، بمعنى طلبه ، ومنه الرائد .

(١) الرشل : الداء القليل .

(٢) القل : أضعف المطر ، والقطر : انظر المتناج .

(٣) لعل : حرف وضع في العربية للدلالة على الترجى ، وعسى : فعل جامد
مضناه الترجى أيضا ، وكأنه قد قال : متمسكة بأذيل الرجاء .

شواهد المقدمه

خامد التنافر

١ — * غَدَا يَرُهُ مُنْخَشِرَاتٍ إِلَى الْعَلَا *

قائله امرؤ القيس ، وتماهه :

* نَصَلُ الْعِثَاصِ فِي مِثْنَى وَمُرْسِلِ *

وهو من البحر الطويل ، من القصيدة المشهورة التي هي إحدى المعلقةات

السبع ، وأولها " :

قَدَا نَبَكٍ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَثَرِلِ يسقط اللوى بَيْنَ الدَّخِيلِ فَحَوَمِلِ
فَنَوْضَحَ فَالْفَرَاةُ لَمْ يَمَفُ رَسْمِهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
وَقَوَافِهَا صَحْبِي عَلَى مَطْيَبِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَمَّلِ
وَيَصْصِ خَدِيرٍ لِأَبْرَامُ خِبَاؤُهَا تَمْتَمُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ
تَجَاوَزْتُ أَخْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا عَلَى حِرَاصًا لَوْ يُسْرِثُونَ مَتَلِّبِ
إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَمَرَّصَتْ تَمْرُضُ أَتْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ
فَجَنَّتْ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ نِيَابِهَا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لَيْسَةَ الْمُنْفَضِلِ
فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حَبِيلَةً وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجِرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالُ مِرْطٍ مُرْجَلِ^(٢)
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بَنَّا بِطْنُ خَبْتِ ذِي حِفَافٍ عَقَقَلِ
هَمَّصْتُ بِفَوْدَى رَأْسِهَا قَتَايِلَتِ عَلَى هَضْبٍ الْكَشِيشِ رِيًّا الْمُخْلَخَلِ
مُهْمَمَةً بِيَضَاهُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَانِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ
نَصَدْتُ وَتَبَدَّى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَقَى بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلِ

سُتَارُ مِنْ
لَفْظَةِ أَمْرٍ
الْقَيْسِ

(١) هذه الأبيات غير متصلة في المعلقة ، وهي الأول والثاني ثم الخامس
ثم من الثالث والعشرين إلى السادس والثلاثين على التعاقب ورواية التبريزي .

(٢) في نسخ المعلقةات : * عَلَى أَثَرِنَا ذَيْلُ مِرْطٍ مُرْجَلِ *

وجيد كجيد الرِّيم ليس بفاحش إذا هي نَصَتْهُ ولا بِمَعْطَلٍ
 وفرع يزبن المَتْنِ أسودَ فاحم أثيث كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَنِّكِلِ
 وبعده البيت ، والقصيدة طويلة ، وسيأتي طَرَفُ منها في شواهد الإِنشاء
 إن شاء الله تعالى

والغداثر — جمع غَدِيرَةٍ — : الذوائب ، والاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ،
 والفعل منه لازم إن كيرت زايه ، ومنعده إن فتحت ، والنبلا : جمع عليها تأنيث
 الأعلى ، وأراد الجهات الملا ، والعِقاص : جمع عقيصة ، وهي الخصلة من الشعر
 تأخذها المرأة فتلويها ثم تعدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، والمثنى من الشبر
 وغيره : ماثنى ، والمرسل : ضده .

ومعنى البيت : أن حبيته لكثرة شعرها بعضه مرفوع وبعضه مثنى وبعضه
 مرسل وبعضه معقوص . لوى بين المثنى والمرسل .

والشاهد في البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لنقلها على اللسان
 وعُسر النطق بها .

وامرؤ القيس^(١) اسمه حُندُج بن حُجر بن عمرو المقصور^(٢) ، سُمي بذلك لأنه ترجمة امرئ
 اقتُصر به على ملك أبيه حندج^(٣) والحنديج في اللغة : رَملة طيبة تُنبِت أُلواناً .
 وأمه فاطمة — وقيل تملك^(٤) — بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومُهمل ،

(١) لامرئ القيس ترجمة في الأغاني (٨ - ٦٢) وفي الشعراء لابن قتيبة
 (٣٧) وطبقات الجحى (١٥) .

(٢) في الشعراء لابن قتيبة والأغاني « امرؤ القيس بن حجر بن حمر بن الحارث
 ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور » وفي طبقات الجحى
 « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو
 ابن معاوية بن الحارث بن يرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة » .
 (٣) كذا في أصول هذا الكتاب ، والصواب « حجر » كافي الشعراء لابن
 قتيبة والأغاني .

(٤) وقع في الأصول « تملك » وهو خطأ تصويبه عن الأغاني (٨ - ٦٣ بلاق) ثم

وكية امرئ القيس : أبو وهب ، وأبو الحرث^(١) ويلقب فبالقروح لقوله
 [من الطويل :
 وَتَمَّتْ قَرْحًا دَابًّا مَرْجِيَّةً لِّلْ مَنَابِقِ تَحُولُنْ أَبُوسَا
 وَيَلْبَسُ لَدُنَّهِ أَيْصًا قَوْلُهُ مِنْ السُّقُوبِ :
 • أَذُودُ تَحُولُنْ عَنِّي ذِيْلًا •

ويقول : انك الضَّيْلُ ، وسعى امرئ القيس رجل الشدة ، والقيس في
 اللغة : الشدة ، وقيل : القيس اسم صنم ، ولما كان الأصمى يكره أن يروى
 قوله • يلمرأ القيس فأنزل •^(٢) ويرويه « يا امرأ الله فأنزل » . وهو القى روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه « أشعر الشعراء ، وقادهم إلى النار »
 وقيل في تحويله : إن المراد شعراء الجاهلية والمشركين .
 وهو أول من لطف الماتى ، ومن استوقف على الطغول وشبه النساء بالنساء
 وأنها وليتفر ، وشبه الخيل بالتيان واليصى ، وفرق بين النسيب وما سواه
 من القصبة ، وأجد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه أن أبه طرده لما قال الشعر ، وبما طرده من أجل زوجته
 هرة ، وهي أم الخوثر التي كان امرؤ القيس يُشبب بها في شعره^(٣) ، وكان
 يُدعى من قال إن اسم أمه تمك لم يقل إنها أخت الماهل ، بل قال : إنها من رَهط
 حمروين مع بكرب الزبيدي ، وقد وقع في شعر امرئ القيس ما قد يؤخذ
 منه أنه ابن تمك ، وذلك في قوله [من الطويل] :

لَا هَلْ نَأْهَى وَالْخَوَاثِرُ جَمَّةً بِأَنْ أَمْرًا الْقَيْسُ بِنَ تَمَكِّ يَبْقَرَا
 (١) ويكنى « بأزبد » أيضاً .

(٢) هذا بعض بيت من المعاقبة ، والبيت بتمامه :

تَمُولُ وَقَدْ مَلَّ الْقَيْطُ بِنَاءَهَا : غَرَّتْ بِعَيْرِي بِأَمْرٍ الْقَيْسُ فَانْزَلْ

(٣) قد صرح باسم « هرة » في عدة أبيات ، منها قوله [من الطويل] :

فَلَا تَلْهِى الصُّبُوحُ مَهْدَ هَرَّةٍ فَرَّتَا وَلَيْدًا ، وَهَلْ أَفْتَشِي شَيْئًا غَيْرَهَا

وقد صرح باسم الخوثر في أبيات منها قوله في المعاقبة [من الطويل] :

كَدْبُكَ مِنْ أُمِّ الْخَوَثَرِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَسْأَلِ

يقتدر في أحياء العرب ويستمتع صاليتهم وفؤادهم ، والعرب تطلق على القصوص
القذولن تشبهاً بالذئب ، وكان يُفبرهم ، وكان أبو ملك بنى أسد قسّمهم
عسّاً شديداً ، قبالوا على قتله ، فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال :
ضيقني صغيراً ، وحنني قتل النائر كبيراً . اليوم خمرٌ ، وغداً أمرٌ . فأرسلها
منلا ، وقيل : بل قل : اليوم قحاف ، وغداً حاف . والقحاف : من المعطو هو
شدة الشرب ، والقحاف : من قاف المأم إذا قطعها .

ثم إنه جمع جمّاً من بنى بكر بن وائل وغيرهم من صاليت العرب ، وخرج
يريد بنى أسد ، فحبرهم كلهم بمخروجه إليهم ، فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس ،
فأوقع بيني كنانة ، وكان بنو أسد قد لجأوا إليهم ، ثم ارتحلوا عنهم ، فقتلهم
قتلاً ذريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يا ثارات المأم ، قتالت عجوز منهم :
واللات أيها الملك مانحن بشرك ، وإنما ذكرك بنو أسد وقد ارتحلوا ، فرفع القتل
عنهم وقال [من الوافر] :

ألا يا لثفَ نسي إر قومهم هم كانوا الشفاء فلم يُصابوا
وقام جدمُ بيسي على وبالأشنين ما كن القلب^(١)
وأقلبن علباء جريفاً ولو أدركته صغر الوطلب^(٢)

وقيل : إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع بيني كنانة ، وقالوا له : أوقت قوم
رؤاء وظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاوله حمير^(٣) واسمه قمل ، فاستجسه

(١) في الديوان « وقام جدم بيني أبيهم » وهو الصواب ، لأن أسداً
وكنانة ابنا خزيمة ، وجدم : حطمهم ومختمهم .

(٢) أراد علباء بن الحارث الأسدي أحد قلة حجر . وجريفاً : به غصة
الحوف ، وصغر الوطلب : خلا جسمه من روحه ، كنى بذلك عن قتله .

(٣) المقاوله والإقبال : الذين يلون الملوك في المنزلة ، سموا بذلك لأن لهم
قولا نافذاً ، واحدم قيل ، بفتح فسكون .

في القيس
بأمر لايه

فَنَبِطُهُ قَوْمِلَ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
وَكُنَّا أَنْسَا قَبْلَ غَزْوَةِ قَوْمِلَ وَرَثْنَا الْغَنَى وَالْجَدَّ أَكْبَرَ أَكْبَرًا
نَحْمُ خَرَجَ إِلَى قَيْصَرَ بَعْدَ أَنْ أَوْدَعَ أَدْرَاعَهُ وَكَرَاعَهُ السَّمُومَ بْنَ عَادِيَاءَ ،
فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

بِكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ ذُونَهُ وَأَيَقِنُ أَنَّنَا لَأَحْيَانٍ رِقَيْصَرَ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبِكْ عَيْنُكَ ، إِنَّمَا نَحْوُلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنَعْتَذِرُ
وَصَاحِبُهُ عَمْرُو بْنُ قَيْثَةَ الشَّاعِرِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ قَدْ طَوَى
عَنْهُ الْخَبَرَ حَتَّى جَاوَزَ الدَّرْبَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَيْصَرَ اسْتَعَاثَ بِهِ ، فَوَعَدَهُ أَنْ
يَرْفِدَهُ^(١) بِجَيْشٍ .

وَكَانَ امْرَأَتُ الْقَيْسِ جَمِيلَ الْوَجْهِ ، وَكَانَ لِقَيْصَرَ ابْنَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَأَشْرَفَتْ يَوْمًا
مِنْ قَصْرِهَا فَرَأَاهَا امْرَأَتُ الْقَيْسِ فِي دُخُولِهِ إِلَى أَبِيهَا فَتَعَلَّقَ بِهَا وَرَاسَلَهَا فَأَجَابَتْهُ إِلَى
مَا سَأَلَ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

فَقُلْتُ : بَيْنَ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(٢)
وَقِيلَ : إِنَّ أَبَاهَا زَوْجَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ إِلَى قَيْصَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
يُقَالُ لَهُ الْعَلَمَاحُ فَوُشِيَ بِهِ إِلَى قَيْصَرَ ، فَوَجَّهَ مَعَهُ جَيْشًا ، ثُمَّ أَتَبَعَهُ رَجُلًا مَعَهُ حُلَّةٌ
مَسْمُومَةٌ ، وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِحُلَّةٍ قَدْ
لَبَسَهَا لِيَكْرَهُكَ بِهَا ، وَأَدْخَلَهُ الْحَمَامَ ، فَإِذَا خَرَجَ فَالْبِسْهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا فَعَلَ تَنَفَّطَ بَدَنُهُ
وَكَانَ يُحْمَلُ فِي مَحْفَةٍ فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَقَدْ طَلَّحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا

(١) رَفَدَهُ : أَعَانَهُ وَقَوَّاهُ ، وَابَهُ ضَرْبَ .

(٢) يَسْتَشْهَدُ النِّجَاحَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَلَى جَوَازِ حَذْفِ النُّونِ بَعْدَ الْقَسَمِ إِذَا
كَانَ حَرْفُ النُّونِ « لَا » وَالنُّونُ فِعْلًا مُضَارِعًا .

وكان الطاح قبل ذلك قد عَثَّ بِأَمْرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَمَضَى بِهِ فَهَرَبَ ، فَأَرَادَ كَمَا
سعى به أَنْ يَسْمِيَ بِهِ .

ثم إن امرأ القيس لما بلغ أنقرة طُلِعَ في إبطه وأرْفَضَ عنه أصحابه ، وكان
نزوله إلى جانب جبل ، وإلى جانبه قبر لابنة بعض الملوك ، فسأل عنه فأخبره ،
فقال [من الطويل] :

أَجَارَتْنَا إِنْ أَلْطُوبَ تَنْوِبُ وَإِنِّي مُؤَيَّمٌ مَا أَلَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنْأَا غَرِيْبَانِ هُنَا وَكُلُّ غَرِيْبٍ لِلْغَرِيْبِ نَسِيبُ
فَإِنْ تَصْلِيْنِي تَسْعَدِي بِمَرَدِّي وَإِنْ تَقْطَعْنِي فَالْغَرِيْبُ غَرِيْبُ
ثم مات هنالك فدفن بأنقرة . وكان آخر ما تكلم به :^(١)
رُبَّ طَمَنَةٍ مُثْمَنَجْرَةٍ وَخُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُدْعَتَرَةٍ وَقَصِيدَةٍ مُجَبَّرَةٍ
تَبْقَى غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ

(١) اضطربت الروايات في هذه الأبيات ، فوقعت في نسخة من الشعر
والشعر لابن قتيبة هكذا :

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ وَطَمَنَةٍ مُثْمَنَجْرَةٍ
وَجَهْمَةٍ مُتَحَسِرَةٍ تَدْفِنُ غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ
ووقعت في نسخة أخرى منه هكذا :

وطمئة مسحنفرة وجفنة مثنعجرة تبقى غداً بأنقرة
وفي الأغاني :

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ وَطَمَنَةٍ مُثْمَنَجْرَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُتَحَسِرَةٍ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ
وفي لسان العرب (ثعجر) :

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْمَنَجْرَةٍ وَطَمَنَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ تبقى غداً بأنقرة
والمسحنفرة : الواسعة ، والمثمنجرة : السائلة المنسكبة ، وأصل المسحنفرة
والمثمنجرة السيل الكثير ، وتقول : ائمنجرت السحابة بقطرها ، وائمنجرت
المطر يئمنجرا .

٢ - * وفاحاً ومرئياً مسرجاً *

عامة الفرية

قائه رؤبة^(١) بن المعاج ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة أولها :
 ما هاج أشجاناً وشجواً قد شجا من طللٍ كالأنحمٍ أنهباً^(٢)
 أمسى ليلاني الرامسات مذرَجاً واتخذته الدُمجيات منابجاً^(٣)
 منازلٌ هيَّجْنَ مَنْ تَريجاً من كل ليلي قد عفونَ حيجاً^(٤)
 والسخطُ قُضاعٌ رجاءٌ من رجاء أزمانٌ أبستٌ وأضاحٌ مُفلجاً^(٥)
 أغرَ برأفاً وطرفاً أبرجاً ومثالةٌ وحجياً مرَججاً

وبعد البيت ، وبمده :

* وكذلك وعثاً إذا ترججاً *

الفاحم : الأسود ، وأراد شعراً فاحماً ، فحف الموصوف وأقام الصفة مقامه ،
 والمرسن - بفتح السين وكسرهما - الألف الذي يُشدُّ بالرسن ، ثم استعير
 لألف الإنسان ، ومُسرَجاً : مُخْتَلَفٌ في تخريمه ، قيل : من سَرَجِه تسريجاً
 بَبَجِه وحسنه ، وقيل : من قولهم « سيوفُ سُرَيجية » منسوبة إلى قَيْنٍ^(٦) يقال له

(١) لا يوجد هذه الأرجوزة في ديوان أراجيز رؤبة ، ولا في زياداته ،
 وهي في ديوان أراجيز أبيه المعاج (ص ٧ ليبسج) .

(٢) في الديوان « ما هاج أشجاناً » والأشجان : جمع شجن - بفتح الشين
 والجيم - وهو الحزن .

(٣) في أصول هذا الكتاب « أمسى لها في الرامسات » وفيها « واتخذته
 النامحات » وما أثبتناه عن الديوان هو الصواب .

(٤) في الديوان « منازل » .

(٥) في أصل الكتاب « والسخط قطع » وأثبتناه عن الديوان ، وهو
 أعرف وأشهر .

(٦) القين - بفتح فسكون - الحداد الذي يصنع السيوف .

سُرُجٍ ، شبه بها الآف في الدقة والاستواء ، وقيل : من السراج وهو قريب من قولهم « سراج وجهه » بكسر الراء - أى حسن . والزُججُ : دقة الملحجين . والمعنى : أن لهذه المرأة الموصوفة مقلّة سوداء ، وحاجباً مقلّاً مقوساً ، وشعراً أسود ، وأغافاً كالليف السريجي في دقته واستوائه ، أو كالسراج في بريقه وضيائه . والشاهد فيه : الغرابة في « مسرجاً » للاختلاف في تخريمه .

ورؤية قائل هذا البيت هو ^(١) أبو محمد (رؤية) بن العجاج ، (والمعاج لَقَبَه) واسمه عبد الله (بن رؤية) البصري النخعي السعدي ، سُمِّيَ باسم قِطْنة من الخشب يُشَبَّبُ بها الإثناء ، وهي بضم الراء وسكون الهمة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة ، وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مجيدان (في رجزهما) وكلف رؤية هذا بصيراً بالبلغه قِماً بمحوشها ^(٢) وغيرهما .

حكى يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاء شبيل بن عمرو الضبي ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بقلته ، فجلس عليه ، ثم أقبل عليه بجدته ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤوسكم عن اشتقاق اسمه فاعرفه ، يعني رؤية ، قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره قلت : لعل تظن أن معدّ بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفترّف أنتما الرؤية والرؤية والرؤية والرؤية والرؤية ؟ وأنا غلام رؤية ، فلم يحرجوا بآ ، وقام مضطرباً ، فأقبل على أبو عمرو وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيها

(١) انظر هذه الترجمة في ابن خلكان (١-٣٣٣) وكل ما فيها من زيادة

بين علامتين فهو عنه

(٢) وجد في هامش النسخة المطبوعة في بلاق مانسه « قوله وبعدها هاء ساكنة ، يعني وقفا وإلا فهي كناية مسلة تعرض لها الحركات الاعرابية » اهـ .

(٣) في الأصول « محوشها » وتصويبه عن ابن خلكان .

فعلت بما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤية ، فقال أبو عمرو :
 أَوْ سَلَطْتُ عَلَى تَقْوِيمِ النَّاسِ ؟ ثم فسر يونس ماقاله فقال : الرؤية : خيرة الابن ،
 والرؤية : قطعة من الليل ، والرؤية : الحاجة ، يقال : فلان ما يقوم بروية أهله :
 أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، والرؤية : رجاء ماء الفحل ، والرؤية بالهمز : القطعة
 التى يُشعَبُ بها الاناء ، والجميع يضم الراء وسكون الواو إلا رؤية فانه بالهمز .
 وقيل ليونس : مَنْ أَشْعُرُ النَّاسِ ؟ فقال : العجاجُ رؤىة ، فقليل له : لم نَعْنِ
 الرُّجَازَ ، قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام وأجوده أشعره ، قال
 العجاج [من الرجز] :

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَيْهِ الْفَجْرُ *

فهى نحو من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت (١) قوافيها كلها
 لكانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .
 وعن ابن قتيبة قال : كان رؤية يأكل الفأر ، فموجب فى ذلك ، فقال :
 هـى والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتى تأكل العذرة ، وهل يأكل الفأر
 إلا نَقَى البر ولباب الطعام ؟ !

وحدث أبو زيد الأنصارى النحوى قال : دخل رؤية بن العجاج السوقَ
 وعليه بركانى (٢) أخضر فجعل الصبيان يعشون به ويفرزون شوك النخل فى بركانه
 ويصبحون به : يامردوم ، يامردوم ، فجاء إلى الوالى فقال : أرسل معى الورعة فإن
 الصبيان قد حالوا بينى وبين السوق ، فأرسل معه أعواناً ، فشد على الصبيان وهو يقول :

(١) موقوفة القوافى : أراد به أنها ساكنة حرف الروى الذى بنيت عليه
 القافية . و «أطلقت» أراد به تحرك حرف رويها . ومن دلائل تمكن الشاعر من
 لغته أن يحىء بما ذكر يونس عن أرجوزة العجاج فى حين أن ذلك غير لازم .
 (٢) فى نسخة « برنكان » وهو بزنة زعفران ، وكلاهما صحيح ، يقال
 بركان ، وبركانى ، وبرنكان ، وبرنكانى . وهو الكساء ، أو هو الكساء
 الأسود خاصة .

أَتَمَّ عَلَى أَمَّكَ بِالْمَرْدُومِ أَعُوْزُ جَعَدٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
شَرَابُ أَلْبَانٍ خَلَايَا كُومٍ

قال : فَعَمِلُوا يَعْدُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا دَارًا فِي الصَّيَارِفَةِ ، فَقَالَ لَهُ الشَّرْطِيُّ :
أَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ : دَخَلُوا دَارَ الظَّالِمِينَ ، فَسَمِيتُ إِلَى الْآنَ دَارَ الظَّالِمِينَ لِقَوْلِ رُؤْبَةٍ ،
وَهِيَ فِي صَيَارِفَةِ سَوَاقِ الْبَصْرَةِ .

وعن المدائني قال : قدم البصرة راجز من رُجَازِ الْمَدِينَةِ ، فجلس إلى حلقة
فيها الشعراء ، فقال : أَنَا أَرْجَزُ الْعَرَبِ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ [مِنَ الرَّجَزِ] :

مَرَوَانُ يُعْطَى وَسَعِيدٌ يَمْنَعُ مَرَوَانُ نَبْعٌ وَسَعِيدٌ خِرْوَعٌ

وددت أَنِّي رَاهِئَةٌ مِنْ أَحَبِّ فِي الرَّجَزِ يَدَايِيدُ ، وَاللَّهُ وَاللَّهُ لِأَنَّا أَرْجَزُ مِنْ
الْعَجَاجِ ، فَلَمِيتِ الْبَصْرَةَ جَمَعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، قَالَ : وَالْعَجَاجُ حَاضِرُ وَابْنِهِ رُؤْبَةٌ مَعَهُ ،
فَأَقْبَلَ رُؤْبَةٌ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ : قَدْ أَنْصَفَكَ الرَّجُلُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعَجَاجُ فَقَالَ :
هَذَا أَنَا ذَا الْعَجَاجِ فَهَلَمْ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَأَيُّ الْعَجَاجِينَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا خَلَلْتُكَ
تَعْنِي غَيْرِي ، أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّوِيلُ ، وَكَانَ يَكْنَى بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَدَنِيُّ : مَا عَيْنُكَ ؟
وَلَا أَرَدْتُكَ ، قَالَ : كَيْفَ وَقَدْ هَنَفْتُ بِاسْمِي ! قَالَ : أَوْ مَا فِي الدُّنْيَا عَجَاجٌ سِوَاكَ ؟
قَالَ : مَا عَلِمْتُ ، قَالَ : وَلَكِنِّي أَعْلَمُ وَإِلَاهُ عَيْنٍ ، قَالَ : فَهَذَا ابْنِي رُؤْبَةٌ ، قَالَ :
اللَّهُمَّ غَفِرًا ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَلٌ ، وَإِنَّمَا مَرَادِي غَيْرُكَ ، قَالَ : فَضَحَكَ أَهْلُ
الْحَلْقَةِ ، وَكُنَّا عَنْهُ .

وعن عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال : أَخْرَجَ شَاهِدِينَ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ النَّفْقِيِّ
رُؤْبَةٌ مَعَهُ إِلَى أَرْضِهِ ، فَقَعَدُوا يَلْعَبُونَ بِالْتَرْدِ ، فَلَمَّا أَتَوْا بِالْخُلُوفِ قَالَ رُؤْبَةٌ فِيهِ :

يَا إِخْوَتِي جَاءَ الْخُلُوفُ فَارْفَعُوا حَنَانَةً كَمَا بَهَا تَقَعَقَعُ
لَمْ أَذْرِ مَا تَلَاثُهَا وَالْأَرْبَعُ

قال : فَضَحَكْنَا وَرَفَعْنَاهَا وَقَدَّمُ الطَّعَامَ .

وكان رُؤْبَةٌ مَقِيمًا بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا ظَهَرَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

ابن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور ، وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤية على نفسه وخرج إلى البادية ليجتنب الفتنة ، فلما وصل إلى الناحية التي قصدتها أدركه أجله بها فتوفي سنة خمس وأربعين ومائة .

وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال : يا أبا عبد الله دفناً الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت له : كيف ذلك ؟ قال : حين انصرفت من جنازة رؤية بن العجاج ، وكان قد أسن رحم الله وقد سمع أباه ، وأبوه سمع أباه رضى الله عنه ، وقال النسائي : وليس هو بالقوى ، وقد روى رؤية بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وحادي يحدو [من الرجز] :
طافَ الْخِيَالَانِدُ فَهَاجَا سَقَمًا خِيَالُ لُبْنَى وَخِيَالُ تَكْسَمَا
قَامَتْ مُرِيكَ خَشِيَةً أَنْ تَقْصُرَمَا سَاقًا بِخَنْدَاءَ وَكَبَابًا أَذْرَمَا
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينسك .

وحدث أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا رؤية بن العجاج قال : سمعت أباه رضى الله عنه يقول : السواك يذهب وَضَرَ الطعام ، وهذا الخبر يدل على أنه سمع من أبي هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم .
ومن شعره [من الخفيف] :

أَيُّهَا الشَّامْتُ الْمُمِيرُ بِالشَّيْبِ أَقْلَنْ بِالشَّبَابِ افْتِخَارًا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا طَرِبًا فَوَجِئْتُ الشَّبَابَ نَوْبًا مُعَارَا

٣ - * الحمد لله العلى الأجلل *

قائله أبو النجم ؛ وهو من بحر الرجز ؛ من أرجوزة طويلة ؛ وبعده :
الوَاهِبُ الْفَضْلُ الْوَهَّابُ الْمُجَزِّلُ أَعْطَى فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ يُبْخَلْ
والشاهد فيه مخالفة القياس اللغوي في قوله « الأجلل » إذ القياس الأجل بالادغام

خامد مخالفة
القياس

وأبو النجم اسمه ^(١) الفضل بن قدامة بن عبيد الله المجلى ؛ وهو من رجّاز ترجمة أبي النجم
الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الأولى منهم .

وفد على هشام بن عبد الملك وقد طمن فى السن فقال : يا أبا النجم ، حدثنى
قال : أعنى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك ، قال : إني لما كبرت عرض لى البول
فوضعت عند رجلى شيئا أبول فيه ؛ فقمّت من الليل أبول ؛ فخرج منى صوت ؛
فتشدت ؛ ثم عدت ؛ فخرج منى صوت آخر ؛ فأويت إلى فراشى ؛ وقلت :
يا أم الخير ؛ هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما . فضحك هشام
وعن أبى عبيدة قال : مازالت الشعراء تقصّر بالرجّاز حتى قال أبو النجم :

* الحمد لله العلى الأجلل *

وقال المعاج :

* قد جبر الدين الإلهُ فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأعماق خاوى المحترق *

فانتصفوا منهم .

وعن أبى عمرو الشيبانى قال : قال فتيانٌ من عجلٍ لأبى النجم : هذا رؤبة
بالربد يجلس فيسمع شعره ؛ وينشد الناس ويجمع إليه فتيان بنى تميم ، قال :
أوتحبون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فائتنى بشئ من نبذ ، فأتوه به فتربه ثم
انتفض فقال [من الرجز] :

إذا اضطبحتُ أربعا عرفتني ثم تجشمتُ الذرى جشمتنى

(١) ترجمة أبى النجم فى الأغاني (٩ - ٧٧) وفى خزائن الأدب للبغدادى
(١ - ٤٠٦ و ٤٠٩) وفى الشعراء (٣٨١) وانظر مع ذلك كامل المبرد (٢ - ٧٠)
والموشح للرزبانى (٢١٣) وطبقات الشعراء للجمحى (١٤٩)

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجَّازُ العرب ،
وسأله أن ينشدهم ، فأنشدهم :

* الحمد لله على الأجلل *

وكان من أحسن الناس إنشادا ، فلما فرغ منها قال له رؤبة : هذه أتم الرجز
ثم قال : يا أبا النجم ، قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه ، يوم عليه أنه
حيث قال [من الرجز] :

تَبَقَّلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحِي ^(١) مَالِكٍ وَنَهْشِلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة ، فقال له أبو النجم : هيهات
السكر تشابه : أى إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ، ونهشل قبيلة من ^(٢) ربيعة.
وعن أبي برزة المربدى قال : خرج المعجاج محتفلا عليه جبة من خز ،
وعمامة من خز ، على ناقه له قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون
عليه ، وأنشدهم :

* قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرَ *

وذكر فيها ربيعة فهجاء ، فجاء رجل من بنى بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو
في بيته فقال : أنت جالس وهذا المعجاج يهجوننا في المربد ، قد اجتمع عليه
الناس : صف لي حاله وزِيَّه الذى هو فيه ، فوصف له ، فقال : ابغني جملا
طعانا قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجل ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى

(١) فى الأصول « بين أفايحى » وما أثراه عن الأغاني

(٢) السبب فى ذكر أبى النجم هاتين القبيلتين — نعتى مالكا ونهشلا —
أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروبا فى بلادهم ، فتحامى جسيمهم
الرعى فيما بين فلج والسمان مخافة أن يعرفوا بشيء ، حتى عفا كلؤه وطال ، فذكر
أن بنى عجل جاءت إلى ذلك الموضع فرعته ولم تحف هاتين القبيلتين ، ففخر
أبو النجم بذلك

رجليه في السراويل واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خطامه إلى من يقوده .
فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا من المعاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ، ويقاعد عنه المعاج لئلا يفسد ثيابه .
ورحله بالقطران ، حتى بلغ قوله :

* شيطانه أنى وشيطاني ذكر *

فعلق الناس هذا البيت ، وهرب المعاج منه .

وورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء ، فقال لهم هشام : صفوا
إبلا فقيظوها وأوردوها وأصدروها حتى كأنني أنظر إليها ، فأنشده ، وأنشده
أبو النجم :

* الحمد لله العليُّ الأجلل *

حتى إذا بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فهي على الأفق كمين ... *

فأراد أن يقول « الأحول » ثم ذكر حَوْلَ هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه ،
فقال هشام : أجز ، فقال « كمين الأحول » وأمر القصيدة ، فأمر هشام بوجء
عنقه وإخراجه من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : يا ربيع إياك وأن أرى هذا .
فكلم وجوه الناس صاحب شرطته أن يُقره ، ففعل ، فكان يصيب من فضول
أطعمة الناس ويأوى المساجد ، قال أبو النجم : ولم يكن بالرصافة أحد يضيف إلا
سليم بن كيسان الكلبي ، وعمر بن بسطام التغلبي ، فكانت آتى سليماً فأتغدى
عنده ، وآتى عمرًا فأتغشى عنده ، وآتى المسجد فأبيت ، قال : فاهتم هشام
ليلة وأمسى لئس النفس ، وأزاد محدثاً يحدته ، فقال لخادم : ابغني محدثاً أعرابياً
أهوج شاعراً يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبي النجم فضر به

برجحه وقال : ثم أجب أمير المؤمنين ، قال : إني رجل أعرابي غريب ، قال :
 إليك أبنى ، هل تروى الشر ؟ قال : نعم وأقوله ، فأقبل به حتى أدخله القصر ،
 وأغلق الباب ، قال : فأيقن أبو النجم بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في
 بيت صغير بينه وبين نسائه ستر دقيق ، والشمع بين يديه يزهر ، فلما دخل قال له
 هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ضريدك ، قال : اجلس ، فأنه
 وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلك ؟ فأخبره ، قال : وكيف اجتماعك ؟ قال :
 كنت أقمى عند هنا ، وألمشى عند الآخر ، قال : فأين كنت تبيت ؟
 قال : في المسجد حيث وجدني رسولك ، قال : وما لك من الولد والخال ؟ قال : أما
 المني فلا مالي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شينن ، قال : هل
 أخرجت من بناتك أحدا ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبيت واحدة تجمز في
 آياتنا كأنها نعمة ، قال : وما أوصيت به الأولى ؟ وكانت تسمى برة بالراء ، قال
 [من الرجز] :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةَ قَلْبًا حَرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَلَةِ شَرًّا
 لَا تَسْأَلُ صَرَبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُومَ الْحِلَةِ مَرًّا
 وَإِنْ كَسْتِكَ ذَهَبًا وَدَرًّا وَالْحَيُّ عُمَيْمٌ بَشَرٌ طَرًّا
 فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت [من الرجز] :

سُبُّ الْحَلَةِ وَابْنَتِي عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَتْ فَازْدَلَنِي إِلَيْهَا (١)
 وَأَوْجِبِي بِالْهَرِ زَكَبَتِيهَا وَمَرْهَبِيَا وَاضْرِبِي جَنَّتِيهَا (٢)

(١) رواه في الكامل (٢-٧٠)

• وإن أبت فازدلني إليها •

(٢) روى في الكامل

• ثم أفرعي بالود مرفقيها •

والود بفتح الواو وتشديد الدال الودت . وفي الأغاني «وأوجي بالهبر»

وَضَهْرِي أَلَيْسَ فَدَعِيَا لَا تَجِيرِي لَدَهْرِي بِهَيْتِيَا^(١)
 قل : فضحك هثم حتى بدت نواجذه وسقط على قدمه ، وقال : ويحك ! ما
 هنم وصية يعقوب عليه السلام ولده ، قل : ولا أن يعقوب وأمير المؤمنين
 قل : فما قلت ثلاثة ؟ قل : قلت [من الرجز] :

أَوْصِيكَ يَا بَنِي قَانِي ذَاهِبُ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْمَكَ الْأَقْلَبُ
 وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ الْغَيْبُ وَارْجِعْ الْمَسْكِينُ وَهُوَ خَبُ^(٢)
 وَلَا تَتْنِ أَفْضَرُكَ السَّاهِبُ لَهْنٌ فِي وَجْهِ أَمَةِ كَتَبُ
 وَالرَّوْجُ بَيْنَ الزَّوْجِ بَيْنَ الصَّحْبِ

قل : فكيف قلت هنا ولم تغزج ؟ وأنى شئ ، قلت في تخر تزويجها ؟
 قل : قلت [من الرجز] :

كَأَنَّ ظِلَّامَةً أَخَذَتْ شَيْبَةً يَتِيمَةً وَوَالِدَهَا حَيْنُ
 الزَّأْسُ قُلُوكُهُ وَصُفْدُنْ وَلَيْسَ فِي السَّاقَيْنِ لَا جَيْضُنْ
 تِلْكَ نَتِي يَفْرَعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ^(٣)

قل : فضحك هثم حتى ضحك النساء لضحكه ، وقال لخصي : كم بقي من
 نفقتك ؟ قل : شئمة دينار ، قل : أعطه إيها ليحصل في رجل ظلامه ؛
 ممكن الخيطين .

(١) روى في الكامل :

* وجددي الحلف به عليها *

وروى في الأغاني (٩-٨٠)

* وضاهري النفر لها عليها *

(٢) في الأغاني * لارجع المسكين *

(٣) في الكامل * تلك التي يدع منها . *

ودخل أبو النجم يوماً على هشام وقد مضت له سبعون سنة، فقال له هشام :
 ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شزراً ، وينظرن إلى حذرا ، فوهب
 له جارية ، وقال له : اغد على فأخبرني ما كان منك ؛ فلما أصبح غدا عليه
 فقال له : ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شيء ، وقلت في ذلك أبيتا [من
 الكل : (١)]

نَظَرْتُ فَأَعْجِبَهَا الَّذِي فِي دَرْعِهَا مِنْ حُسْنِهِ وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا
 ضَيْقًا يَبْضُ بِكُلِّ عَرْدٍ نَالُهُ كَالصَدِغِ أَوْ صَدْعٍ يَرَى مِنْجَافِيَا (٢)
 فَرَأَتْ لَهَا كَفَلًا يَتَوَّه بِخَضْرَاهَا وَعَسًا رَوَادِفُهُ وَأَجْنَمُ نَابِيَا (٣)
 وَرَأَيْتُ مَنْتَشِرَ الْمَجَانِ مُفْلَصًا رُخْوًا مَفْصَلُهُ وَجَلْدًا بَالِيَا
 أَذِنِي لَهُ الرُّكْبَ الْخَلِيقَ كَأَنَّمَا أُذِنِي إِلَيْهِ عَنَابَرًا وَأَفَاعِيَا
 إِنَّ النَّدَامَةَ وَالسَّدَامَةَ فَاعْلَمَنَّ لَوْ قَدْ خَبَرْتُكَ لِلْوَأْسَى حَالِيَا (٤)
 مَا بَالُ رَأْسِكَ مِنْ وَرَأْيِ طَالِمَا أَظُنَنْتُ أَنْ حِرَافَتَهُ وَرَأْيِيَا
 فَادْهَبْ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لَا تُرْجَى أَبَدَ الْآبِيدِ وَلَوْ عَمِرْتَ لَيَالِيَا
 أَنْتَ الْغُرُورُ إِذَا خَبِرْتَ وَرَبِّيَا كَانَ الْغُرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَاقِيَا
 لَكِنَّ أَيْرَى لَا يُرْجَى فَفَعُهُ حَتَّى أَعُودَ أَخَا فِتْنَةٍ نَاشِيَا
 فضحك هشام وأمر له بمجازاة أخرى .

وحدث أبو الأزهري ابن بنت أبي النجم عن أبي أمه أنه كان عند عبد الملك
 ابن مروان - ويقال : عند سليمان بن عبد الملك - يوماً ، وعند جماعة من

(١) الأبيات إلا الثاني في الأغاني (٩-٨١)

(٢) كذا ، ولا يستقيم لي معنى لمعجز هذا البيت

(٣) في الأغاني « يميل بخضرها » وفيه « وأجتم جانيها »

(٤) كذا في الأغاني ، وفي أصول هذا الكتاب « لو قد خبرتك للموافي »

الشراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان — أو عبد الملك — تنبئ عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها — وصنق في نخره وحبته هذه الجارية ، قال : فقاموا على ذلك ، ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته ، يمتنون الرجز ، فقال : ألا لا أقول إلا قصيدا ، فقال من ليلته قصيدته التي نخر فيها ، وهي [من الكامل] : ^(١) .

* علق الفواد حباثل الشعاء *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :
منا الذي ربيع الجيوش لصابع عشرين وهو يمد في الأخياء ^(٢)
قال له عبد الملك — أو سليمان — قف ، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا تزد ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربيع ، فقال عبد الملك — أو سليمان — : ولد ولدهم ولد ، ادفع إليه الجارية يا غلام ، قال : فغلبهم يومئذ .
وحدث الأصمى قال : قال أبو النجم ثامد بن الفرخ : أرايت قولك
[من الطويل] :

(١) انظر ثمانية أبيات من هذه السكلة سوى البيت الآتي في المجمل
(١٥٠) وفيه في هذا المقطع :

* علق الهوى بحباثل الشعاء *

(٢) ربيع الجيوش : أراد أخذ ربيع الغنائم ، وكان الرؤساء والسادة يأخذون لأنفسهم ربيع ما يقيم قومهم في الحروب ، ويسمونه المرباع ، وقال الشاعر :
لك المرباع منها والصفايا وحكك والنشيطه والفضول
يريد أبو النجم أن من قومه من كان سيداً رئيساً ، وفي المجمل * عدوا
كن ربيع الجيوش * يريد أن من قومه من ساد حتى ربيع الجيوش وعاش
حتى رأى من أولاده عشرين رجلاً كلهم سيد ورئيس .

إِنْ تَكُ مِنْ شَيْبَانٍ أُمِّي فَأَسَى لِأَيُّضَ جَلِيَّ عَرِيضَ الْمَقَارِقِ
أَكُنْتُ شَكَافِي لِنَبِكَ حَقِي قُلْتُ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْعَدِيلُ : أَشَكُكْتَ فِي
نَفْسِكَ أَوْ فِي شَعْرِكَ حِينَ قُلْتَ [مِنْ الرِّجْزِ] :
أَنَا أَبُو النِّجْمِ وَشَعْرِي شَعْرِي اللَّهُ دَرَى مَا يُجْنُ صَدْرِي
فَأَمْسَكَ أَبُو النِّجْمِ وَاسْتَحْيَا ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ آخِرُ دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةَ .

* * *

٤ - * كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ *

عامة الكرامة
فالسع

قَاتَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنْ بَحْرِ الْمُتَقَارِبِ ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ
ابْنُ حَمْدَانَ صَاحِبُ حَلَبٍ قَدْ أَنْفَذَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِخَطِّهِ إِلَى الْكُوفَةِ بِأَمَانٍ وَسَأَلَهُ
السَّيْرَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرُ الْكِتَابِ فَسَمِعًا لِأَمِيرِ الْعَرَبِ
وَطَوْعًا لَهُ وَابْتِهَاجًا بِهِ وَإِنْ فَقَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجِبَ
وَمَا عَاقَبَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ الْوُشَاةَ طَرِيقُ الْكِتَابِ (١)
وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُهُمْ وَتَقْرِيبُهُمْ بَيْنَنَا وَاتِّخَابُ
وَقَدْ كَانَ يَنْصَرِّمُ سَمْعُهُ وَيَنْصَرِّقُ قَلْبُهُ وَالْحَسْبُ
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ الْبَجِينُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الزَّهَبُ
فَيَقْلَقُ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءَ وَيَقْضِبُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْعَنْصَبُ
وَمَا لَأَقْنِي بِعَدَمِكُمْ بَلَدُهُ وَلَا أَعْنُضْتُ مِنْ رَبِّ لِعَمَائِ رَبِّ (٢)

(١) فِي الدِّيْوَانِ « وَإِنَّ الْوُشَاةَ طَرِيقَ الْكُذْبِ »

(٢) فِي الدِّيْوَانِ « وَمَا لَأَقْنِي بِلَدِّ بَعْدَكُمْ »

وَمَنْ رَكِبَ التُّورَ بَعْدَ الْجَوَا دَانَكَرَ أَظْلَافُهُ وَالغَيْبُ
وَمَا قَسَتْ كُلُّ مَأْوِكَ الْبِلَادِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبُ
وَلَوْ كُنْتُ سَمِّيتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدُ وَكَانُوا الْخَشَبُ
أَفَى الرَّأْيِ يُشْبَهُ أَمْ فِي السَّخَا أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ أَمْ فِي الْأَدَبُ
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبُ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبُ
أَخُو الْحَرْبِ يُجْنَدُ بِمَا سَبَى قَنَاهُ وَيُخْلَعُ بِمَا سَلَبُ
إِذَا حَارَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسْرُ بِمَا لَا يَمَبُ

وهي طويلة

والجرشي بكسر الجيم والراء مقصورا: النَّفْسُ، وأشار بقوله «مبارك الاسم» إلى أن اسم المدوح على، وهو اسم مبارك يترك به، لمكان على بن أبي طالب رضي الله عنه، ولأنه مشتق من العلو والعلو مبارك، ومعنى «أغر اللقب» مشهور لأنه سيف الدولة، والأغر من الخليل: الذي في وجهه غُرَّةٌ، وهي البياض، استعير لكل واضح معروف

والشاهد فيه كراهة السمع للفظه تكون في البيت كالجرشي هنا

وأبو الطيب ^(١) اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ^{ترجمه أبو} الكندي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور. ^(٢) وإنما قيل له «المتنبي» لأنه ادعى النبوة في بداية السَّأوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ

(١) له ترجمة في سرح الميرون (١٥) وفي يتيمة الدهر (١-٩٠) وفي تاريخ ابن خلكان (١-٦٢) النبيل بمصر. وأكثر ما هنا منقول عن ابن خلكان.
(٢) في ابن خلكان «وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار» اهـ.

أمير حصن نائب الأخشيدي فأسره وفتقر أصحابه ، وحبه طويلاً ، ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه فنه « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لي أخطار ، أمض على سننك واقف أن من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قانع بك رزق من أحد في الدين وصل عن السبيل »

وكان إذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويبحه وما أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافوراً الأخشيدي ، وأنوجور بن الأخشيدي وكان يقف بين يدي كافور وفي رجلية خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ، وركب بحاجبين من مالكيه وهما بالسيف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاء وفارقه ليلة عيد التمر سنة خمسين وثلاثمائة ، فوجه كافور خلفه عدة رماح فلم يلحق ، وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الذي لم يلق ، فأجزل صلته ، ولما رجع من عنده عرض له فأتاك بن أبي جيل ^(١) الأسد في عنة من أصحابه ، فقاتله ، فقتل المنجي وابنه محمد ^(٢) ، وغلامه مفلح ، بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد ، ويقال : إنه قال شيئاً في عضد الدولة ، ففس عليه من قتله ، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مشرحة محلاة وثياب مفتخرة ، ثم فس عليه من سأل : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً . فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتلاً

(١) في ابن خلكان « ابن أبي الجهل »

(٢) في أصول هذا الكتاب « محشد » وهو تصحيف ، ونص ابن خلكان على أنه بالسين مهملة

شديداً ثم انبرزم ، فقال له غلامه أين قولك [من البسيط] :
الْخَيْلُ وَالذَّلُّ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطَّنُّ وَالْقَرْبُ وَالْقِرْمَاسُ وَالْفَلَمُّ
فقال : قتلني قتلك الله ، ثم قاتل فقتل .

ويقال : إن الخلفاء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه ، فتمنع الشيخ
والكبر ، فتقدموه فوق له موقع
وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين ، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين
بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة
ومولده كان في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة ، وليس هو
من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي

وقيل : إن أباه كان سقاء بالكوفة ، وكان يلقب بعبدان ثم انتقل إلى الشام
بولده ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال [من الخفيف] :
أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ لِمَنِ النَّاسُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا
ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه ، حسداً له على فضله ، وتمكنه من
الملوك ، ومراعاة لتيهه وتكبره ، ومن أخش في ذلك ابن حجاج ، فقال جارياً على
عادته في السخف والمجون [من المجتث] :

يَادِيْمَةَ الصَّفْعِ صُبِّيْ عَلَى قَفَا الْمُنْفِي
وَيَا قَفَاهُ تَقَدَّمْ حَتَّى تُصَيِّرَ بِجَنَابِي
وَأَنْتَ يَا رِمَحَ بَطْنِي عَلَى سِبَالِيهِ هُبِّيْ

ويقول فيها :

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ نَبِيًّا فَالْقِرْدُ لَأَشْكُ رَبِّيْ

وقال فيه أيضاً من قصيدة [من السريع] :

قُلْ لِي وَطَرُطُوكَ هَذَا الَّذِي فِي غَايَةِ الْحُسْنِ شَوَابِيرُهُ
مَاضِرُهُ إِذْ جَاءَ فَصْلُ الشُّتَا لَوْ أَنَّ شَعَرَ أَسْتِي سَمُورُهُ

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، حتى قيل: إن الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجوع على وزن فَعْلِي؟ فقال المتنبي في الحال: حَجَلِي^(١) وَطَرِي، قال الشيخ أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجدهذين الجمعين ثالثا فلم أجده، وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة

وقال أبو الفتح بن جني: قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما بلغت إلى قوله
في كافور الأخشيدى [من الطويل]:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ؟
وَبِئْسَ مَا يَذُودُ الشَّعَرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا بَنَّةَ الْقَوْمِ قَلْبُ

قلت له: يعز على كون هذا الشعر في غير سيف الدولة، فقال: حذرناه
وأنذرناه فما نفع، ألسنت القائل فيه [من الطويل]:

أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ
فهو الذي أعطاني [كافورا]^(٢) بسوء تدبيره وقلة تمييزه

والناس في شعره على طبقات: فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده،
ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، ووزق في شعره السعادة، واعتنى العلماء بديوانه

(١) حَجَلِي: جمع حَجَل، وهو الطائر الذي يسمى القبيج، وطرَبِي: جمع
طَرَبَان - على زنة قطران - وهي دويبة منتنة الراححة

(٢) الزيادة عن ابن خلكان، وهي لازمة لإكمال المعنى

فشرحوه حتى قيل : إنه وجدله ما يزيد على أربعين شرحا
ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند
صحيح متصل بيتان ، وهما [من الكامل] :

أَبْعَيْنَ مُتَقَرِّ إِلَيْكَ نَظَرَ تَنِي فَأَهَنْتَنِي وَقَدْ فَتَنِي مِنْ حَالِنِ ؟
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي^(١) بقوله [من الخفيف] :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ الْأَسَانِ
مَا رَأَى النَّاسُ نَاقِي الْمُنْتَبِي أَيُّ ثَمَانٍ يُبْرَى لِبُكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جِدِّ شَيْءٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

ويحكى أن العتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد يوما في
مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة ، وهو [من الطويل]^(٢) :

إِذَا ظَفَرَتْ مِنْكَ الْعُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَتَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطَى وَرَارِمُهُ
وجعل يردده استحسانا له ، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهب بن
الأنلدسي ، فأنشد ارتجالا [من الطويل] :

لَنْ جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تُجِيدُ الْمَطَايَا وَالْأَهَا تَفْتَحُ اللَّهُمَّا

(١) الطبسي - بفتح الطاء والباء - نسبة إلى طبس ، وهي مدينة بين
نيسابور وأصبهان وكرمان

(٢) هو من قصيدة مدح بهاسيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة (٣٣٧هـ)
وأولها قوله :

وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا ، والدعم أشفاء ساجمه

نَبَأٌ مُجِيبٌ بِالْقَرِيبِ ، وَلَوْ دَرَى
بَأَنَّكَ تَرَوِي شِعْرَهُ لَتَأَنَّهَا
وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصاري جعفر بن يحيى [من مجزوه الخفيف] :
لَا بَنِي يَجِي مَأْتُرٌ بَلَغْتَ بِي إِلَى السَّهَاءِ
جَادَ شِعْرِي بِجُودِهِ وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُ
والله بالضم : العطايا ؛ وبالفتح جمع لهاء الحلق .

ورثاه أيضاً محمد بن عبد الله الكاتب النصبى بقصيدة يستجيش فيها عضد
الدولة على مسحى قدمه ومربق دمه ؛ فنها [من البسيط] :
قَرَّتْ عُيُونُ الْأَعَادَى يَوْمَ مَصْرَعِهِ وَطَلَمَّا سَخِنَتْ فِيهِ مِنَ الْحَسَدِ
ومنها :

أَبَا شُجَاعٍ فَتَى الْهَيْجَا وَقَارِسَهَا وَمُشْتَرَى الشُّكْرِ بِالْإِفْئَاقِ وَالصَّفَدِ (١)
هَذِي بَنُو أُسْدٍ جَاءَتْ بِمُؤَيَّدَةٍ صَاءٍ نَالَتْهَا هَدَّتْ مُذَرَى أَحَدِ
سَمَطَتْ عَلَى الْمُتَنَبِّ مِنْ قَوَارِسَهَا سَبْعُونَ جَاءَتْهُ فِي مَوْجٍ مِنَ الزُّرْدِ
حَتَّى أَتَتْ وَهَوَى فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا يَسِيرُ فِي سِنَةٍ إِنْ تَحْصَى لَمْ تَزِدْ
كَرَّتْ عَلَيْهِ سِرَاعًا غَيْرَ وَأَنِيةً فَسَادَرَتْهُ قَرِينَ الثَّرْبِ وَالنَّادِ (٢)
مَنْ بَعْدِ مَا أَعْلَمْتَ فِيهِمْ أَسْنَتُهُ طَمَنًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
فَأُطْلِبَ بِنَارِ قَتَى مَا زِلْتَ تَعْضُدُهُ اللَّهُ دَرَكَ مِنْ كَهْفٍ وَمِنْ عَصْدِ (٣)

(١) الصفد - بفتح الصاد والفاء جميعا - العطاء

(٢) الناد: الئرى ، وهو بفتح الاء والهمزة ، وقد تسكن همزته ، لكن في غير هذا البيت لأن الوزن يستدعى المحرك

(٣) عضده يعضده - مثل نصره ينصره - أى أعانه . وعاضده : مثله

أَزَلَّ الْعُيُونُ عَلَيْهِمْ أَيْهَ سَلَكَوا وَضَيَّقِ الْأَرْضَ وَالْأَقْطَارَ بِالرَّصْدِ (١)
 شَرَدَهُمْ بِجَيُوشٍ لَا قِيَامَ لَهَا تَأْتِي عَلَى سَبَدِ الْأَقْوَامِ وَالْبَدِ (٢)
 ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرقني النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد
 الدولة علي فاتك وبنو أسد ، يقول في أولها [من الكامل] :

الدهر أنسى والأيالي أنكد
 من أن تعيش لأهلها يا أحمد
 قصدتك لما أن رأتك أنفيسها
 بخلاً بمنك والنفاس تقصد
 ذقت الكربة بغته وفقدتها
 وكريه فقدك في الوري لا يقد
 قل لي إن أسطعت الجواب فإني
 صب الفؤاد إلى خطابك مكمد

ومنها :

أتركت بعدك شاعراً ؟ والله لا
 لم يبق بعدك في الزمان تقصد (٣)
 أمم العلوم فأنجبا يا ربها
 تبسكي عليك بأدمع لا تجمد
 يا أيها الملك المؤيد ، دعوة
 تمن حشائ بالأسى يتوقد
 هدى بنو أسد بضيقت أوقعت
 وحوث عطاك إذ حوآه الفرقد
 وله عليك بقصود يا ذا العلال
 حق النحرثم والذمام الأوكد
 فرغ الذمام وكئي لضيفك طالبا
 إن الذمام على الكربة مؤبد
 وأخبار المتنبي وما جرى له كثيرة ، وسيتأتى طرف منها ومن شعره في أثناء
 هذا الكتاب .

- (١) الرصد - نفتح الراء والصاد جميعاً - القوم يراقبون الشيء كالحرص .
 الواحد فيه والجمع والمذكر والمؤنث سواء
 (٢) العرب يقولون : ايس لفلان سبد ولا لبد ، وهم يريدون أنه ليس له
 شيء . والسبد : وبر الابل ، والابد : الصوف .
 (٣) مقصد : يريد شاعراً لأن الشاعر يقصد القصائد

شاهد تناثر
الكلمات

٥ - وَقَبْرَ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

البيت من الرّجاء ، ولا يعرف قائله ، ويقال : إنه من شعر الجنّ ، قالوه في حَرْبٍ بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حبة منهم قتلها القفل الذي كان فيه ، ودفن بيادية بعيدة ، وكان حَرْبٌ المذكور مصافيا لمرداس السلمي أبي العباس الصّحابي ، قتلها الجنّ جميعا ، وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها ، والعرب في أشعارها .

ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ ، أن حرب بن أمية لما انصرف من ^{مقتل حرب} حرب عكظ هو وإخوته مرّة بالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، ^{ابن أمية ومرداس السلمي} فقال له مرداس بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فإله ؟ قال : نعم المردع هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه وتحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم ، فأضرم النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبها صمّيع من الغيضة أنين وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيّات بيض تطير حتى قطعها وخرجت منها ، فقال مرداس في ذلك [من البسيط] :

إِنِّي انْتَحَبْتُ لَهَا حَرْبًا وَإِخْوَتَهُ إِنِّي بِحَبْلِ وَثِيقِ الْعَهْدِ دَسَّاسُ
إِنِّي أَقُومُ قَبْلَ الْأَمْرِ حُجَّتَهُ كَيْفَا يَقَالُ وَلِيَ الْأَمْرِ مِرْدَاسُ

قال : فسموا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة [من مجزوء الرجز] :

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُخَالِسًا
وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا إِذْ لَيْسُوا الْقَوَانِسَا
لِنَقْتُلَنَّ بِقَتْلِهِ جَحَاجِحًا عَنَابِسَا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن عمرو السلمي ثم الظاهري ، فقال في ذلك عباس بن مرداس [من الكامل] :

أَكْلَيْبُ مَالِكٌ كُلَّ يَوْمٍ ضَانًا وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونٌ
عَجَبًا لِقَوْمِكَ بِحُسُونِكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنْكَ سَيِّدٌ مَغْيُونٌ^(١)
فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى نَسَائِكَ فَادَّهْنُ إِنَّ الْمَسْلَمَ رَأْسُهُ مَدْعُونٌ
وَأَفْضَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلِي يَوْمَ الْقَدِيرِ تَحْمِيكَ الْمَطْعُونُ^(٢)
وَإِخَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي جَانِبَيْكَ سِنَانِيهَا الْمَسْنُونُ
إِنَّ الْقَرْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهَا إِنْ كَانَ يَنْفَعُ عَنْكَ التَّبَيُّنُ
حِينَ انْطَلَقْتَ تَخْطُهَا إِلَى ظَلَمَاءِ وَأَبُو يَزِيدَ يَجْهَرُهَا مَدْفُونٌ
وقد روى البيتُ بلفظ.

* وَمَا بَقَرِبِ قَبْرِ قَبْرِ حَرْبِ قَبْرُ *

ويقال : إنه لا ينهياً لأحد أن ينشئه ثلاث مرات متواليات فلا يتمتع .
و « قرب » وقع خبراً لليس وكان من حقه أن يقول « قرب قبره » فأى
بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع .
والشاهد فيه : التنافر ، لما في هذه الألفاظ من قتل النطق بها ، ولذلك
هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الادلغام ، لا انتقال اللسان فيه
إليهما انتقالة واحدة ، وشبهوا النطق بالتقاربين بمشى المقيد .

٦ - كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى *

من شواهد
التنافر

قائله أبو تمام الطائي ، وتماه :

* مَعَى وَإِذَا مَالَتْهُ لَمْ تُهْ وَحْدِي *

(١) في الأصول « مغبون » وفي هذه الكلمة روايتان إحداها « معيون »
أى مصاب بالعين ، والثانية « مغبون »
(٢) أراد إسميه : كليب وائل الذى قتله جساس بن مرة ، وإسميه فامت
حرب البسوس

وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويمتدح
إليه ، وأولها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَمَالِكُ بَعْدِي وَحَتَّ كَا حَتَّ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدٍ (١)
وَأَتَجَدَّدْتُ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِكٍ فَيَا دَمْعُ أَتَجِدُّنِي عَلَى سَاكِنِي تَجِدِ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَقْتُ جِدَّةَ أَلْبَا بَكَاءٍ وَجَدَّدْتُ عَلَى بَلَى الْوَجْدِ (٢)
إِلَى أَنْ قَالَ فِي مَدِيحِهَا :

أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ نَسَكْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ (٣)
لَقَدْ نَكَبَ الْغَدْرُ الْوَفَاءَ بِسَاحَتِي إِذَا وَسَرَحْتُ الدَّمَ فِي مَسْرَحِ الْخَدِ
وَهَشَكْتُ بِالْقَوْلِ اتْلَا حُرْمَةَ الْعَلَا وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشَّعْرِ فِي مَسْلَكِ الْعَبْدِ
نَسِيتُ إِذَا كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ شَاكِلَتْ يَدَ الْقَرَبِ أَعَدَّتْ مُسْتَهَامًا عَلَى الْبَعْدِ
وَمَنْ زَمَنِي أَلْبَسْتَنِيهِ كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ أَتَيْلَهُ زَمَنُ الْوَرْدِ
وَإِنَّكَ أَحْكَمْتَ الَّذِي بَيْنَ فِكْرَتِي وَبَيْنَ الْقَوَائِي مِنْ ذِمَامٍ وَمِنْ عَهْدِ
وَأَصْلَتْ شِعْرِي فَأَعْتَلَى رَوْنَقُ الضُّحَى وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَمَانًا مِنَ الْغَمْدِ (٤)
وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَتُ بَعْدَكَ بِالْحِجَا وَأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرَمَةٍ بَعْدِي (٥)
أَمْرُبِلُ هَجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَرْتَهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

- (١) في الديوان « مغانيكم بعدي » وأفوت : أقفرت ، وحَتَّ : انمَحَّت
وطمست معالمها . والشائِع : ماالتف من الغزل
- (٢) في الديوان « على وجددتكم به خلق الوجد »
- (٣) في الديوان « لففت له رأسي »
- (٤) أصلت : أرادت أظهرت وشهرت ، وأصله إخراج السيف من غمده ،
والغمد : قراب السيف
- (٥) في الديوان « فكيف »

وبعد البيت ، وبعده :

ولو لم يزغني عنك غمركَ وازعُ لأعديتي بالحلم ، إنَّ الملا تُمدى^(١)
ومعنى البيت : هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه
لأصداء إحسانه إليهم كإصدائه إلى ، ولا أمدحه بشئ إلا صدقني الناس فيه ،
أو أن الناس وافقوني على وجود ما يوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه ،
وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى له فيه .

وفي معناه قول الآخر [من الكامل] :

وإذا شكوتك لم أجدي مُسعداً وَرُميتُ فيها قُلْتُ بالبهتانِ^(٢)
وقد ناقضَ هذا المعنى ابن أبي طاهر بقوله [من السريع] :
يُشركُنِي العالمُ في ذِمَّةٍ لَسَكُنِي أمدحُهُ وَحَدِي

وطاهر العتابي المعروف بالمتعمد البغدادي بقوله [من الطويل] :

مدحتهم وَحَدِي فلما هجوتهم هَجوتهم والناسُ كلهمُ معي
والشاهد فيه التنافر أيضا ؛ لما في قوله « أمدحه » من النقل لقرب مخرج
الحاء من مخرج الهاء ، لأن الخارج كلما قربت كانت الالفاظ مكبودة قلقة غير
مستقرة في أما كتبها ، وإذا بعدت كانت بعكس الأول ، ولهذا لم يوجد في كلام
العرب العين مع الفين ، ولا مع الحاء ، ولا مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، حذراً
مما مر . وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار في « أمدحه » و « لمته » .

ومن قبيح التكرار قول الشاعر [من السريع] :

وَازورَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَاراً وَعَافَ عَافِي العُرفِ عِرْفَانُهُ

(١) في الديوان « ولو لم يزغني عنك للحلم وازع » .

(٢) مسعداً : معينا يوافقني ؛ والبهتان : الكذب ؛ أو أبشعه .

ترجمة أبي تمام

وأبو تمام^(١) اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مروان ، ينسب إلى طيء . قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي^(٢) :
والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم
قرية من قرى الجيدور ، من أعمال دمشق^(٣) يقال له تدوس العطار ، فجعلوه
أوساً ، وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين
ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ، ونشأ بمصر ، وقيل : إنه كان يسقى الماء
بالجرة في جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حاكماً ويعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقل
إلى أن صار واحد عصره في دياحة لفظه ، وفصاحة شعره^(٤) وحسن أسلوبه ،
وكان له من الخفوضات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل : إنه كان يحفظ أربعة
عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وله كتاب الحماصة الذي
دل على غزارة فضله ، وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه
فحول الشعراء ، جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والحضر من الإسلاميين ،
وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم .
وكن في لسانه حُبسة وفي ذلك يقول ابن المعتدل^(٥) أو أبو العميتل
[من مجزوء الرمل] :

- (١) قف على ترجمة أبي تمام في الأغاني (١٥ - ٩٩ - ١٠٨) وفي ابن خلكان
(١ - ٢١٤ - ٢١٨) وفي الخزائن (١ - ١١٧٣) .
(٢) وقع في المطبوعتين « الأموى » تحريفاً ، والحديث عن ابن خلكان
عن الآمدي صاحب الموازنة بين أبي تمام والبحترى .
(٣) في الأغاني « مولده ومنشؤه بناحية فيج بقرية منها يقال لها جاسم »
(٤) أحسبه « ونصاعة شعره »
(٥) في المطبوعتين « ابن المعتدل » تحريفاً ، وابن المعتدل — بالذال
المعجمة — هو عبد الصمد بن المعتدل بن غيلان ، وكان هجاء خبيث اللسان
شديد العارضة (له ترجمه في الأغاني) وقد نسب البيت في أخبار أبي تمام
(٢٤١) إلى مخرله .

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشَّعْرِ وَيَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ مَا لَمْ تَنْكَلَمْ

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء في معرض المدح ، ومن ملبح ما جاء
فيه قول ابن سناء الملك في قوَّاد [من السريع] :

لِي صَاحِبٌ أَفْذِيهِ مِنْ صَاحِبٍ حَلَوِ الثَّأْنِ حَسَنِ الْإِحْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رَقَّةِ الْفَاضِلِ أَلَفَ مَا بَيْنَ الْهَدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا قَادَ إِلَى الْمُهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ

ومنه قول ابن أبي الأصميج يهجو قتيباً ذا أُنبة [من السريع] :

ابْنُ فُلَانٍ أَكْرَمُ النَّاسِ لَا يَمْنَعُ ذَا الْحَاجَةِ مِنْ فَلِهِ
وَهُوَ قَتِيهٌ ذُو اجْتِهَادٍ وَقَدْ نَصَّ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي دَرَسِهِ
يَسْتَحْسِنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ وَيُوجِبُ الْفَعْلَ عَلَى نَفْسِهِ

ووفد أبو تمام إلى البصرة وبها عبد الصمد بن المغنل الشاعر ، فلما سمع
بوصوله ، وكان في جماعة من أتباعه وغلماناه ، خاف من قدومه أن يميل الناس
إليه ويرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد [من الخفيف] :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّاسِ سِيسَ وَتَلْقَاهُمْ بَوَاجِهُ مُدَاكِ
لَسْتَ تَفْكُ رَاجِئاً لَوْصَلٍ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ رَاغِباً فِي نَوَالٍ
أَيُّ مَاءٍ يَبْقَى لَوَجْهِكَ هَذَا بَعْدَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السُّؤَالِ^(١)

فلما وقف على الأبيات أعرض عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هذا
ما يليه فلا حاجة لنا فيه .

وقد تبعه الأمير مجير الدين بن تميم بقوله [من الخفيف] :

(١) في الأصول وابن خلسكان • بين ذل الهوى وذل السؤال • وأراه
مصحفا عما أثبتناه عن أخبار أبي تمام .

شواهد الهجاء
في معرض المدح

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَا بَجَلْ يَعْقُو بَ وَكَلْبَاهَا مَقَرُّ السَّيَادَةِ
لَسْتَ تَنْفَكُ رَاكِبًا أَيْزَ عَبْدٍ مُسْبِطِرًا أَوْ حَامِلًا خَفَّ غَادَةً
أَيُّ مَاءٍ لَحْرٌ وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذُلِّ الْبَغَا وَذُلِّ الْقِيَادَةِ
ولما أُنشد أبو تمام أبا ذؤلف المجل قصيدته البائية التي أولها [من الطويل]^(١) :
عَلَى مِثْلَهَا مِنْ أَرْزُبَعٍ وَمَلَاعِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : والله إنها لدون شعرك ، ثم
قال : والله ما مثل هذا القول في الحُسْنِ إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي ،
فقال أبو تمام : وأي ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي أولها^(٢)
[من الطويل] :

كَذَا فِيلِجْلٍ الْخُطْبُ وَلِيَفْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَمِينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَُا عَنُرُ^(٣)
وددت والله أنها لك في ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون
المقدم قبله ، قال : إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر .

وحديث الرِّياشي قال : كان خالد الكاتب مفرماً بالفلان المرد ينفق عليهم
كل ما يفيد ، فهو غلاماً يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائي يهواه أيضاً ،
فقال فيه خالد [من مخلم البسيط] :

قَضِيبُ بَايَ جَنَاهُ وَرَدُّ بِحِمْلِهِ وَجَنَهُ وَخَدُّ
أَنْتَنَ طَرْفِي إِلَيْهِ إِلَّا مَاتَ عَرَاهُ وَعَاشَ وَجَدُّ
مَلِكٌ طَوَعَ النَّفُوسَ حَتَّى عَلِمَهُ الزَّهْوُ حِينَ يَبْدُو
فاجتمع الصَّدُ فِيهِ حَتَّى لَيْسَ نَخْلَقِي سِوَاهُ صَدُّ

و يبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها قوله [من السريع] :

(١) اقرأها في الديوان (٤٠) .

(٢) اقرأها في الديوان (٣٦٨) .

(٣) وقع في المطبوعتين « لذا » والقصيدة أشهر من قفانك ، وما أثبتناه
عن الديوان وعن ابن خلكان الذي أخذ عنه المؤلف أكثر هذه الترجمة .

شمرُك هذا كله مُفْرِطٌ في بَرْدِهِ ياخالِدُ البَارِدُ
 فملقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به : ياخالِدُ يابارد ، حتى وسوس ، وقد
 هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه [من البسيط] :
 يامعشر المرْدِ إني ناصحٌ لَكُمْ والمرءُ في القول بين الصدق والكذب
 لَا يَنْسَكُنْ حَبِيباً مِنْكُمْ أَحَدٌ فِدَاءً وَجَمَاعَةً أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
 لَا تَأْمَنُوا أَنْ تَحُولُوا بِمَدَّةٍ ثَلَاثَةٍ فَتَرْكَبُوا عَمَلًا لَيْسَتْ مِنَ الْخَشَبِ
 ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها
 [من الطويل] :

* أَهْنُ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَّاحِبِهِ *

أُنكر عليه أبو العميش وقال له : لم لاتقول مايزعمهم ؟ فقال له : لم لاتقهم
 مايقال ؟ فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة
 وذكر الصولي أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة^(١) سينية
 فلما انتهى إلى قوله فيها [من الكامل] :

إِقْدَامُ عُمُرٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَخْفَى ذِكَاةَ إِيَّاسٍ
 قال له السكندى الفيلسوف وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق
 قليلاً ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لَا تُسْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرِوَدًا فِي الزُّنْدَى وَالْبَاسِ
 فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنُّبْرَاسِ
 فعجبوا من سرعة فطنته .

وما ذكر — من أنه أنشد القصيدة للخليفة ، وأن الوزير قال : أى شيء
 طلبه فأعطه فإنه لا يمشى أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر في عينه الدم من

(١) أقرأها في الديوان (١٧٢).

شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يبش . لا هذا التذ . قاله الخليفة : ما تشهر ؟
 قل : أريد الموصل ، فعضده إليها ، فوجه إليها ، بنى هذه المدة ومات -
 فتى . لاصحة له أسلا ، والصحيح ما ذكرناه ، وأن الحسن بن وهب احتج به
 وولاه يزيد الموصل ، فقام بها أقل من سنتين وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين
 ومائتين . وقيل : ثمان وعشرين ، وقيل : اثنتين وثلاثين ، وبني عليه أبو نسل
 ابن حميد الغوسي قبة ، خارج باب الميدان على حفة الخندق .

وتمد ابن يزيد
 لاه تمام
 وزير ، وقيل : ثانيا لابن الزبير بن عبد الله بن الزبير كان السكب ، مولى بني أمية
 [من الكامل] :

نَبَأْنِي مِنْ أَكْظَمِ الْأَنْبَاءِ لَكَ أَلَمْ مُقْتَلِ الْأَحْشَاءِ
 قُلُوبًا حَيْبٌ قَدْ تَوَيَّ فُجَيْتُهُمْ تَشَدُّدُكُمْ لَا تَجْلُوهُ الطَّائِي
 وحكى ابن عدلان الموصل النحوى المترجم قال : سألت ابن عتير عن
 معنى قوله [من الغويل] :

سَقَى اللَّهُ دُوحَ الْغَوَاصِّينَ وَلَا اِرْتَوَتْ مِنْ الْمَوَاصِلِ الْجَدْبَاءِ إِلَّا قُبُورُهَا (١)
 ولم حرمها بنحو التنبؤ قال : لأجل أني تعلم .

ومن محكم شدة قوله من قصيدة (٢) [من الكامل] :

أَخْرَسَتْ بِذُعَابَتْنِي حَتَّى إِذَا مَا غَبَّتْ عَنْ بَعْضِي ظَلَّتْ تَشَدَّقُ
 هَمٌّ رَأَى أَسَدَ الْغَرِينِ فَهَلْهُ حَتَّى إِذَا وَلَّى تَوَلَّى يَنْهَقُ

(١) هذا البيت من قصيدة لابن عتير مدح بها السلطان الملك المعظم
 شرف الدين عيسى ابن الملك المعادل بن أيوب . وأول هذه القصيدة قوله :
 أناشاك من عليا دمشق قصورها . وولاد أرض النيرين وحورها
 وقد وقع في المطبوعتين « من الموصل الحدية » محررا .

(٢) القصيدة في عهد عتبة بن أبي طاهر (الديوان ٤٩٩) وقد أسقط
 ناسه بعض أبيات منها . والذي رواه المؤلف هنا أبيات غير متصل بعضها ببعض

هَيْتَكَ فَكَأَنَّ قَالًا مَا يَرَى بِمَثَلٍ يَبْهَتُ وَبَلَّغَ شَيْئًا
قُلْ مَا جَاءَكَ إِلَّا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ يَهْدِي الْغَيْثَ لَا يَضِلُّ
أَنْعَشْتُ حَتَّى عَيْتُهُمْ قُلْ لِي مِنْهُ قَوْلٌ شَرِيفٌ مَا يَرَى يَلِينُوا^(١)
يَلَا يَنْصُرُ الْقَائِلُونَ يَهْلِكُ لِي الشَّيْءُ بِكُلِّ حَالٍ يَحْتَقِرُ
فَلْتَعْلَمَنَّ حَرِيمٌ مِنْ ذِي بَابٍ مَنْ وَقَدِيمٌ مِنْ وَحْدَةٍ مَنْ يَنْصُرُ
بقوله من قصيدة أخرى [من الكامل]:

أَعُوذُ وَصَلْ كَذِبِي طَيْبًا ذِكْرُ الْبُحْرِ فَكُنْهَا نَيْمًا
نَمُ أَنْتِزَتْ أَلَمْ تَجْعَلِي أَرْقَتْ نَعْوَى أُنَى فَكُنْهَا نَعْوَةً
نَمَ أَحْضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلَهَا فَكُنْهَا وَكَأَنَّهُ نَحْلَةً
وقد اختصر معنى هذه الآيات انتهى في قوله [من النخف]:

قَضَرْتُ مَدَى اللَّيْلِ الْمَوَاضِي فَحَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَاقِي
ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار (مخروجه) [من البسيط]:
أَعُوذُ إِقْبَالَهُ كَالْيَمِّ فِي قَضَرٍ وَيَوْمَ إِغْرَاقِهِ فِي الطُّولِ كَالْحَيِّجِ
وَدِيْوَانُ نَظْمِهِ مَشْهُورٌ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ لَأَنَّهُ فِي قَيْمَةِ هَذَا التَّوَكُّفِ مَقِيصَتِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

٧ - وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا تَمَكُّكُ * أَيُّوَامُهُ حَتَّى أَيُّدُهُ يَغْدِرُهُ

علماء
هذا

البيت للفردوق ، من قصيدة من الطويل يشرح بها مداهمة بن هشام بن
إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان .

والشاهد فيه التحديد ، وهو : أن لا يكون الكلام ظهر الدلالة على المراد

(١) في الديوان : أَنْعَشْتُ حَتَّى عَيْتُهُمْ ، وفيه : سَاعَةٌ مَا يَرَى ،

إِذَا غَلَبَ فِي نَظْمِ السَّكَّامِ فَلَا يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى مَعْنَاهُ ، أَوْ لَا نَتَقَالِ الذَّهْنَ مِنَ الْمَعْنَى
الْأَوَّلِ إِلَى الْمَعْنَى الثَّانِي الَّذِي هُوَ لَازِمُهُ وَالْمُرَادُ بِهِ ظَاهِرًا ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الشَّاهِدُ
فِي الْبَيْتِ

وَالْمَعْنَى فِيهِ : وَمَا مِثْلُهُ يَعْنِي الْمَمْدُوحُ ، فِي النَّاسِ حَتَّى يُقَارَبَهُ ، أَيْ أَحَدٌ يَشْبِهُهُ
فِي الْفَضَائِلِ ، إِلَّا مَمْلُوكًا ، يَعْنِي هَشَامًا ، أَبُو أُمِّهِ أَيْ أَبُو أُمِّ هَشَامِ أَبُوهُ ، أَيْ أَبُو الْمَمْدُوحِ
فَالْمُضْمِرُ فِي أُمِّهِ لِلْمَلِكِ ، وَفِي أَبُوهُ لِلْمَمْدُوحِ ، فَفَصَّلَ بَيْنَ أَبُو أُمِّهِ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَأَبُوهُ
وَهُوَ خَبَرُهُ ، بِأَجْنَبِيٍّ وَهُوَ حَيٌّ ، وَكَذَا فَصَّلَ بَيْنَ حَيٍّ وَيُقَارَبُهُ وَهُوَ نَعْتُهُ بِأَجْنَبِيٍّ وَهُوَ
أَبُوهُ ، وَقَدْ تَمَّ الْمُسْتَنَى عَلَى الْمُسْتَنَى مِنْهُ ، فَهُوَ كَمَا تَرَاهُ فِي غَايَةِ التَّعْقِيدِ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ
النَّاظِمِ أَنْ يَقُولَ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَحَدٌ يُقَارَبُهُ إِلَّا مَمْلُوكٌ أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ

شواهد أخرى
للتعقيد

وَمِنَ التَّعْقِيدِ قَوْلُ الْفَرَزَقِ أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبُ نُصَاهِرُهُ
أَيْ : إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَيْ مَا أُمُّهُمْ مِنْهُمْ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

فَمَا مِنْ فِتْيٍ كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ تَبْتَنِي مِنْهُمْ عَدِيلًا يُبَادِلُهُ
أَيْ : فَمَا مِنْ فِتْيٍ مِنَ النَّاسِ كُنَّا تَبْتَنِي وَاحِدًا مِنْهُمْ عَدِيلًا يُبَادِلُهُ بِهِ .

وَقَوْلُ الْآخَرِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الدَّهْرَ إِحْلَاسَ مُسْلِمًا مِنَ النَّاسِ دِينًا جَاءَهُ وَهُوَ مُسْلِمٌ (١)
أَيْ : وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الدَّهْرَ إِحْلَاسَ مُسْلِمٍ مُسْلِمًا مِنَ النَّاسِ دِينًا جَاءَهُ وَهُوَ ،
أَيْ جَاءَهُمَا .

(١) فِي الْأَصُولِ « إِحْلَاسَ مُسْلِمٍ » وَهُوَ لَا يَتَّفِقُ مَعَ مَا ذَكَرَهُ فِي بَيَانِ مَعْنَاهُ
و « مُسْلِمٌ » فِي آخِرِ الْبَيْتِ مَخْفُوضٌ بِإِضَافَةِ إِحْلَاسٍ إِلَيْهِ ، وَالْجَلَامُ يَنْتَهِي
عِنْدَ « وَهُوَ » .

ومثله قول أبي تمام [من الكامل] :

كَاتِبِينَ فِي كَبْدِ الْبِئَاءِ وَلَمْ يَكُنْ كَاتِبِينَ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ
وَالْفَرْزَدَقُ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْمُهُ ^(١) هَامُ بْنُ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ التَّمِيمِيِّ ،
أَبُو فِرَاسٍ صَاحِبُ جَرِيرٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ غَالِبٌ مِنْ جِلَّةِ قَوْمِهِ وَمِنْ سَرَائِهِمْ ، وَكَتَبَتْهُ
أَبُو الْأَخْطَلُ ، وَلَوْلَا كَانَ لَهُ اسْمُهُ الْأَخْطَلُ ، وَهُوَ شَاعِرٌ أَيْضًا ، وَوَهْمُ بَعْضِهِمْ فِيهِ فَظَنَّهُ
الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ النَّصْرَانِي ، وَجَعَلَهُ أَخَا لِلْفَرْزَدَقِ ، وَهَذَا مِنْ عَجَبِ الْعَجَبِ ، إِذْ
الْفَرْزَدَقُ مُسْلِمٌ وَأَبُوهُ وَجَدَهُ صَعْصَعَةَ صَحَابِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَكَيْفَ يُنْصَوِرُ
أَنْ يَكُونَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي أَخَاهُ ، وَصَعْصَعَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ صَحْبَةٌ لَكِنَّهُ لَمْ
يَهَاجِرْ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَةَ ، وَبِهِ افْتَخَرَ الْفَرْزَدَقُ فِي قَوْلِهِ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :
وَجَدْتُ الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ فَأَحْيَا الْوَيْدَةَ فَلَمْ تَوُأْدِ ^(٢)
قِيلَ : إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْيَا أَلْفَ مِائَةِ وَوَدَّةٍ وَحَمَلَ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ .

وَأُمُّ الْفَرْزَدَقِ لَيْلَى بِنْتُ حَابِسٍ ^(٣) أُخْتُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !
رَوَى الْفَرْزَدَقُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَالْحُسَيْنِ ،

(١) تجد ترجمة الفرزدق في الأغاني (٨ - ١٨٦ - ١٩٧) وفيه أيضا (١٩)
٢ - ٥٢) . وفي ابن خلكان (٣ - ١٣٦ - ١٤٦) . وفي ابن قتيبة (٢٨٩)
٣٠١) .

(٢) في المطبوعتين « ولم يولد » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الأغاني
وعن ابن خلكان .

(٣) كذا ، والصواب أن أم الفرزدق لبنة بنت قرظلة الضبية ، نص عليه
أبو الفرج في الأغاني (١٩ - ٢) وقال ابن قتيبة (٢٩٦) : « وخال الفرزدق
هو العلاء بن قرظلة الضبي ، وكان شاعرا » وأما ليلى بنت حابس فهي أم غالب
أبي الفرزدق . نص عليه أبو الفرج وابن خلكان الذي أخذ عنه المؤلف أكثر
ما في هذه الترجمة ، وكذلك نص عليه ابن قتيبة .

وابن عمر ، وأبى سعيد الخدري رضى الله تعالى عنهم أجمعين .
 ووفد على الوليد وسليمان ابني عبد الملك ومدحهما . قال ابن النجار : ولم أر له
 وفادة على عبد الملك بن مروان ، وقال السكبي رضى الله عنه : وفد على معاوية ،
 ولم يصح . روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق
 فتحرك فإذا في رجله قيد ، قلت : ما هذا يا أبا فراس ؟ قال : حلفت أن لا
 أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن . وكان كذبر التنظيم لقبر أبيه ، فما جاءه أحد
 واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ عرضه .

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المناضلة بينهما ، والأكثرون
 على أن جريراً أشعر منه ، وقد أنصف الاصفهاني فقال : أما من كان يميل إلى
 جودة الشعر وفخامته وشدة أسرِهِ فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار
 المطبوعين وإلى الكلام السمع الغزل فيقدم جريراً .

وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها [من الوافر] :
 وَكُنْتُ إِذَا نَزَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا
 فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له معها
 قصة يطول شرحها ، وملخص الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت أضافته
 وأحسنَت إليه ، فامتنعت عليه ، وبلغ الخبرُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو
 يومئذ والى المدينة المنورة ، فأمر بإخراجه منها ، فأركب على ناقة لينفي ، فقال :
 قاتل الله ابن المراغة - يعني جريراً - كأنه شاهد هذا الحال حين قال ، وذكر
 البيت السابق .

ومن شعره لما كان في المدينة المنورة [من الطويل] :
 هُمَا دُلَّتَانِ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْتَضَى بَارِ أَقَمَ الرِّيشَ كَاسِرُهُ
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرُهُ
 قَتَلْتُ أَرْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَأَقْبَلْتُ فِي عَجَازٍ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ

أحاذر بوابين قد وكلاً بنا وأسود من ساجٍ قصر مسامره^(١)
فقال جرير لما بلغه ذلك [من الطويل] :

لقد وندت أم الفرزدق فاجراً فجاءت بوزوان^(٢) قصير القوام
يُوصلُ حبليه إذا جنَّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسالم
تدلّيت تزي من ثمانين قامة وقصرت عن باع العال والمكالم
هو الرجس يأهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالغينات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلّى وأقم
فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

وإن حراماً أن أسبّ مقاعساً بأبائِ الشّم الكرام اتخضارم
ولكنّ نصفاً لو سبت وسبى بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك آبائى فجنّى بمنلهم وأعتد أن أهجو كلياً بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الأول جافوا إلى مروان بن الحكم
وهو والى المدينة من قبل معاوية، فقالوا: ما يصلح هذا الشعر بين أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوجب على نفسه الحد! فقال مروان: لست أحده
ولكن أكتب إلى من يحذه، وأمره بأن يخرج من المدينة، وأجله ثلاثة أيام
لذلك، فقال الفرزدق [من الوافر] :

توعّدنى وأجلنى ثلاثاً كما وعِدت لمهلكم آمود

(١) هكذا ورد هذا البيت في أصول هذا الكتاب وفي ابن خلكان.
وقد ورد في الأغاني هكذا :

أحاذر بوابين لا يشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره

(٢) الوزوان : الرجل الخفيف الطياش . ووقع في ابن خلكان «بوزان»
وهى تؤدى معنى حسنا .

ثم كتب مروان إلى عامله كتاباً يأمره أن يحدّه ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجزيرة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه سفيراً وقال للفرزدق :
إني قد قلت شعراً فاسمعه [من الكامل] :

قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ وَالسَّافَهَةِ كَلِمَةً
إِنْ كُنْتَ تَارَكَ مَا أَمَرْتُكَ فَاجْلِسْ^(١)
وَدَعْ الْمَدِينَةَ إِنَّا مَرهُوبَةٌ وَأَقْصِدِ لِمَكَّةَ أَوْ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ
وَإِنْ اجْتَنَيْتَ مِنَ الْأُمُورِ عَظِيمَةً نَحْنُ لِنَفْسِكَ بِالْعَظِيمِ الْأَخْيَسِ
فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال :

يَا مَرُوءُ إِنْ مَطْبِئِي مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الْحَبَاءَ وَرَبِّهَا لَمْ يَبَاسِ
وَحَبُوتِي بِصَحِيفَةٍ مَحْتَمُومَةٍ يُخْشَى عَلَى بَهَا حَبَاءِ الْقُرْسِ
أَتَى الصَّحِيفَةَ يَا فَرَزْدَقُ لَا تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَسِّسِ^(٢)

وأتى سعيد بن العاص الأموي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضي الله تعالى عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة ،
وتوجه إلى البصرة ، فقبل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك

(١) اجلس : ائت المجلساء ، وهي بلاد نجد .

(٢) صحيفة المتلسس : مضرب المثل ، وكان الملك عمرو بن هند قد أوهم
المتلسس - واسمه جرير بن عبد المصيح - وطرفة بن العبد البكري أنه أمر
لها بحباء وعطية ، وكتب لسكل واحد منهما كتاباً إلى عامله يأمره بقتله إذا
ورد عليه ، أما المتلسس فأقرأ صبيّاً كتابه فعلم ما فيه ، فرمى به في اليم ، والتس
النجاح ، وأما طرفة فضى لطيفته حتى إذا ورد على عامل الملك ، أخذه فقتله ،
وفي قذف المتلسس صحيفة ، يقال ذلك الشعر المشهور :

أَتَى الصَّحِيفَةَ كِي يَخْفَ رَحْلُهُ وَازَادَ حَتَّى نَمَلَهُ أَلْقَاهَا
وَأَقْرَأَ تَرْجَمَةَ الْمُتَلَسِّسِ فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَةَ لَا بِنِ قَتِيْبَةٍ (ص ٨٥) وَأَقْرَأَ تَرْجَمَةَ
طَرْفَةَ بِنِ الْعَبْدِ فِيهِ أَيْضًا تَالِيَةً لِتَرْجَمَةِ الْمُتَلَسِّسِ .

لشاعر مضر، فوجه إليه رسولاً و معه مائة دينار، وأرحله^(١) خوفاً من هجائه .
ونزل يوماً في بني منقر والحلى خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية
فراشها ، فصاحت ، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه
فزبرته ونحّته عنها فقال [من الطويل] :

وَأَهْوَنُ عَيْبِ الْمِنْقَرِيَةِ أَنهَا شَدِيدُ بَيْطَانِ الْحَنْظَلِيِّ لُصُوقِهَا
رَأْتُ مِنْقَرًا سَوْدًا وَصَارًا وَأَنْصَرَتْ قَتَى دَارِمِيًّا كَالْهَلَالِ يَرُوقُهَا
وَمَا أَنَا هَجْتُ الْمِنْقَرِيَةَ لِلصَّبَا وَلَكِنَّمَا اسْتَمَصْتُ عَلَى عُرُوقِهَا
فَلَمَّا هَجَّاهَا اسْتَعَدْتُ عَلَيْهِ زَيْدًا فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ ، فَأَظْهَرَ زَيْدٌ أَنَّهُ لَوْ
أَنَاهُ لَهَبَاهُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

دَعَانِي زَيْدٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَبِهِ مَا سَاقَ ذُو حَسْبٍ وَقَرَأَ
وَعِنْدَ زَيْدٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ بَرَى بِهِمْ قَفَرًا
وَأَنْتَى لِأَحْسَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ إِذَا هُمْ سَوْدًا أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمَرًا
قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : سَوْدًا يَعْنِي السَّيَاطَ ، وَالْمُحْدَرَجَةُ : الْقَبُودُ ، وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ يَقَالُ
لَهَا ظَلَمِيَاءُ ، وَهِيَ عَمَةُ اللَّعِينِ الشَّاعِرِ الْمُنْقَرِيِّ .

ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ، ومهم ابن
أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفات إلى الفرزدق ويقول : دعوني أنكحه فلا يهيجونا
أبدًا ، وكان الفرزدق من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ويقول : لا يس جلدك
جلدى ، فيبلغ ذلك جريرا فيوجب على أنه قد كان منه إلى الذى يقول ، فلم يزل
يناشدهم حتى كفّوه عنه .

وركب يوما بقلته ومر بنسوة ، فلما حاذاهن لم تتأكل البغلة ضراطا ، فضحك منه
فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن فما حملتنى أنتى إلا ضرطت ، فقالت إحداهن :
ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما ، فحرك بقلته وهرب .

ويقال : إنه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليهم ، فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول [من الوافر] :

فأردّ السلامَ شيوخُ قَوْمٍ مَرَّتْ بِهِمْ عَلَى سَكِّكَ الْبَرِيدُ
وَلَا سَيْمًا الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ قَطِيفَةُ أَرْجَوَانَ فِي الْقُعُودِ
وقال : ما أعياني جواب قط إلا جواب دهقان مرة ، قال لي : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتني تخرب ضيعتي ؟ قلت : لا ، قال : فتموت عيشونة ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقي في حر أمك ، فقلت : ويحك ، لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع يا ابن الزانية .
وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يقطع فيه ، يعني بذلك سرقة الشعر .
وقال : قد علم الناس أني أغل الشراء ، وربما أتت على الساعة وقلع خرس من أضرارى أهون على من قول بيت .

ومن جيد شعره قوله [من الكامل] :

قالت وكيف يميلُ بِمِثْلِكَ لِلصَّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ وَقَارُ
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْسَ يُصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ
وقيل لعين المنقري : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الوافر] :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالٍ
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَبِيثٌ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالٍ
فَمَا بَقِيًّا عَلَى نَزَكَتَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرْدَ النَّبَالِ
وقال أبو عمرو بن العلاء : حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، فما رأيته أحسن ثقة منه بالله تعالى .

توفي سنة عشر ومائة ، وقيل : سنة اثنتي عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة .
ورثاه جرير بأبيات منها قوله [من الطويل] :

فَلَا وَلَدْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ وَلَا ذَاتُ بَعْلٍ مِنْ فَنَاسٍ تَعْلَتْ
هُوَ الْوَفْدُ الْمِيْمُونُ وَالرَّاتِقُ الثَّأْيُ إِذَا التَّعْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتْ
ورثاه أيضاً بغير ذلك .

وقال ابنه لبطة : رأيت أبي في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : ففعلني
الكلمة التي نازعت فيها الحسن عند القبر ، وذلك أن الحسن البصري لما وقف
على قبر النوار زوجة الفرزدق ، والفرزدق واقف معه والناس ينظرون ، فقال الحسن :
ما للناس ؟ فقال الفرزدق : ينظرون خيرا للناس ، وشر الناس ، فقال : إني لست
بخيرهم ولست بشيرهم ، ولكن ما أعددت لهذا المضطجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله
إلا الله منذ سبعين سنة .

ورؤى في النوم ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن
وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .
وقصته في تزوجه بالنوار ابنة عمه شهبرة ، ورزق منها أولاداً ، وهم : لبطة
وسبطة وكطبة ، وليس لواحد منهم عتب .

*

* *

٨ — سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدُّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَكَسَّكَبُ عَيْنَيَّ الدُّمُوعَ لِتَجْمَدَا

شاهد التعقيد
المعنوي

البيت للعباس بن الأحنف (١) من أبيات من الطويل
والشاهد فيه السبب الثاني الحاصل به التعقيد ، وهو : الانتقال ، فإن
معنى البيت : أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأجيّة لتقربوا ، إذ من عادة الزمان
الإتيان بفسد المراد ، فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب . وأريد وأطلب
الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل الشرور بما هو من عادة الزمان ، فأراد

(١) اشتهرت نسبة هذا البيت إلى العباس بن الأحنف ، وهو لا يوجد
في ديوانه المطبوع في استامبول ١٣٩٨ .

أَنْ يَكْفِي عَذْرُوبِهِ دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ السَّرُورِ بِالْجُودِ ، لَفْظُهُ أَنَّ الْجُودَ هُوَ
 'خَطُّ الْعَيْنِ مِنَ الْبُكَاءِ مَطْلَقًا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ شَيْءٍ آخَرَ ، وَأَخْطَأَ فِي مَرَادِهِ ، إِذْ
 الْجُودُ هُوَ خُذُّ الْعَيْنِ مِنَ الْبُكَاءِ حَالَةً إِذَادَةُ الْبُكَاءِ مِنْهَا ، كَقَوْلِ أَبِي عَطَاءٍ يَرْنَى
 ابْنُ هُبَيْرَةَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَأَسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجُودُ
 وَقَوْلِ كَثِيرٍ عَزَّةَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْفَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا غَدَاةَ الشَّبَابِ لَأَعْيِرِ الْوَجْدِ تَعْمُدُ
 فَلَا يَكُونُ الْجُودُ كِتَابَةً عَنِ السَّرُورِ ، بَلْ عَنِ الْبُخْلِ ، فَيَكُونُ الْإِتِّقَالُ مِنْ
 جُودِ الْعَيْنِ إِلَى بُخْلِهَا بِالدَّمْعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنَ السَّرُورِ ، وَلَوْ كَانَ فِي الْجُودِ
 صِلَاحَةٌ لِأَنَّ يَرَادُ بِهِ عَدَمُ الْبُكَاءِ حَالِ الْمَسْرَةِ ، لَجَازَ أَنْ يَقَالَ فِي الدَّعَاءِ « لَا زَالَتْ
 عَيْنُكَ جَامِدَةً » ، كَمَا يَقَالُ « لَا أَبْكِي اللَّهَ عَيْنُكَ » ، وَهَذَا غَيْرُ مُشْكُوكٍ فِي بَطْلَانِهِ
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ « سَنَّةٌ جَمَادٍ » أَيْ لَا مَطَرٍ فِيهَا ، وَ« نَاقَةٌ جَمَادٍ » أَيْ لَا لَبَنَ فِيهَا .
 وَقَدْ فَسَّرَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ هَذَا الْبَيْتَ بِغَيْرِ هَذَا ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَتِيرٌ يَمُودُ
 عَنْ أَهْلِهِ وَيَسَافِرُ لِيَحْصُلَ مَا يَوْجِبُ لَهُمُ الْقُرْبَ ، وَتَسْكَبُ عَيْنَاهُ الدَّمْعَ فِي بَعْدِهِ
 عَنْهُمْ لَتَجِدَا عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَيْهِمْ . وَأُنْشِدَ [مِنَ الطَّوِيلِ] ^(١)

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقْبَتَ بَارِضُنَا وَلَمْ تَذَرِ أَقْبَى لِلْمَقَامِ أَطُوفُ

وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ خَنِيْمٍ — وَقَدْ صَلَّى طَوْلَ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ :
 أَتَعْبَتَ نَفْسُكَ — فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ رُوحِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ
 ابْنِ الْمُهَلَّبِ — وَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَاقِفًا بِيَابِ الْمَنْصُورِ فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
 قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ فِي الشَّمْسِ — فَقَالَ رُوحٌ : لِيَطْلُوعُ قَعْدُودِي فِي الظَّلِّ .
 وَقَوْلُ الزَّجْجِ فِي أَمَالِيهِ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ ، قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ

(١) البيت لعروة بن الورد ، وانظر الموازنة (ص ٦١ بتحقيقنا)

مطلب ، فأسرعت القيام قبل اهضاء المجلس ، قال لى : إلى أين ؟ ما أراك تصبر
عن مجلس الخلفى ! معنى المبرد ، قلت له : لى حجة ، قال لى : لى آراء فقمم
البحرئى على أبى تمام ، فإذا أتيتَه قُلْ له : ما معنى قول أبى تمام [من أوافر] :
أَأَلَفَةُ التَّحْبِيبِ كَمِ افْتِرَاقِ أَظْلَمَ فَكُلُّ دَاعِيَةِ اجْتِمَاعِ
قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألتُه عنه ، قال : معنى
هذا أن المتحابين والمتماثلين قد يتصارمون ويتهلجان دلالة ، لا عزما على
القطيعة ، فإذا حلز الرجل وأحس بالفراق ، ترجأ إلى الوداد ، وتلقاها
خوف الفراق ، وأن يطول العهد بالانقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع
كما قال الآخر [من الخفيف] :

مُنَّمَا بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُتَجَبِّرَيْنِ بِالْبُكَ وَالْعَنَقِ
وَأُظْلَمَ الْفِرَاقُ فَلْتَقَيْنَا فِيهِ سِهَ فِرَاقُ أَتْرَاهَا بِمَدَقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِخُتْفٍ وَغَدَاةِ الْفِرَاقِ كُلُّ الثَّلَاثِ ؟

قال : فلما عدت إلى مجلس مطلب سألتى عنه ، فأعدت عليه الجواب
والآيات ، قال : ما أشد تمويهه ! ما صنع شيئا ! إنما معنى البيت : أن الإنسان
قد يفارق محبوبه رجاء أن يغمر في سفره فيعود إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف
فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول في البيت الثانى :

وَلَيْسَتْ فَرَحُهُ الْأَوَّلِيَّاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ

وهنا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكَ لِتَرْبُوَ وَتُسْكِبُ عَيْنِي الْمَمُوعَ لِتَجْمِدَا
هَذَا ذَاكَ بَيْنِي .

وذكرت بما تقدم آنفا من أن مدة الزمان الالهي بضد المراد ، أى : وإن كل
على وفق الإرادة الالهية قول الباخرزى [من الكامل] :

وَلَطَمْنَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ مُعَالِظًا وَاحْتَلْتُ فِي اسْتِمَارِ غَرْسِ وَدَادِي

ترجمة العباس
لأخنف

وَرَفِيتُ عَنْ ذِكْرِ الْوَصَالِ لَأَنهَا تَبَيَّنَ الْأُمُورُ عَلَى خِلَافٍ مُرَادَى
والعباس (١) بن الأخنف هو خال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو حنفي يماي،
وكان رقيق الحاشية، لطيف الطباع، وله مع الرشيد أخبار، قال بشار: ما زال
غلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال [من البسيط] (٢):

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْتَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
وَاسْتَبْصَوْنِي فَلَمَّا قُتِ مُنْتَصِبًا بَنَقَلْ مَا حَمَلُونِي مِنْهُمْ قَدُوا
لَا تُخْرِجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَجْهَهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدُ

وكان في العباس آلات الظُّرْف: كان جميل المنظر، نظيف الثوب، فارة
المركب، حسن الألفاظ، كثير النوادر، شديد الاحتمال، طويل المساعدة.

طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال: إن مارية هي الغالبة على أمير
المؤمنين، وإنه جرى بينهما عتب، فهي بدرة دالة المعشوق تأتي أن تستدر،
وهو بمرء الخلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك، وقد رُمْتُ الأمر من قبلها
فأعيايت، وهو أخرى أن تستغزه الصبا، فقل شعرا تسهل به عليه هذه القضية
وأعطاه دواة وقرطاسا، فطلبه الرشيد فتوجه إليه، ونظم العباس قوله
[من الكامل] (٣):

الْعَاشِقَانِ كِلَاهُمَا مُتَغَضِّبٌ وَكِلَاهُمَا مُتَوَجِّدٌ مُتَجَنِّبٌ

(١) تجمد للعباس بن الأخنف ترجمة في ابن خلكان (١ - ٣٨٨) وفي
الأغاني (٨: ١٥ - ٢٥).

(٢) في الديوان (٥٠) أول وثاني ورابع ستة أبيات، وفيه في عجز الثاني
« بنقل ما حملوا من ودم... »

(٣) في الديوان (١٨) وفيه في عجز الأول * وكلاهما متشوق متطرب *
وفي الثاني « مراغمة » و « مراغما » و « مما يعالج يتمب » وفيه في الرابع
« إن تمسكن منكما ».

صَدَّتْ مُنَافِضَةً وَصَدَّ مُنَافِضًا وَكِلَاهُمَا مِمَّا يُعَالِجُ مُتَجَبُّ
رَاجِعٌ أَجَبْتُكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْبَتِّيمَ قَدْ لَا يَتَجَبَّبُ
إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنَّ تَطَاوَلَ مِنْكَ دَبَّ السُّلُوكُ قَمَرٌ الْمَطْلَبُ

ثم قال لأحد الرسل : أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات ، فان كان فيها مقنع وجهت بها إليه ، فعاد الرسول ، وقال : هاتها فني أقل منها مقنع ، فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضاً [من السريع] (١) :

لَا بَدْءَ لِلْمُشَاقِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالْعَزَمِ
حَتَّى إِذَا الْمَهْجَرُ تَمَادَى بِهِ رَاجِعٌ مَنْ يَبْوَى عَلَى رَغَمِ

فدفع بحمي الرقة إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر ، والله لكأنني قُصِدْتُ بهذا ، فقال : والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به ، فقال الرشيد : يا غلام ، هات نعل فأنني والله أراجعها على رغم ، قمهض ، وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشيء ، ثم إن مارية لما علمت بمجيء الرشيد إليها تلقته ، وقالت : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فأعطاهما الشعر ، وقال : هذا الذي جاء بي إليك ، قالت : فمن قاله ؟ قال : العباس بن الأحنف ، قالت : فهم كوفي ؟ قال : ما فعات بعد شيئا ، فقالت : والله لا أجلس حتى يكفأ ، فذر له بمال كثير ، وأمرت هي له بدون ذلك ، وأمر له بحمي بدون ما أوتت به ، وحمل على بردون ، ثم قال له الوزير : من تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى تؤثِّل لك بهذا المال ضيعة ، فاشترى به ضياعاً بجملة من ذلك المال ودفع إليه بقيته . وحدث أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال : حدثني رجل من قریش قال : خرجت حاجتاً مع رفقة لي ، فمررنا عن الطريق لنصلي ، فجاءنا غلام

(١) في الديوان (١٤٥) أول ورابع أربعة أبيات ، وفيه صدرتاني هذين

• حتى إذا ما مضى شوقه •

فقال لنا : هل فيكم أحدهم أهل البصرة ؟ فقلنا : كلنا من أهل البصرة ، فقال :
 إن مولاي من أهلها ويدعوكم إليه ، فقمنا إليه ، فاذا هو نازل على عين ماء ، فجلسنا
 حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا ، وأنشأ يقول [من الرمل]^(١) :

يَا بَيْدَ الدَّارِ عَنْ وَطْنِهِ مُؤَرِّدًا يَبْكِي عَلَى شَجْنِهِ
 كَلَّا جَدَّ الرَّحِيلُ بِهِ زَادَتْ الْأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ

ثم أنحى عليه طويلا ونحن جلوس حوله إذ أقبل طائر فوق على أعلى شجرة
 كان تحتها ، وجعل يفرّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع تقرّيد الطائر ، ثم أنشأ يقول :
 وَلَقَدْ زَادَ الْفُؤَادُ شَجَى طَائِرٍ يَبْكِي عَلَى فَنَنِهِ
 شَعْنُهُ مَا شَفَقَى فَبَكِي كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنِهِ

ثم تنفس نفسا فاضت معه نفسه ، فلم نبرح عنده حتى غسلناه وكفّناه وتولينا
 الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف .
 وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين ، وما ذكر من
 أنه مات هو والكسائي وإبراهيم الموصلي وهشيمة الخثارة في يوم واحد ، وأن الرشيد
 أمر المأمون أن يصلي عليهم ، وأنه قدم العباس بن الأحنف رحمه الله لقوله
 [من الكامل] :^(٢)

وَسَعَى بِهَا قَوْمٌ وَقَالُوا إِنَّهَا لَهَا الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ
 تَجِدُّهُمْ لِيَكُونَ غَيْرَكَ ظَنَّهُمْ إِنْ لِيُعْجِبَنِي الْحَبِيبُ الْجَاهِدُ

(١) في الديوان (١٦٢) أربعة أبيات ، غير متعاقبة على هذا الترتيب
 وفيه في أولها « يا غريب الدار » وفي ثاني هذه « جد البكاء » و« دبت الأسقام »
 وأربعة الأبيات في ابن خلكان مع القصة بترتيبها هنا ، لكن بالالفاظ التي
 في الديوان .

(٢) في الديوان (٤٨) ضمن قصيدة ، وفيه في صدر الأول « سماك لي
 قوم وقالوا » .

ففيه نظر ، لأن الكسائي مات سنة تسع وثمانين ومائة ، على خلاف فيه ، وما كان المأمون من يقدم العباس على مثل الكسائي ، وأيضا فقد روى الصولي أنه رأى العباس بن الأحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام ، والله أعلم أى ذلك كان .

ومن شعره [من الطويل] ^(١) :

وَحَدَّثَنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ فَرَدَّتَنِي
جُنُونًا فَزِدْنِي مِنْ حَدِيدِكَ يَا سَعْدُ
هَوَاهُوهُ لَمْ يَعْرِفِ الْقَلْبُ غَيْرَهُ
فَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ

ومنه أيضاً [من الطويل] ^(٢) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمُطِّقْ إِلَّا شَفَاعَةً
فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعٍ
وَأَقِيمُ مَاتَرَكِي عِتَابَكَ عَنْ قَلْبِي
وَلَكِنْ لِعَلِمِي أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ
وَأَيُّ إِن لَمْ أَزِمِ الصَّبْرَ طَائِعًا
فَلَا بَدَّ مِنْهُ مُكْرَهًا غَيْرَ طَائِعٍ

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة [من الكامل] ^(٣) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْدُبُ نَفْسُهُ
أَقْصِرْ فَإِنْ شِفَاءَكَ الْإِقْصَارُ
نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرْ
عَيْنَا يُعِينُكَ دَمْعُهَا الْمُدْرَارُ
مَنْ ذَا يُمِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا
أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ أَمَارُ ؟ !

وشعره كله جيد ، وجميعه في الغزل لا يكاد يوجد فيه مدح . رحمه الله تعالى ! .

(١) في الديوان (٥٨) أول وثالث ثلاثة أبيات ، وفيه في ثانی هذين « لم يعلم القلب » .

(٢) في الديوان (٩٨) خامس وثاني وثالث خمسة أبيات ، وفيه في ثالث هذه « وأنى إذا لم أزم » .

(٣) في الديوان (٦٨) ضمن قصيدة ، وفيه في أول هذه « المعذب قلبه » وفي ثانیها « عينا لعيرك دمعها مدرار » .

شاهد كثرة
الشكراد

٩ - * سَبَّوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ *

قائله أبو الطيب المنيني ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها سيف الدولة بن

حيدان أولها ^(١) :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوَرِ مِثْلُ لَمَاجِدُ
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرُ وَيَعْمَى الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ
مَتَى يَسْتَقِ مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ فِي الْحَشَا مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ
إِذَا كُنْتُ نَحْشَى الْعَارِ فِي كُلِّ خُلُوعٍ فَلِمَ تَنْصَبُكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ
أَلْحَ عَلَى السَّعْمِ حَتَّى أَلْفَنُهُ وَمَلِّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
أَهْمُ بِشَيْءٍ وَالْيَالِي كَانَهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ
وَحِيدٌ مِنَ الْخِلَافِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ
وَتُسَعِدُنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سَبَّوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
ومنها قوله في المديح :

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِ الْقَصَائِدُ ^(٢)
فَلَا تَعْجِبْ إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
وهي طويلة .

والسبوح : الفرس الحسن الجرى ، يقال : فرسٌ ساج وسبوح ، وخيل سوايح

(١) في الديوان (١ - ٢٦٨) .

(٢) في الديوان « فلم منهم الدعوى » وقال العكبري في شرحه : « قال أبو الفتح : لو قال * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد * لكان أحسن واشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم » اهـ . وأبو الفتح بن جني أعرف الناس بما قال أبو الطيب ، فلعل ما هنا إصلاح للكلام على وفق ما رغب فيه أبو الفتح .

لسبجها يبيديها في مسيرها . وسبوح : اسم فرس لربيعة بن جُثَم ، وهو مرفوع على أنه فاعل « تسعدني » .
 والمعنى : وتعيني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها .
 والشاهد فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات ^(١) وهي قوله « لها منها عليها » والله تعالى أعلم .

* * *

١٠ — * حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ اسْجَعِي *

تتابع
الإضافات

قائله ابن بابك الشاعر المشهور ، من قصيدة من الطويل ، وتامة :

* فَأَنْتِ بَمَرَأَى مِنْ سُمَادَ وَمَسْمَع *

والجرعاء : هي الرملة الطيبة المنبت لا وعرثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدُّعْص لا ينبت ، أو الكنيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال : معظمه ، وكذلك من الماء والرمل وغيره ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام ونحوه .

والمعنى : يا حمامة جرعاء هذا الموضع اسجعي وترني طرباً فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع ، فجدبر لك أن تطربي إذ لا مانع لك منه .
 والشاهد فيه : تتابع الإضافات ، فانه أضاف « حمامة » إلى « جرعاء » و « حومة » إلى « الجندل » وهو من عيوب الكلام .

قال القزويني : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى النقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، أي بقوله « من تنافر الكلمات مع فصاحتها » وإلا فلا يخل بالفصاحة ، كيف وقد جاء في التنزيل (مثل دأب قوم نوح) وقد

(١) في البيت كثرة التكرار ليس غير

قال صلى الله عليه وسلم « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

قيل : لانلم وجود تتابع الاضافات في الحديث الشريف ، إذ لفظة الابن
صفة لما قبلها ، وليس ما قبلها مضافا إليها .

وعن صاحب بن عباد « إياك والاضافات المتداخلة فأنها لا تحسن »
وذكر الشيخ عبد القاهر أنها تستعمل في الهجاء كقول القائل [من الخفيف] :
يا عليُّ بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة في رياره
قال : ولا شك في قتل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملاح وظرف ،

ومما حسن فيه قول ابن المعتز [من الطويل] :
وظلّت تدبر الراح أيدي جاذر عتاق دنانير الوجوه ملاح
وقول الخالدي [من المنسرح] :

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهد
وصبري القريض وزان ديد نادر المعاني الدقاق منقذ
وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدي ^(١) الشاعر المشهور من قصيدة يصف

فيها غلاماً له ، وهي بديعة فأجبت ذكرها ، وهي :

ما هو عبد لكنه ولد خولتيه المهنم الصمد
وشد أزري بحسن خدمته فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة تمازج الضف فيه والجلد
في سن بدر الدجا صورته فمسه يسطفي ويعتقد

(١) هكذا وقع في أصول الكتاب ، ووقع في فوات الوفيات (١ - ٢١٨)
« سعد بن هاشم » وفي البيعة (٢ - ١٨٣ بتحقيقنا) « سعيد بن هاشم »
وهو الصواب ، وهو أبو عثمان الخالدي ، شاعر من شعراء سيف الدولة ،
وحافظ خزانة كتبه ، وأخوه أبو بكر كذلك ، وها الخالديان .

مُشَقُّ الطرفِ كُلُّهُ كَدَلٌ مُعْطَلُ الْجَبَدِ حَلِيَّةُ الْجَبَدِ
وَوَرْدُ حَدِيثِهِ وَالشَّقَائِقُ وَالسَفَاحُ وَالْجَلْدَارُ مُنْتَضِدُ
رِيَاضِ حُسْنِ زَوَاهِرِ أَبَدًا فِيهِنَّ مَاهُ النَّعِيمِ مُطَرَّدُ
وَعَصْنُ بَانٍ إِذَا بَدَا وَإِذَا شَدَا فَقَمَرِيٌّ بَانَةٌ غَرْدُ
مُبَارَكِ الْوَجْهِ مُدَحَّظْتُ بِهِ بَالَى رَحَى وَعَيْشَتِي رَغْدُ
أُنْسَى وَلَهْوَى وَكُلُّ مَا رَبَى مَجْتَمَعٌ فِيهِ لِي وَمُنْفَرِدُ
مُسَامِرِي إِنْ دَجَا الظَّلَامُ فَلِي مِنْهُ حَدِيثٌ كَأَنَّهُ الشَّهيدُ
ظَرِيفُ مَرْحِ مَلِيحٌ نَادِرٌ جَزْهُرُ حُسْنِ شَرَارِهِ يَقْدُ
خَازِنُ مَا فِي دَارِي وَحَافِظُهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ لَدَيَّ مُنْتَقَدُ
وَمُنْفَقُ مُشَقِّ إِذَا أَنَا أَسْرَفْتُ وَبَذَرْتُ فَهُوَ مُقْتَصِدُ
يَصُونُ كُتُبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُدُ
وَأَبْصُرُ النَّاسَ بِالطَّبِيخِ فَكُلُّهُمُ السَّمَكُ الْقَلَايَا وَالْعَنْبَرُ الثَّرْدُ
وَهُوَ يَنْدِيرُ الْمَدَامَ إِنْ جُلِيْتُ عَرُوسُ دَنْ تَقَابِهَا الثَّرِيدُ^(١)
يَمْنَحُ كَأْسِي يَدًا أَنَا مَلُهَا تَنْحَلُّ مِنْ لِيْنِهَا وَتَنْعَقِدُ
تَقَعُّ كَيْسَهُ فَلَا عِيُوجُ فِي بَعْضِ أَخْلَاقِهِ وَلَا أَوْدُ
وَبَعْدَهُ الْبَيْتَانِ ، وَبَعْدَهُمَا أَيْضًا :

وَكُتُبُ تَوْجِدُ الْبَلَاغَةِ فِي الْفَافِظِ وَالصَّوَابِ وَالرَّشْدِ
وَوَاجِدُ بِي مِنْ الْحُبِّ وَالسَّرَافَةِ أَضْعَافَ مَا بِهِ أَجْدُ
إِذَا تَبَسَّمتُ فَبَوَّ مُبْتَسِجٌ وَإِنْ تَنَمَرْتُ^(٢) فَهُوَ مُرْتَعِدُ

(١) فِي الْأَصُولِ « عَرُوسُ بَكَر » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ .
(٢) فِي الْفَوَاتِ « وَإِنْ تَنَمَرْتُ » .

ذَا بَعْضُ أَوْصَافِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ لَهُ صِفَاتٌ لَمْ يَجْهَرْ أَحَدٌ
 وَقَدْ عَارَضَهَا الشَّهَابُ مُحَمَّدٌ بِقَصِيدَةٍ يَذَمُّ فِيهَا غُلَامًا لَهُ، وَهِيَ [مِنَ الْمُسْرَحِ]:
 مَا هُوَ عَبْدٌ كَلَّا وَلَا وَلَدٌ إِلَّا عَنَاءُ تَضَنَّى بِهِ الْكَسِيدُ
 وَفَرَطُ سَتَمٍ أَغْنَى الْأَسَاةَ فَلَا جِلْدٌ عَلَيْهِ يَبْقَى وَلَا جِلْدُ
 أَقْبَحُ مَا فِيهِ كُلُّهُ وَلَقَدْ تَسَاوَتْ الرُّوحُ مِنْهُ وَالْجَسَدُ
 أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْقَرْدِ فَهُوَ لَهُ إِنْ كَانَ لِلْقَرْدِ فِي الْوَرَى وَلَدُ
 ذُو مُقَلَّةٍ حَشُو جَنَّتْهَا عَمَصَ تَسِيلُ دَمْعًا وَمَاهِنًا رَمَدُ
 وَوَجَنَةٌ مِثْلُ صَبْغَةِ الْوَرَسِ لَكِنْ ذَاكَ صَافٍ وَلَوْهَا كَمِدُ
 كَأَنَّمَا الْخَدُّ فِي نَظَافَتِهِ قَدْ أَكَلَتْ فَوْقَ صَحْنِهِ غُدْدُ
 يَقَطُرُ سَمًّا فَضَحَكَ أَبَدًا شَرُّ بُكَاءٍ وَبِشْرُهُ حَرْدُ
 يَجْمَعُ كَقَمِيهِ مِنْ مَهَانَتِهِ كَأَنَّهُ فِي الْهَجِيرِ مُرْتَمِدُ
 يُطْرِقُ لَا مِنْ حَيًّا وَلَا خَجَلٍ كَأَنَّهُ لِلتَّرَابِ مُنْتَقِدُ
 أَلَسْكَ إِلَّا فِي الشَّتَمِ يَنْبَحُ كَالدِّ كَلْبٍ وَلَوْ أَنَّ خَصْمَهُ الْأَسَدُ
 يَشْتَمِي النَّاسَ حِينَ يَشْتَمُهُمْ إِذْ لَيْسَ يَرْضَى بِشْتَمِهِ أَحَدُ
 كِلَانٍ إِلَّا فِي الْأَكْلِ كُلِّهِ إِذَا مَاحَضَرَ الْأَكْلُ جَمْرَةً فَقَدْ
 كَالنَّارِ يَزِمُ الرِّيحَ فِي الْخُطْبِ الْيَابِسِ تَأْتِي عَلَى الَّذِي تَجِدُ
 يَرْفُلُ فِي حُلْمَةٍ مُنْبَسَةِ مِنْ قَمَلِهِ رَقَمَ طَرْزَهَا طَرْدُ
 أَجْمَلُ أَوْصَافِهِ النَّمِيَّةُ وَالذُّبُّ كَذَبُ وَقَلُّ الْحَدِيثِ وَالْحَسَدُ
 كُلُّ غُيُوبِ الْوَرَى بِهِ اجْتَمَعَتْ وَهُوَ بِأَضْعَافٍ ذَاكَ مُنْفَرِدُ
 إِنْ قُلْتَ لَمْ يَدِرْ مَا قَوْلُ وَإِنْ قَالَ كِلَانًا فِي الْفَهْمِ مُتَّحِدُ
 كَانَ مَالِي إِذَا تَسَلَّمَهُ مَاءُ قَرَاحٍ وَكَفُّهُ سَرْدُ

حَمَلَتْهُ لِي دُويَّةٌ حَسَنَتْ كُنْتُ عَلَيْهَا فِي الظَّرْفِ أَعْتَمَدُ
كَمَثَلِ زَهْرِ الرِّياضِ مَا وَجَدْتُ عَيْنِي لَهَا مُشَبَّهًا وَلَا تَجِدُ
فَرًّا يَوْمًا بِهَا عَلَى رَجُلٍ لَدَيْهِ عِلْمُ الصُّورِ يَسْتَنْدُ
أَوْ دَعَا عَنْدهُ فَفَرَّ بِهَا وَمَا حَوَاهُ مِنْ بَعْدِهَا الْبَلَدُ
فَبَاءَ يَبْكِي فَظَلْتُ أَضْحَكُ مِنْ فَعَلِي وَقَلْبِي بِالْفَيْضِ يَنْقَدُ
وَقَالَ لِي لَا تَخَفْ لِحَايَتِهِ مَسْهُورَةُ الشَّكْلِ حِينَ يَنْقَدُ
عَلَيْهِ ثَوْبٌ وَعَمَّةٌ وَلَهُ ذَقْنٌ وَوَجْهٌ وَسَاعِدٌ وَيَدُ
وَقَاتِلٌ بِهِ قُلْتُ خُذْهُ وَلَا وَزَنُّ تَجَاوَزِي بِهِ وَلَا عَدُ
فَفِي الَّذِي قَدْ أَضَاعَهُ عِرْضُ وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ

ومثله قول راشد الكاتب في غلام له قد باعه ، وكان اسمه نفيسا فسماه خيسيا

[من البسيط] :

بِعْنَا خَيْسًا فَلَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدُ وَغَابَ عَنَّا قَنَابَ الْهَمِّ وَالْكَدُ
أَهْوَنُ بِهِ خَارِجًا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا لَمْ تَنْقُدْهُ وَكَلْبُ الدَّارِ يُنْقَدُ
قَدْ عَرَّيْتُ مِنْ صُنُوفِ الْخَيْرِ خِلْقَتَهُ فَلَا رُوءَاءَ وَلَا عَقْلٌ وَلَا جِلْدُ
يَدْعُو الْفَعُولَ إِلَى مَا تَحْتَ مِثْرِهِ دُعَاءُ مَنْ فِي اسْتِهِ النَّيْرَانُ تَنْقَدُ

وقال فيه أيضاً [من الطويل] :

عَرَضْنَا خَيْسًا فَاحْتَمَى كُلُّ تَاجِرٍ شِرَاهُ وَأَغْنَى يَنْعُهُ كُلُّ دَلَالٍ
وَمَا بَاتَ فِي قَوْمٍ يُحِبُّونَ قُرْبَهُ فَأَصْبَحَ إِلَّا وَالْحُبُّ لَهُ قَالِي^(١)
فَمَا فِي يَدَيْهِ خِدْمَةٌ يُشْتَبَى لَهَا وَلَا عَنْدهُ مَعْنَى يُرَادُ عَلَى حَالٍ
بَلَى لَيْسَ يَخْلُو مِنْ مَعَايِبِ أَهْلِهِ وَإِنْ أَصْبَحُوا فِي ذِرْوَةِ الشَّرَفِ الْعَالِي

(١) قال : . يبغيض كارهه ، فلاه يقلوه ، وفلاه يقليه : أبلغه .

إِذَا لَمْ يَجِدْ فِيهِمْ مَقَالًا زَمَامُهُ
وَيَحْتَالُ فِي اسْتِخْرَاجِ مَا فِي بُيُوتِهِمْ
وَأَبْنُ سَمْلُوهُ سِيرٌ أَمِيرٌ أَذَاعُهُ
وَيَعْبَثُ بِالْجِيرَانِ حَتَّى يُبْلَغَهُمْ
بُرْهَانُهُمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ حَقَّقَاتِهِ
أَقُولُ وَقَدْ مَرَوْا بِهِ يَرْضَوْنَهُ
بِمَعْضِ عِيُوبِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِ
بِمَا قَصَرَتْ عَنْهُ يَدُ أَكْلٍ مُحْتَالٍ
وَكَاذَهُمْ فِيهِ كِبَادَةُ مُقْتَالٍ
وَيُيْرِمُ أَهْلَ الدَّارِ بِالْقِلِيلِ وَالْقَالَ (١)
أَعْلَاجِيْبَ لَمْ تَخْطُرْ يَوْمَ وَلَا بَالٍ
إِلَى النَّارِ فَاهْزَبْ لَا رَجَعْتَ وَلَا مَالِي

وقال العلامة ابن الوردي رحمه الله يهجو عبداً له اسمه بهادر [من الطويل] :

بِهَادِرُ عَبْدٌ لَا يَهْلَا وَلَا دُرٌّ فَمَا أَنَا حُرٌّ يَوْمَ قَوْلِي لَهُ حُرٌّ

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد (٢) بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين الكثيرين ، وهو بغدادى ، وله ديوان كبير وأسلوب رائع في نظم الشعر ، طاف البلاد ، ومدح الأكابر كمضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما ، وأجرلوا له الجوائز ، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يشنؤ في حضرة الصاحب بن عباد ويصيف في وطنه ، وقد ذكر ذلك في بعض قصائده (٣) ، قال :
وقرأت للصاحب فصلا في ذكره فاستملحته ، وهو «أما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فانما تُغشى منازل الكرام ، والمثل العذب كثير الزحام»

ومن شعره في وصف الحمر من قصيدة [من الطويل] :

(١) ييرم أهل الدار : يملهم ويورثهم السامة .

(٢) لابن بابك ترجمة في ابن خلسكان (١-٥٣٢) وفي يتيمة الدهر للشعالبي

(٣٤٣ مصر)

(٣) ذلك قوله :

وحادث بالمراج أخا اشتياق
له بالريف من جرحان مشق
يلعب ظله جسد مخيف
وبالنخلات من غمى مصيف

غَفَارٌ عَلَيْهِمَا مِنْ دَمِ الصَّبِّ نُقْطَةٌ. وَنَّ عِبْرَاتِ الْمُسْتَهَامِ قَوَاقِعُ^(١)
 مُمَوَّدَةٌ غَضَبِ الْعُقُولِ كَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرُّجَالِ وَدَائِعُ
 تَجَبُّرٍ دَمَعُ الْمَزِينِ فِي كَأْسِهَا كَمَا تَجْبُرُ فِي وَرْدِ الْخُدُودِ الْمَدَامُ
 وله من أخرى في وصف إضرار النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب
 [من البسيط] :

وَمَقْلَةٌ فِي بَحْرٍ الشَّمْسِ مَسْجُوبًا أَرْعَيْتَهَا فِي شَبَابِ السُّدَّةِ الشُّبَا
 حَتَّى أَتَيْتَنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ فَاتِرَةٌ وَجَهَ الصَّبَاحِ بِذِيلِ اللَّيْلِ مُنْتَقِبًا
 وَلَيْلَةٍ بَتُّ أَشْكُو الْهَمُّ أَوْلَهَا وَعَدْتُ آخِرَهَا أَسْتَجِدَّ الطُّرْبَا^(٢)
 فِي غَيْصَةٍ مِنْ غِيَاظِ الْحَسَنِ دَانِيَةٍ مَدَّ الظَّلَامُ عَلَى أُرَاقِهَا طُنْبَا^(٣)
 يُهْدِي إِلَيْهَا مُجَاجِ الْخَرِّ سَاكِنُهَا وَكَلَّمَ دَبَّ فِيهَا أَثْمَرَتْ لَهَا
 حَتَّى إِذَا النَّارِ طَاشَتْ فِي ذَوَائِبِهَا عَادَ الزُّمْرُدُ مِنْ عِيدَانِهَا ذَهَبَا
 مَرَقَتْ مِنْهَا وَتَفَرُّ الصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ إِلَى أَغْرِ يُرَى الْمَذْخُورُ مَا وَهَبَا
 وله أيضاً [من البسيط] :

أَحْبَبْتُهُ أَسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّوْرَةَ فِي عَيْنِهِ عِدَّةٌ لِلْوَصْلِ مُنْتَظَرَةٌ
 لَدُنَّ الْمَقْلَدِ مَخْطُوفِ الْحَشَا تَمْلَأُ رَخَصَ الْعِظَامِ أَشْمُ الْأَنْفِ وَالْقَصْرَةَ
 لِلظُّلِيِّ لَفْتَتُهُ وَالْفَصْنِ قَامَتُهُ وَالرُّوْضِ مَا بَنَتْهُ وَالزَّمْلِ مَا بَسْتَرَتْهُ
 تَسْكَادُ عَيْنِي إِذَا خَضَتْ مُحَاسَنَهُ إِلَيْهِ أَثْمَرُهُ مِنْ رِقَّةِ الْبَشْرَةِ
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَمْلَكْتُهَا شَرَهَتْ شَوْقًا إِلَيْهِ وَفِي عَيْنِ الْحَبِّ شَرُهُ

(١) في اليتيمة « من دم الصب نفقة » .

(٢) في الأصول « بت سلواهم » ولعله محرف عن « بت سلواهم »

(٣) في اليتيمة « من رياض الحزن » وفي الأصول « على أوراقها » وما
 أُنْبِتْنَا فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْيَتِيمَةِ .

ومنه [من البسيط] :

زَمَرُ الغروبِ وأصواتُ النواخيرِ والشربُ في ظلِّ أكواخِ المناطيرِ
وصرعةُ بينَ إبريقٍ وباطيةٍ وقرقةُ بينَ مِزمارٍ وطنبورِ
أشهى إلى مِنَ البِدَاءِ أعنفُها ومنَ طُلوعِ الثنايا الشَّهَبِ والقورِ
يأربُّ يَوْمَ على القاطولِ جاذبي صَبَحَ الزُّجَاجَةِ فيه فَضْلَةُ النورِ
صدَّعتُ طرتهُ والشمسُ قاصِدةٌ في يَلقُ منَ ضبابِ الدجَنِ مَزُورِ
كأنَّ ما ائْتَلَّ مِنْ أَهْذابِ مَرُنتِهِ دَمَعٌ تَساقَطَ منَ أَجنانِ مَهِجورِ
فَينَ رشاشٍ على الرِّيحانِ مُنتَحِرٍ ومنَ رَدَاذِ على المنشورِ مَنثورِ
ومن شعره أيضاً [من الكامل] :

وغيرِ ماءِ أغممتُ أطرافهُ كالدمعِ لما ضاقَ عنهُ بحالُ
فمرُّ الرياضِ إذا الغُصُونُ كعدَّتْ وإذا الغُصُونُ تَهَدَّلَتْ فِهْلالُ
ومنه وهو غريب التشبيه [من البسيط] :

وإِني الشَّاهُ فَبِرُّ النُّورِ بهِجتهُ فَعَلَ المَشِيبَ بِشعرِ اللَّمَّةِ الرَّجُلِ
وَرَدَّ تَفَتَّحَ ثُمَّ ارْتَدَّ مُجَنِّمًا كَمَا تَجَمَّعَتِ الأَفْواءُ لِلْقَبْلِ
وقد أخذهُ الأميرُ مجير الدين بن نعيم مع زيادة التضمين فقال [من الكامل] :
رَسِيتُ إِلَيْكَ مِنَ الحَدَائِقِ وَرَدَّةً وَأَتَيْتُكَ قَبْلَ أَوَانِهَا تَطْفِيلًا
طَمَعْتُ بِلَيْتِكَ إِذْ رَأَيْتُكَ فَجَمَّعْتُ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا
وهذا التضمين من بيت للمتنبي في وصف الناقة وهو [من الكامل] :
وَيُغَيِّرُنِي جَذْبُ الزُّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا
فقله ابن نعيم إلى وصف زرد الورد فأحسن غاية الإحسان ، وهو من قول
مسلم بن الوليد [من الكامل] :

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤْسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبْنَ سِرَّ حَثٍ فِي الْمَجْلِسِ

وفي مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدي دوبيت :

ووردة تحكى بسبق الورد طليعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد ضم فمها لقلعة من بُعد
وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللقوى ^(١) صاحب كتاب الفصوص يصف
باكرة ورد حلت إلى أبي عامر مجد بن أبي عامر الملقب بالنصور [من المتقارب] :

أَتَشْكُ أبا عامر وَرْدَةً يُحَاكِي لَكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَعِذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَغَطَّتْ بِأَكْبَامِهَا رَأْسَهَا

فاستحسن النصور ما جاء به ، فحسده الحسين بن العريف فقال : هي لباس
ابن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأتبتها
في صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهي
[من المتقارب] :

عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَلَ النَّوْمُ حُرَاسَهَا
فَالْفَيْتَهَا وَهِيَ فِي خِيَرِهَا وَقَدْ صَدَعَ السَّكْرُ أَنْفَاسَهَا ^(٢)
فَقَالَتْ : أَسَارِ عَلَى هِجْمَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، قَرَمْتُ كَلْسَهَا
وَمَدَّتْ إِلَى وَرْدَةٍ كَفَّهَا يُحَاكِي لَكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَعِذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَغَطَّتْ بِأَكْبَامِهَا رَأْسَهَا
وَقَالَتْ : خَفِ اللَّهُ لَا تَفْضَحْ حَسْنَ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى غَفْلَةٍ وَلَا خُنْتُ نَامِي وَلَا نَامَهَا

قال : فنجعل صاعد ، وحلف فلم يقبل منه ، وافترق المجلس على أنه سرقها

(١) له ترجمة في نفح الطيب (٢ - ٢٧٦ بولاق) وفي الذخيرة لابن بسام
(ق ٤ ج ١ ص ٢) وقد رويت هنالك القصة والأبيات كلها .

(٢) في المطبوعتين « إيناسها » وما أتبتناه موافق لما في الذخيرة والنفع

وتمكنك في صاعد لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله .

ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد [من الكامل] :

وَقَدْ تَبَيَّنَتْ بِإِلَيْكَ تَحْمِلُ بَرِّقِي حَرْفٌ يُسَكِّنُ حَيْثُهَا الْفَدْلَانُ

يَتَنَبَّيْ أَنْزَعُورُ حُضْنَهَا فَكَانَهُ غَرَّرَ بِحُلُولِ قَبِهِ ثُمْبَانُ

وقد زاد فيه على المتن وقد ذكر الخليل [من الطويل] :

فَجَانِبُ فِيهَا لِصَبَاحِ أُعْنَةٍ كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا

وهو من قول ذي الرمة [من الطويل] :

وَجَمِيعَةُ أَشْغَامٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شَجَاءٌ عَلَى رُسْرِ الْمَذْرَاعَيْنِ مُطْرَقُ

على أن ذا الرمة لم يرد على التشبيه شيئاً، وانتفى أي به في عرض بيته ،

وزاد مقصد آخر ، وهو أن الخليل لا يترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها لما

فيها من سورة النرج وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أطاع تلذغ

أعناقها إذا بشرتها ، فتجانبها الفرسان الأعنة وهي تجاذبهم إليها ، وهذا لم

يقصده ذو الرمة ولا يؤخذ من بيته .

ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة ، وهو [من الوافر] :

وَمَرَّ بِي النَّسِيمُ فَرَّقَ حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَكُوتُ إِلَيْهِ مَا بِي

وقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على صاحب بن عباد وأنشده مدامه فيه

طعن عليه بعض الحاضرين ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالها

ابن نباتة السدي ، فأراد صاحب ابن عباد أن يمنحه فاقترح عليه أن يقول

قصيدة يصف فيها الغيل على وزن قول عمرو بن معدى كرب [من الكامل] :

أَعْدَدْتُ لِلْعَدُوِّ سَائِلَةً وَعَدَاءٌ عَلَنَدِي

قال [من الكامل] :

فَمَا لَقَدْ نَشَرَ الْحَيَا بِنَاكِبِ الْعَلَمَيْنِ بُرْدَا

وَتَنَفَّسَتْ بِمَنْيَةٍ تَنْفُضُكَ الزَّهْرُ الْمُنْدَى
وَجَرِيحَةُ الْبَقَاتِ تَنْشُرُ مِنْ سَقِطِ الدَّمْعِ عَقْدًا
تَلْعَنُهَا حَلَبُ الشُّؤْنِ وَلَقَدْ اسْتَمِرَّتْ وَجِدًا
وَمُتَّحِلِي لِي قَدْ شَقَّقْتُ إِذْ أَمُو فِي فِئَلُنَا
لَا تَزِمُ بِي فَأَنَا الْقَوِي صَبَرْتُ حَرَّ الشَّمْرِ عَيْدًا
بِشَوَارِدِ شَمْسِ الْقِيَا دَبَّرَدْنِ عِنْدَ الْقُرْبِ بُدَا
وَمَتَكَ الْبُرْدَيْنِ فِي شِبَعِ النَّفَاسَةِ وَقَدْ
وَكُنَّا نَسَجَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّهَامِ الْجَوْنِ جَلْدًا
وَإِذَا لَوْنُكَ صِفَانَهُ أَعْطَاكَ نَسَّ الرُّومِ قَدْ
فَكَانَ بِمِصْرٍ غَلَامٍ فِي مَارِضَةٍ إِذَا تَصَدَّى
وَكُنْتُ عَوْدًا عَاطِلًا فِي مَتَحْنِهِ إِذَا تَبَدَّى
يَحْدُو قَوَائِمَ أَرْبَعًا يَتَرَكْنَ بِالتَّلْمِ وَهَدَا
جَابُ الْمُطَوَّقِ قَدْ قَرَّ دَ بِالْكَرَاهَةِ وَاسْتَبَدَا
فَإِذَا تَجَلَّلَ هَضْبَةٌ فَكَانَ ظِلُّ الْبَيْلِ مَدَا
وَإِذَا هَوَى فَكُنْ رُكْنًا مِنْ عُيُنٍ قَدْ نَزَدَى
وَإِذَا اسْتَقَلَّ رَأَيْتَ فِي أَعْطَانِهِ هَزْلًا وَجِدًا
مُنْقَرَطًا أَذْنًا نَمَى زَجَرَ الْمُسُوفِ إِذَا تَمَدَّى
خَرَقًا لَا يَجِدُ السَّرَا رُ إِذَا تَوَلَّجَهَا مَرَدَا
أَوْطَانُهُ صَرَعِي رَسَبَ فِي وَاجْتَنِبْتُ وَصَلَ سُمْدَى
مَلِكُ رَأَى الْإِحْسَانِ مِنْ عُدُوِّ النَّوَائِبِ فَاسْتَعْدَا
كَافَى الْكُفَاةِ إِذَا انْتَبَهَ مَقْلُ الْقَنَا الْخَطَرِ رُمْدَا

تَكْسُوهُ نَشَرَ الْعَرَفِ كَسَفٌ مِنْ جُفُونِ الطَّلِّ أُنْدَى
لَا زَلَّتْ يَا أَمَلَ الْعَفَاةِ لِفَارِطِ الْإِمْلَاقِ وَرَدَا
فَاتَّقِ الْيَلِيَّ لَا بَسًا عَيْشًا بَرُودَ الطَّلِّ رَغَدًا

فاستحسنها صاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه أنه انتحل شعر
غيره ، فقال : يا مولانا هذا والله مع ستون قبيلة كلها على هذا الوزن لابن نباتة
فضحك منه .

وكان صاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من الشعراء الذين يحضرته
أن يصفوا الفيل على هذا الوزن ، فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري :
يَزْهُو بِخُرْطُومٍ كَشَلِّ الصَّوْجَانِ يَرْدَ رَدَا
مَتَمِدُّ كَالْأَفْعُوَا نَ تَمَدُّ الرَّمْضَاءُ مَدَا
أَوْ كَمُ رَاقِصَةٍ تُشِيرُ بِهِ إِلَى النَّدْمَانِ وَجَدَا
وَكَاثُهُ بُوقٌ يُحْمِرُكَ لِيَنْفَخَ فِيهِ جَدَا
يَسْطُو بِصَارِمِي لَحْسَى يَحْطَانِ الصَّخْرَةَ هَدَا
أَذْنَاهُ مِرْوَاحَتَانِ أَسْنَدَتَا إِلَى الْفَوْدَيْنِ غَدَا
عَيْنَاهُ غَاثَتَانِ ضَيَّقَتَا لَجَمِ الضَّوِّ عَمَدَا
ومن قصيدة لأبي محمد الخازن :

وَكَاثُمَا خُرْطُومُهُ رَاوُوقُ خَرٍّ مَدَمَدَا
أَوْ مِثْلُكُمْ مُسْبِلٍ أَرْخَنَهُ لِلتَّوْدِيْعِ سَعْدَى
وَإِذَا التَّوَى فَكَأَنَّهُ السَّعْبَانُ مِنْ جَبَلٍ تَرْدَى
وَكَاثُمَا انْقَلَبَتْ عَصَا مُوسَى غَدَاةً بِهَا تَحْدَى
وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى !

شواهد الفن الأول، وهو علم المعاني

-

١١ - جاء شقيق عارضاً رُوحَهُ * إِنَّ بَنِي عَمَكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

البيت لحجل بن فضلة ، من السريع ، وبمعه :

هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا ذِائَةً أَمْ هَلْ رَمَتْ أُمَّ شَقِيقٍ سِلَاحُ
شقيق هنا : اسم رجل .

والمعنى : جاء هذا الرجل واضاً رُوحه عرضاً مفتخراً بتصرف الرماح ، مُدلاً
بشجاعته ، دالاً ذلك على إعجاب شديد منه واعتقاده بأنه لا يقوم إليه أحد من بني
أعمامه كأنهم كلهم عَزَلٌ ليس مع أحد منهم رمح فقيل له : تنكّب واخلّ لهم طريقهم
لثلاثتهم عليك رماحهم وتترأّس عليك أسننتها ، إن بني عمك فيهم رماح كثيرة
والشاهد فيه : تنزيل غير المنكر للشيء منزلة المنكر له إذا ظهر عليه شيء
من أمارات الإنكار ، وقد تقدم معناه

وما أحسن قول ابن جابر الأندلسي مشيراً إلى شطر البيت الأول

[من السريع] :

سَامِحٌ بِالْوَصْلِ عَلَى بُحْلِهِ وَقَالَ لِي أَنْتَ يَوْصِلِي حَقِيقُ
فَقُلْتُ مَا رَأَيْكَ فِي زُرْهَةٍ مَا بَيْنَ كَاسَاتِ وَرُوضِ أُنَيْقُ
فَقَالَ يَعْنِي خَدَّهَ وَاللَّامَا هَذَا هُوَ الرَّوْضُ وَهَذَا الرَّحِيقُ
فَبَتُّ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ خَدَّهَ مَا بَيْنَ نُعْمَانَ وَبَيْنَ الْعَقِيقُ
وَإِذْ تَدَلَّلْتُ عَلَى حُبِّهِ فَقَالَ مَا تَخْشَى أَمَّا تَسْتَفِيقُ
قَدَى وَخَدَى خَتَمَاهَا يَا فَنِي هَذَا هُوَ الرُّمُحُ وَهَذَا شَقِيقُ

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي أيضاً فقال [من السريع] :

أَبَدْتُ لَنَا الصَّدْعَ عَلَى خَدِّهَا فَأُطْلَعَ اللَّيْلُ لَنَا صَبْحُهُ
فَحَدَّثَهَا مَسْجَ قَدْهَا قَائِلُ هَذَا شَقِيقُ عَارِضِ رُوحِهِ

وقد ضمنه ابن الوردي أيضاً فقال [من السريع] :

لَا رَأَى الزُّهْرُ الشَّقِيقَ انْتَنَى مِنْهُزِمًا لَمْ يَسْتَطِعْ لَمَحُهُ

تنزيل هو المنكر
منزه الفكر

وقال : مَنْ جاء ؟ فقلنا له : جاء شقيقٌ عارضاً رُمحه
وأما حجل بن فضالة فهو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

١٢ — أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ الْفَدَاةَ وَمَرَّ الْعَيْتَ شواهد الاسناد

البيت للصّلتان المبدى الحماسي^(١) من قصيدة من المتقارب . ونسب الجاحظ
في كتاب الحيوان هذه الأبيات للصّلتان السعدى ، وقال : هو غير الصّلتان
المبدى ، وبعد البيت :

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فِتْيِ^(٢)
زُرُوحٌ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِ
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ قَدْ رُئِيَ أُرُوْنِي السَّرَى أَرُوكَ الْغَنَى
بُنَى بِدَاخِبٍ نَحْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سَرِّكَ خَبَّ النَّجَى^(٣)
فَسَرُّكَ مَا كَانَ عَيْنَ امْرِئٍ وَمَرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفَى

(١) الحماسي : أحد شعراء ديوان الحماسة الذي اختاره أبو تمام حبيب
ابن أوس الطائي من شعر العرب ، وانظر شرح التبريزي بتحقيقنا (٣-١٩١)
آخر باب الأدب .

(٢) في الحماسة « إذا ليلة هربت »

(٣) في الأصول « خبء » بالهمز ، في صدر البيت وعجزه ، وما أثبتناه
عن الحماسة ، والخب — بكسر الخاء — المكر والخديعة ، والخب — بفتح
الخاء — الوصف منه ، أي الماكر المخادع . وقبل هذا البيت في الحماسة
قوله :

ألم تر لقمان أوصى ابنه وأوصيت عمر أفنعم الوصي

فَكُنْ كَابِنٍ لَيْلٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِذَا مَا سَوَادٌ بِلَيْلٍ خَشَى^(١)
 فَكُلُّ سَوَادٍ وَإِنْ هِئَنَهُ مِنْ اللَّيْلِ يُخْشَى كَمَا تَخْشَى
 أَرْدَ حُكْمَ الشَّعْرِ إِنْ قُلْتَهُ فَإِنَّ السَّكَّامَ كَثِيرُ الرُّوَى
 كَالصَّغْتِ أَدْنَى لِبَعْضِ اللِّسَانِ وَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِعَيْنِ

ومعنى البيت : أن كرور الأيام ومرور الليالي يجعل الصغير كبيراً والطفل شاعياً^(٢) والشَّيْخُ فَانِيَا .

والشاهد فيه : حل إسناد الانقضاء إلى كرور الأيام ومرور الليالي على الحقيقة لكون إسناده إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

والصلتان العبدى هو قُتَمِّ بْنِ خَبِيَّةَ^(٣) بن عبد القيس^(٤) وهو شاعر مشهور قيل له : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الطويل]^(٥) :

(١) هذا البيت والبيتان بعده لا توجد في الحماسة .

(٢) هذا استعمال ردى ، والجيد أن يقال : شاب يشيب فهو أشيب .

(٣) وقع في الأصول « بن حبيبة » محرفاً ، والتصويب عن الخزاعة (١ - ٣٠٨) . قال : « خبية بفتح الحاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتيّة وأصلها الحمز » اهـ .

(٤) هو أحد بني محارب بن عمرو بن وداعة بن عبد القيس ، فنسبه هنا إلى جده الأعلى ، أو الصواب « من عبد القيس » بدل « بن عبد القيس »

(٥) وردت هذه القصيدة في خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٣٠٥) وقال قبل إيرادها : « عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً ، وأوردها المبرّد في كتاب الاعتناء ، والقالي في أماليه ، وابن تيمية في كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتاً » اهـ . وانظر أمالي القالي (٢ - ١٤١) دار الكتب .

أَنَا الصَّلْتَانُ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمُو متى مَا يُحْكَمُ فَبِالْحَقِّ صَادِعُ^(١)
 أَتَنَى تَمِيمَ حِينَ هَابَتْ قَضَائِيَا وإِنِّي لِبِالْفَصْلِ الْمُبِينِ قَاطِعُ
 كَمَا أَفَنَدُ الْأَعْشَى قَضِيَّةَ عَامِرٍ وما لَتَمِيمَ فِي قَضَائِي رَوَاجِعُ^(٢)
 سَأَقْضِي قَضَاءَ بَيْنَهُمْ غَيْرَ جَائِرٍ قَهْلُ أَنْتَ لِلْحَكَمِ الْمُبِينِ سَامِعُ
 قَضَاءَ امْرِئٍ لَا يَتَّقِي الشَّمَّ مِنْهُمْ وليسَ لَهُ فِي الْمُدْحِ مِنْهُمْ مَنَافِعُ^(٣)
 فَإِنْ كُنْتُمَا حَكَمْتُمَايَ فَأَنْصَتَا وَلَا تَحْزَعَا وَلْيَرْضَ بِالْحَقِّ قَانِعُ^(٤)
 فَإِنْ يَكُ بَحْرُ الْحَنْظَلِيِّينَ وَاحِدًا فَمَا تَسْتَوِي حَيَاتُهُ وَالضَّفَادِعُ
 وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَاقَةِ وَرُجْجُهَا وما يَسْتَوِي شُمُّ الذَّرَى وَالْأَجَارِعُ^(٥)
 وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقَدَامَى وَرَيْشِهِ وما تَسْتَوِي فِي الْكَفِّ مِنْكَ الْأَصَابِعُ^(٦)
 أَلَا إِنَّمَا تَحْطَى كَلِيبٌ بِشَعْرَهَا وبِالْجَدِيدِ تَحْطَى دَارِمٌ وَالْأَفَارِعُ

(١) في الخزانة « أنا الصلتان والذي قد » وفيه « فهو بالحكم صادع »
 وفي الأمل « أنا الصلتاني الذي قد »

(٢) في الخزانة « وما لتميم من قضائي » والبيت يشير إلى قصة المنافرة
 بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ودخول الأعشى ميمون بن قيس بينهما
 وقوله من قصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

(٣) في الخزانة « وليس له في الحمد منهم » .

(٤) في الخزانة « فإن كنتم حكمتماي فاصمتا » وفيها وفي الأمل « وليرض
 بالحكم قانع » وفيها بيتان بين هذا البيت والذي بعده .

(٥) في أصول هذا الكتاب « والأكارع » محرفاً ، وما أثبتناه عن الخزانة
 والأمل .

(٦) في أصول هذا الكتاب « وليس الذنابي كالقدامى » وهو تحريف
 صوابه عن الأمل .

أرى الخطيئة بذَّ الفرزدقَ شِعْرهُ وَلَكِنْ خَيْرًا مِنْ كَلْبٍ مُجَاشَعٍ^(١)
 فَيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كَلْبٍ تَوَاضَعُ
 وَيَرْفَعُ مِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ أَنَّهُ لَهُ بَاذِخٌ لِذِي الْحُسَيْسَةِ رَافِعُ^(٢)
 وَقَدْ يُحْمَدُ السِّيفُ الرَّدْيُ بِغَمْدِهِ وَتَقْلَاهُ رَثًا جَفْنُهُ وَهُوَ قَاطِعُ^(٣)
 يُنَادِي النُّصَرَ الْفَرَزْدَقُ بِمَمَّا . أَنَاخْتُ عَلَيْهِ مِنْ جَرِيرٍ صَوَاقِعُ
 قُلْتُ لَهُ إِنِّي وَنَصْرَكَ كَالَّذِي يُثَبِّتُ أَنْفًا كَشَّمْتَهُ الْجَوَادِعُ
 وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عِبْرَةٍ مَتَى كَانَ حَكَمُ اللَّهِ فِي كَرْبِ النَّخْلِ^(٤)

(١) في أصول الكتاب « أرى الخط في بذ الفرزدق شأوه » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأملى والخزانة .

(٢) في الأصول « له باذخ لدن الحسيسة رافع » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأملى والخزانة .

(٣) في الخزانة والأملى « بحمد السيف الردي ، يحفنه »

(٤) هذا البيت — على ما ذكر البغدادي عن المبرد — ملقف من بيتين وإليك عبارته (٣٠٦-١) : « قال المبرد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المنزلة التي أنزله إياها ، فقل بهجوه — وهو أحد بني هجرس —

أقول ولم أملك سوابق عبرة متى كان حكم في بيوت الهجارس
 فلو كنت من رهط المولى وطارق فضيت قضاء واضعا غير لابس
 قال : والمولى أبو الجارود أو جده ، وطارق بن النعمان من بني الحارث
 ابن خزيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضاً :
 أقول لعين قد تحدر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخل
 فلم يحبه الصلتان ، فسقط . اهـ

١٣ — مَبَرَّ عَنْهُ قُتْرُوعًا عَنْ قُتْرُوعٍ * جَذَبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعَ

* أَفْنَاهُ قِيلَ لِلشَّمْسِ ااطْلُي *

هذه الأبيات لأبي النجم العجلي ، من قصيدة من الرجز ، أولها ^(١) :

قد أصبحت أم الخيل تدعى على ذنباً كله لم أضغ

* من أن زات رأسي كراس الأصلع *

وبعد الأبيات ، وبعدها :

* حتى إذا وارك أفق فارجمي *

والقترعة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، أو هي ما ارتفع من الشعر وطال ، أو الشعر حوالى الرأس ، وجهها قنازع وقترعات ، وجذب الليالي هو مضيتها واختلافها ، ويقال : جنب الشهر ، إذا مضى عامته ، وأبطى أو أسرع : صفة الليالي ، أى : المقول فيها أبطى أو أسرع ، وقيل : حال منها ، أى الليالي مقولاً فيها أبطى أو أسرع ، والصَّلْعُ : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها ^(٢) ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه إياه وهو ملاق له ، والمواراة : الستر .

ومعنى الأبيات : أن هذه الحبيبة — بعبى أم الخيل زوجته — أصبحت تدعى على ذنوبها لم ارتكب شيئاً منها ؛ لرؤيتها رأسي كراس الأصلع لكبرى وشيخوختى ، وميزو فصل مرَّ الأيام ومضى الليالي الشعر الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ، ثم قال : أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب .

(١) السكامة مذكرة فى خزنة الأدب (١ - ١٧٦ بولاق) .

(٢) قال ابن سينا « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهن من أمزجة النساء » اهـ .

والشاهد فيها : هو أن حل إسناد تمييز الشعر إلى جنب اللبالي مجاز بقرينة قوله « أفناه - إلى آخره »

وأبو النجيم : تقدم التعريف به في شواهد المقدمة .^(١)

١٤ - بِزَيْدِكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

البيت لأبي نؤاس ، من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابي
ويذم عيشهم ، وأولها :^(٢)

دَعِ الرَّسْمَ الَّذِي دَنَرْنَا يُقَالِي الرِّجَّحَ وَالْمَطْرَا
وَكُنْ رَجُلًا أَضَاعَ الْعِرْ ضَ فِي اللَّذَاتِ وَالْخَطَرَا^(٣)
أَلَمْ تَرَمْ مَا بَنَى كِسْرَى وَسَابُورٌ لِمَنْ غَبَرَا
مَنَازِلَ بَيْنَ دِجَلَةَ وَالْفُصْرَاتِ أَحْفَهَا شَجَرَا^(٤)
بَارِضٍ بَاعَدَ الرَّحْمَنُ عَنْهَا الطَّلْحَ وَالْعُثْرَا^(٥)
وَلَمْ يَجْعَلْ مَصَايِرَهَا يَرَابِعًا وَلَا وَحْرًا^(٦)

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم ٣ .

(٢) اقرأها في الديوان (١٦٤) .

(٣) في الديوان « أضاع العلم » وهو تحريف ، وأحسب ما هنا تحريف أيضا ، وأن الأصل « أضاع العمر » .

(٤) في الديوان « منازل بين دجلة » وفيه « أخصها الشجرا » .

(٥) انطلق - بفتح فسكون - والعشر - بضم العين وفتح الشين - من شجر البادية .

(٦) في أصل الكتاب « ولا وجرا » محرفا ، واليرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان كالغار . والوحر - بفتح الواو والحاء المهملة - جمع وحره ، وهي وزغة كسام أبرص ، أو ضرب من العطاء لا تنطأ شيئا إلا سمته ، أو القصيرة من الأبل والمراد هنا ما عدا الأخير .

ولكن حور غزلانٍ تُراعى بالملأ بقرأ
وإن شئنا أحشنا الطير من حافيتها زمراً^(١)

إلى أن قال :

أما والله لا أشرأ حلفتُ به ولا بطراً
لو أن مرقشاً حيّ تعلق قلبه ذكراً^(٢)
كأن ثيابه أطلـ من أزاره قراً
ومر به بدويان السـخـراج مضمخاً عـطراً^(٣)
بوجه سابري لو تصوب ماؤه قطراً
وقد خطت حواضه له من عنبر طراً
بعين خالط التفتير في أجناتها حوراً
يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدتَه قفراً
لأيقن أن حب المر د يلقى سهله وعراً

(١) في الديوان « حشنا الطير » محرفاً ، وأحشنا الطير : أى جشناه من
حواليه لنصرفه إلى الحباله .

(٢) المرقش : لقب لشاعرين أحدهما الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك
ابن ضبيعة ، وثانيهما الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن
ضبيعة ، وكلاهما من عشاق العرب ومتيمينهم وفرسانهم ، فأما الأكبر فقد عشق
ابنة عمه عوف بن مالك واسمها أسماء ، وأما الأصغر فقد عشق فاطمة بنت
المنذر ، ولكل منهم شعر يدل على ما أشرنا إليه من الصباة وفي المفضليات
شيء منه ، وكذا في تزيين الاسواق .

(٣) في الديوان « ومن يريد ديوان الخراج »

ولا سيمًا وبعضهم إذا حيينه انتهر^(١)
والمنى في البيت : أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال ، كلما
كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء ، مع أن تكرار النظر إلى الشيء
قلما يجلو .

وفي معناه قول الآخر [من الرمل] :
كلما زدت إليه نظراً زاد حسناً عند تكرار النظر
وقول ابن الرومي [من المنسرح] :
لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه إليه تنتقل
فوائد العين فيه طارقة كأنما أخرياً لها أول
وقول المتنبي [من الكامل]^(٢)
وهو المضاعف حسنه إن كرراً

وقول عبدوس المغربي [من مجزوء الرمل] :
يا غزالاً وهلالاً خلقتا خلقاً عجيباً
وقضيباً وكثيباً جمعا قدأ غريباً
قد غصضنا دونك إلا حناظ خوفاً أن تذوباً
كلما زدناك لحظاً زدتنا حسناً وطيباً

- (١) « لاسيما » بتخفيف ألياء ، وهو لغة في هذه الكلمة ، و« انتهر » ههنا
معناه أبطأ في سيره ، والسباق يبعد أن يكون معناه زجر كما هو المشهور
(٢) هو عجز بيت من قصيدته يمدح فيها ابن العميد وصدده قوله :
* فهو المشيع بالمسامع إن مضى *
ارجع إلى الديوان (٢ - ١٦٧)

وقول ابن الخيى [من البسيط] : (١)
 مَا يَنْتَبِى نَفَارَى مِنْهُمْ إِلَى رُتَبٍ فِي الْحَسَنِ إِلَّا وَلَاحَتْ قُوَّهَا رُتَبُ
 وَقَوْل قَوَامِ الدِّينِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الطَّرَاحِ [من المنسرح] :
 وَعِنْدَكَ لَا يَنْقُضِي لَهُ أَمْدٌ وَلَا لِلَّيْلِ الْخَطَالِ مِنْكَ عَدٌ
 عَلَلْتَنِي بِأَلْمَسَا غَدًا فَغَدًا إِنَّ غَدًا سَرْمَدًا هُوَ الْأَبَدُ
 تَضْحَكُ عَنْ وَاضِحٍ مُقْبِلُهُ عَذَبٌ بِرُودٍ كَأَنَّهُ الْبَرْدُ
 أَحْوَمُ مِنْ حَوْلِهِ وَبَى ظَمًا إِلَى جَنَى رَيْقِهِ وَلَا أَرِدُ
 وَكَلَّا زِدْتُ وَجْهَهُ نَظْرًا بَدَتْ عَلَيْهِ كَحَاسِنٌ جُدُ
 وقريب منه قول ابن المطرز [من المديد] :

يَا حَبِيبًا كُلُّهُ حَسَنٌ لِحَبِّ كُلِّهِ نَظَرُ
 وَجْهُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَيْثُمَا قَابَلَتْهُ قَمَرُ

ومن ظريف ما يذكر هنا أن ليعقوب بن الدقاق مستعلى أبى نصر صاحب
 الأصمعى قال : كنا يوم الجمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد ،
 وكنت أعلاهم صوتا ، إذ صاح بى صائح من ورأى يا منتوف ، فتغافلت كأنى لم
 أسمع شيئا ، فقال : ويالك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم ؟ فقلت : من هذا ؟ فقالوا :
 أبودانق الموسوس ، فالتفت إليه ، فقال : ويالك ! هل تعرف أحسن من هذا
 البيت أو أشعر من قائله ، وهو [من المنسرح] :

(١) ابن الخيى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيى ،
 بطن الأصل ، مصرى الدار ، وتوفى فى القاهرة سنة خمس وثمانين وثمانمائة
 والبيت المذكور من قصيدة مطلعها :

يا مطلباً ليس لى فى غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب
 ولهذا القصيدة قصة ذكرت فى ترجمته فى فوات الوفيات (٢ - ٢٨٨)

مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ مِنْهُ نَاحِيَةً إِلَّا أَقَامَتْ مِنْهُ عَلَى حَسَنِ
 قَهْلَتْ كَالْحَاجِرِ لَهُ : لَا ، قَالَ : لَا أُمُّ لَكَ ! هَلَا قَلْتَ نَمِ قَوْلُهُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] :
 يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
 ثُمَّ وَثَبَ وَثْبَةً فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ لِي : يَا أَعْمَى ، صِفْ لِي
 صُورَتَكَ السَّاعَةَ ، وَالْأَخْرَجْتِكَ مِنْ بَرْتِكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ مِنْ كَانَ حَاضِرًا فَقَالَ :
 ظِلْمَتُهُ ظِلْمَانُهُ ، وَهُوَ ضَرِيرٌ لَمْ يَرَوْجْهُ ، فَمَنْ أَحْسَنَ مِنَّا أَنْ يَصِفَهُ فَلْيَصِفْهُ ، وَكَانَ عَلَى
 الْحَقِيقَةِ أَقْبَحَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَكَانَ يَحْلِقُ شَعْرَ رَأْسِهِ وَشَعْرَ لِحْيَتِهِ وَشَعْرَ حَاجِبَيْهِ وَيَدُهُنِ
 قَالَ : فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ ، فَقَالَ : اكْتُبُوا صِفَتَهُ فِي رَأْسِهِ ، وَأَنْشُدْ [مِنْ الْوَافِرِ] :
 أَشْبَهُ رَأْسَهُ نَوَلًا وَجَارًا بِعَيْنَيْهِ وَنَضْنَضَةً اللِّسَانِ
 بَاضِخٍ قَرَعَةٍ عَظُمَتْ وَتَمَتْ فَلَيْسَ لَهَا لَدَى التَّمْيِيزِ ثَانِ
 إِذَا عَلِيَتْ أَسَافُهَا أَمَلَتْ دَعَايَ رَأْسِهَا نَحْوَ اللَّيَّانِ
 فَكَانَ لَهَا مَكَانَ الْجِيدِ مِنْهَا إِذَا اتَّصَلَتْ بِمُسْكَةِ الْجُرَانِ
 لَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ وَبَيْصٍ كَأَنَّ بَرِيقَهَا لَمَعَ الدُّهَانِ
 فَلَا سَلَمَتَ مِنْ حَذَرِي وَخَوْفِي مَتَى سَلِمْتَ صَفَاتُكَ مِنْ بَنَانِي
 وَوَثَبَ إِلَيَّ ، فَخَالَتْ الْأَيْدِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتِ : مَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ الْحَاجَزِ الْعَقْلِيِّ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ
 نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ الْبَزِيدِيِّ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] ^(١) :

أَتَيْتُكَ عَائِدًا بِكَ مِنْ لَدُنِّي ضَاقَتْ الْحِيلُ
 وَصَبَّرْتَنِي هَوَاكَ وَبَنِي لِحْيَتِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيِّ ، أَحَدُ شُعْرَاءِ بَنِي تَمِيمِ الْمُحَدِّثِينَ

فَانْ سَلِمَتْ لَكُمْ نَفْسِي فَا لَا قِيَتُهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

أى: صيرنى الله بهواك وحالى هذه، وهى أن يضرب المثل فى الحين، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك .

والبيت الأخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد [من الوافر] :

مَتَى مَا تَسْمَى بِقَتِيلٍ أَرْضُ أُصِيبَ فَإِنِّي ذَلِكَ الْقَتِيلُ

وأبو نواس ^(١) هو : أبو على الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح ترجمة **أبى نواس** الحكى ، الشاعر المشهور ، كان جدُّه مولى الجراح بن عبد الله الحكى والى خراسان ونسبته إليه ، قيل : إنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب ، ثم صار إلى بغداد ، وقيل : إنه ولد بالأهواز ، وقيل : إنه ولد بكوفة من كورخوزستان فى سنة إحدى وأربعين ومائة ، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ثم انتقل إلى بغداد ، وقد زاد سنة على الثلاثين ، ولم يلحق بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي قوله [من المقتضب] :

حَامِلُ الْهَوَى تَعِبُ يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
إِنْ بَكَى يَحْقَ لَهُ لَيْسَ مَابِهِ لَعِبُ ^(٢)
تَضْحَكِينَ لِأَهِيَّةٍ وَالْحَبُّ يَنْتَجِبُ
كُلَّمَا انْقَضَى سَبَبٌ مِنْكَ جَاءَنِي سَبَبٌ ^(٣)

(١) لأبى نواس ترجمة فى الخزانة (١٦٨-١) وفى ابن خلكان (٢٤٠-١) وأخباره مع جنان خاصة فى الأغاني (٣٥٤-١٨)

(٢) «إِنْ بَكَى حَقَّ لَهُ» رواية ، ومثل ما هنا فى ابن خلكان

(٣) «مِنْكَ عَادِلٌ سَبَبٌ» رواية ، وهذا البيت ليس فى ابن خلكان

تَعَجَّبِينَ مِنْ سَقَى رَحْمَتِي هِيَ الْعَجَبُ

وهي أبيات مشهورة

وروى أن الخصب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغنائى

أدبى عن نسبي

وما زال العلماء والأشراف يزؤون شعر أبى نواس ، ويتفكحون به ، ويفضلونه

على أشعار القدماء

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود الناس بديهةً ، وأرقهم حاشيةً ، لستأ بالشعر يقوله فى كل حال ، والردىء من شعره ما حفظ عنه فى سكره قال الجاحظ : لأعرف بعد بشار مؤلداً أشعر من أبى نواس ، وقال الأصمعى :

ما أروى لأحد من أهل الزمان ما أرويه لأبى نواس . وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمحدثين كمرىء القيس للأولين ، لأنه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى ، وقال : ذهبَتِ اليمينُ بجِد الشعر وهزله ، فامرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وقال أبو الحسن الطوسى : شعراء اليمين ثلاثة : امرؤ القيس ، وحسان

وأبو نواس

وكان خلف الأحمر ولاء فى اليمين فى الأشاعرة ، وكان عصبياً ، وكان من أميل خلق الله إلى أبى نواس ، وهو الذى كناه بهذه الكنية ، لأنه قال له : أنت من أهل اليمين فسكن باسم من أسامى الذين ، ثم أحصى له أسماءهم ، وخبره ، فقال : ذوجِدَن ، وذو كلال ، وذو يَزَن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختر ذا نواس فكنهه أبا نواس ، فسارت له وعلبت على « أبى على » كنيته الأولى .

وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ، ويفضله على زهير تفضيلاً شديداً ، ثم يقول : الأعشى ليس مثلها ، وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ، ويقول : هو أشعر ، ويأتى بشار ويقول : هو غزير الشعر كثير الافتنان ، ويقول أدمنت قراءة شعر الكعبت فوجدت تشعيرة ، ثم قرأت شعر الخربى فتشقت على عجمي مبردة

ثم قال يوما : شمرى أشبه بشعر جرير ، قليل له : فاقول فى الأخطل ؟ قال :
إمأى فى الحجر ، قليل : الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الأكبر

وقال ابن الأعرابى : قد ختمت بشعر أبى نواس ، فارويت لشاعر بعده
وقال أبو عمرو الشيبانى : لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الوراثة لاحتجنا

بشعره ، لأنه كان محكم القول لا يخلط

وقال ابن دريد : سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال : إن جد حسن ، وإن
هزل ظرف ، وإن وصف بالغ ، يلقى الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه
وقال أبو الغيث بن البحرى : سألت أبى لما حضرته الوفاة : من أشعر الناس ؟

فقال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين ؟ فقلت : عن المحدثين ، فقال : يا بئى
لو قسم إحسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم ، وإن لأشجع السلمى لاحسانا
وما علم الشعراء أكل الخبز بالشعر إلا أبو تمام ، فقلت له : أنت أشعر أم أبو تمام ؟
فقال : سألت عما لا يزال يسأل عنه : جيد أبى تمام خير من جيدى وردئى
خير من رديته .

وقال ابن الأعرابى : بعث إلى المأمون فسرته إليه وهو مع يحيى بن أكرم
يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما ، فجلس ، فلما أقبلت ، فقال
المأمون : يا محمد بن زياد ، من أشعر الشعراء فى نعت الحجر ؟ فحملت أنشدته للأعشى
وقلت هو الذى يقول [من الطويل] :

ترىك القدى من دونها وهى فوقه إذا ذاقها من ذاقها يتمطو
ثم أنشدته للأخطل ، فلم يحفل بشئ مما أنشدته ، ثم قال : يا ابن زياد ، أشعر
الناس فى نعتها الذى يقول [من المديد] :

فتمشيت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
فعلت فى اللب إذ مزجت مثل فعل النار فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السقر بالعلم

وعن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال : جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس
إلى أبي فأنشده أبو العتاهية [من الكلل] :

وَعَقَّتْكَ أَجْدَاتُ صُنْتُ وَفَعْتُكَ أَرْمَنَةُ خُنْتُ
وَأَرْتُكَ قَهْرَكَ فِي الْقَبْسُورِ وَأَنْتَ حَتَّى لَمْ تَمُتْ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَعْيُنٍ تَبَلَّى وَعَنْ صَوَرٍ شَقْتُ
وَحَكَمْتُ لَكَ السَّلَاطَةَ مَا عَلَيَّ أُنْيَاتٍ بَغْتُ
وَأَنْشَدَهُ شِعْرًا آخَرَ قَوْلَ فِيهِ [من المتقارب] :

عَلَى سُرْعَةِ الشَّمْسِ فِي مَرَّهَا دَيْبُ الْخُلُوقَةِ فِي الْجَلْمَةِ
قَالَ : وانصرفوا ، فهاكُنْ بعد أليم عادٍ إليه مسلم وأبو نواس ، فأنشده مسلم :
[من البسيط] :

• أُجْرَرْتُ حَتَّى خَلِيعَ فِي الصَّبَا غَزَلِ •

حتى بلغ قوله :

يَنْلُ بِالرَّفْقِ مَا يَبْأَى الرُّجَالُ بِهِ كَلَلْتُ مُسْتَجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
قَالَ أَبُو عمرو : أحسنت ، إلا أنك أخفت قول أبي العتاهية :

وَحَكَمْتُ لَكَ السَّلَاطَةَ مَا عَلَيَّ أُنْيَاتٍ بَغْتُ

قَالَ : ثم أنشده أبو نواس قوله [من المديد] :

• بِالشَّقِيقِ النَّفْسِ مِنْ حَكَمِ •

إلى أن بلغ إلى قوله :

نَمَشْتُ فِي مَقَاصِلِهِمْ كَنَشْنَشِي الْبَرَاءِ فِي السَّمِّ

قَالَ هـ : أحسنت ، إلا أنك أخذته أيضاً من قول أبي العتاهية :

عَلَى سُرْعَةِ الشَّمْسِ فِي مَرَّهَا دَيْبُ الْخُلُوقَةِ فِي الْجَلْمَةِ

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبي نواس هذا مأخوذ من قول بعض

المهملين يصف قائما ظر يصيد بسرعة مشى [من انديد]:
 قَتَشْنِي لَا يُخْسِرُ ۞ كَتَشْنِي قَائِدِي فِي الْقَتَرِ
 وقال: أين أبا نواس أنتهيت هنا بعض الشراء قال له: أما كذلك أن
 مَرَقْتُ حَتَّى أَهَلَّتْ، قال: ومن أين سَرَقْتُ؟ فأنتهيت المهمل، قال:
 كيف أهلت؟ قال: بقولك «كَتَشْنِي البَرَّ» في السهم، وهما جميعا عرضان،
 والعرض لا يدخل على العرض، فأقطع أبا نواس تمخيرته بعد ذلك بأن قال:
 • كَتَشْنِي الْقَائِدَ فِي الْقَتَرِ •

وهنا بيت المهمل بينه ومثله

وعن الأصبغ أن أبا نواس سرق منه من قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:
 تَجْرِي مَحْبَتُهَا فِي قَلْبِي وَأَتَقَهَا جَرَى السَّامَةِ فِي أَعْضَادِي مُتَكَسِّرِ
 وهو أخذه من قول عمر بن أبي ربيعة حيث يقول [من الوافر]:
 قَدْ دَبَّ الْهَوَى لَكَ فِي فَوَادِي دَيْبَ دَمِ الْحَيْلِ إِلَى الْفُرُوقِ
 وهو أخذه من قول بعض المدونين حيث يقول [من الطويل]:
 وَاشْرَبَ قَلْبِي حُبَّهَا وَمَشَى ۞ كَتَشْنِي حُبَّ الْكَأْسِ فِي عَطَلِ شَارِبِ
 وَدَبَّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا كَادَبَ فِي الْمُسَوِّعِ سُمَّ الْقَلْبِ
 وهو أخذه من أسقف نجران حيث يقول [من الكامل]:
 مَنَعَ الْبَقَاءَ قَلْبُ الشَّمْسِ وَطَلَعَهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُنْمَى
 وَطَلَعَهَا حَمْرَاءُ صَلْبَةٍ وَغَرَوَهَا مَقْرَاءُ كَالْوَرْدِ
 تَجْرِي عَلَى كَبَدِ السَّهْلِ كَمَا تَجْرِي حُلُمُ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ
 يَذْكُرُ بَيْنَهُ الْآيَاتُ مَا ظَلَّ الْأَعْيُ وَهُوَ أَعْيُ قَيْسٍ فِي سُكْرَانٍ [من
 المتقارب]:

فَرَّاحَ مَلَا كَأَنَّ الدُّبَابَ يَدِبُّ عَلَى كُلِّ عُضْوٍ دَيْبَا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمر بن أبي ربيعة فقال [من المحدث] :

لَأَنْدَ جَرَى الْحُبِّ يَنْى تَجْرَى دَمِي فِي عُرُوقِ

وأخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

جَرَى حُبِّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَنَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُئْلٍ بِهَا شُغْلٌ

وقال أبو الفرج بن هندو [من الخفيف]^(١) :

فَنَمَسْتُ فِي قَلْبِي الْمَهْمُومَ كَنَمَسْتُمُ الدَّرِيْقِي فِي الْمَسْمُومِ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال [من الطويل] :

قَبْتُ أَسْفَاَهَا سُلَاقًا مُدَامَةً لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ

وما أحسن قول بعضهم [من البسيط] :

وَفِي الظُّلُمَانِي مَهْضُومٌ أَخْشَا غَنَجٌ يَخْطُو بِأَعْطَافِ كَسْلَانٍ أَنْطَلَا يَمْلِ

ظَلْمِي مَتْنِي الْوَرْدُ مِنْ لَحْظِي بَوَجْنَتِهِ مَتْنِي الْوَاحِظُ مِنْ عَيْنِيهِ فِي أَجْمَلِ

وقال أبو حاتم: لولا أن العامة ابتدأت هذين البيتين وهما لأبي نواس لكتبتهما

بالذهب، وهما قوله [من الوافر] :

وَلَوْ أَنِّي اسْتَزِدْتُكَ فَوْقَ مَابِي مِنْ الْبُلُوِي لَأَعْجَزَكَ الْمَزِيدُ^(٢)

وَلَوْ عُرِضْتُ عَلَى الْمَوْتَى حَيَاةً بِعِيشٍ مِثْلِي عِيشِي لَمْ يُرِيدُوا

وكان المأمون يقول: لو وصفت الدنيا فذهبها لما وصفت بمثل قول أبي نواس

[من الطويل] :

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ

(١) في المطبوعتين « ابن عبدو » محرفا، وفي يتيمة الدهر ترجمة لأبي الفرج

الحسين بن محمد بن هندو، أحد أصحاب الصاحب بن عباد، وعن نحو جوا

بجوارته وصحبته (٣-٣٦٢ مصر) وفي فوات الوفيات ترجمة لأبي الفرج على

ابن الحسين بن هندو أحد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة (٢-٥٧ بولاق)

(٢) قوله « لأعجزك » في بعض النسخ « لأعوزك »

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَعُوتُ لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 وَابْتِيتُ الْأَوَّلَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ [من الوافر] :
 فَبَعْضُ الْيَوْمِ عَاذِلْنِي فَأُنِّي سَيَكْفِينِي الثَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي
 إِلَى عَرِيقِ النَّزْرِ وَشَجَّتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي بَشَابِي
 وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِينَةَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : أَنْشِدْنِي لِأَبِي نُوَّاسٍ ، فَأَنْشَدَهُ
 [من المديد] :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَبُ
 فَقَالَ سَفِيَانُ : آمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ .
 واجتمع أبو نواس مع العباس بن الأخنف في مجلس ، فقام العباس في حاجة
 فستل أبو نواس عن رأيه فيه وفي شعره ، فقال : لهو أرق من الزم ، وأنفذ من
 الفهم ، وأمضى من السهم ، ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك ، فستل العباس
 عنه وعن رأيه فيه وفي شعره ، فقال : إنه لأقر للعين من وصل بعد هجر ، ووفاء
 بعد غدر ، وإنجاز وعد بعد يأس . فلما صارا إلى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر
 فيه ، فقال أبو نواس [من الهزج] :

إِذَا ارْتَدَّتْ فَتَى الْكَلَسِ فَلَا تَمْدُلْ بِعَبَّاسٍ
 فَتَمَّ الْمَرْءُ إِنْ أَرْضَعْتَ يَوْمًا دِرَّةَ الْكَلَسِ
 فقال العباس [من الوافر] :

إِذَا نَازَعْتَ صَفْوَةَ الْكَلَسِ يَوْمًا أَخَافُكَ قَتْلَ أَبِي نُوَّاسٍ
 فَتَى يَسْتَدُّ حَبْلُ الْوُدِّ مِنْهُ إِذَا مَا خَلَّةٌ رَمَتْ لِنَاسٍ
 فتناول أبو نواس قدحا وقال [من الهزج] :

أَبَا الْفَضْلِ اشْرِبْ كَلْسُكَ فَأُنِّي شَارِبُ كَلْسِي
 فقال العباس :

نَمْ يَا أَوْحَدَ النَّاسِ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال أبو نواس :

قَدْ حَفَّ لَنَا الْمَجْلِسُ بِالنَّسْرَيْنِ وَالْأَسْرِ

قال العباس :

وإِخْوَانِي بِهَالِيلٍ مَرَاتٍ سَادَةِ النَّاسِ

قال أبو نواس :

وَحَوْدٍ لَذَّةِ الْمُسْوَعِ مِثْلِ الْفُضْنِ الْكَاسِي^(١)

قال العباس :

وَقَدْ أَلْبَسَهَا الرَّحْلُ مَنْ أَحْسَنَ إِبَاسِ

قال أبو نواس :

وَقَدْ زِينَتْ بِأَكْلِيلٍ يَوَاقِيتَ عَلَى الرَّاسِ

قال العباس :

فَلَا تَحْبِسْ أَخِي كَأْسِي فَأَنِي غَيْرُ حَبَّاسِ

فكان ما نسي من معارضتهما في ذلك المجلس أكثر مما حفظ ، إلا أنه انصرف العباس وبقى أبو نواس ، فستل عن العنابي والعباس فقال : العنابي يتكلف والعباس يتدفق طبعاً ، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متدق كَرَّ ، وفي شعر هذا ماء ورقة وحلاوة ، وفي شعر ذاك جساوة وفظاظه .

وكان لأبي نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها ، فنورد

(١) في الأصول « مثل العض للباس » محرفاً ، وما أثبتناه من الديوان .

منها ما خف ذكره ^(١).

حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر، وكان سليمان ابن أبي سهل في عينه سوء، فقام أبو نواس بأزائه، ثم قال: يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراه من قرب؟ فقال له سليمان: قد رأيته ثمشى القهقري حتى تدخل في رحم جليان — يعني أمه — فأحفظ ذلك أبا نواس، فقال في سليمان [من السريع]:

قُلْ لِسُلَيْمَانَ وَمَا شِيعَتِي أَنْ أَهْدِيَ الثَّصَحَ لَهُ مُخْلِصًا
مَا أَنْتَ بِالْحَرِّ فَأُخْلِجَ وَلَا بِالْعَبْدِ أَسْتَعْنِيهِ بِالْمَصَا
فَرَحَهُ اللَّهُ عَلَى آدَمَ رَحْمَةً مِنْ عَمٍّ وَمِنْ خَصْمَا
لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ خَارِجٌ مِثْلَكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لَاخْتَصَى
فَأَجَابَهُ سُلَيْمَانُ فَقَالَ:

إِنْ ابْنُ هَانِي سَفَلَةٌ خَالِصٌ مَا وَحَدَ اللَّهُ وَلَا أَخْلَصَا
أَعْلَى بِذِكْرِي شِعْرَهُ فَاتَّخَذَنِي بِالْقَرْضِ فِي أَشْبَاهِهِ مُرْجِصَا ^(٢)
وَكَانَ فِي شِعْرِي وَتَفَرِيدِهِ خَوْفٌ مَنْ يَأْتِيهِ قَدْ قَلَصَا ^(٣)
كَالْكَلْبِ هَرَّ اللَّيْثَ حَتَّى إِذَا أَهْدَى إِلَيْهِ مُخْلِجًا بَصَصَا

(١) روى المؤلف في هذه المناقشات كثيرا من المجون الذي ينسب إلى أبي نواس؛ ونحن لا نستطيع لأنفسنا ولا لمن يقوم على تحقيق كتاب من مصنفات السلف أن يتصرف فيه بالحذف أو بالتغيير، ولو كنا نصف كتابا بالزهانة عن هذا المجون، فنحن نثبت ما أثبتته المؤلف، ونستغفر الله لناوله.

(٢) في الأصول «بالعرض في أشباهه» وما أثبتناه عن الديوان

(٣) وقع هذا البيت في المطبوعتين هكذا:

وَكَانَ فِي شِعْرِي وَتَفَرِيدِهِ لِلْخَوْفِ مِنْ ثَوْبِهِ قَدْ قَلَصَا
وَمَا أَثْبَتْنَاهُ موافق لما في الديوان

وكان لأبي الشمقق ضريبة على الشعراء ، فجاء يوما إلى أبي نواس فقال :
 هات ضريبتك ، فدخل المنزل وأخرج إليه رقعة فيها [من الوافر] :
 أَخَذْتُ بِأَبْرِ بَنَلٍ حِينَ أَذْلَى فَوُيُقَ الْبَاعِ كَالْجَنْعِ الْمَطْوِقِ
 فَا إِنْ زِلْتُ أَمْرَهُ بِكُنَى إِلَى أَنْ صَارَ كَالسَّهْمِ الْمُنْفِقِ
 فَلَا أَنْ طَعَى وَنَمَا وَأَنْدَى جَلَدْتُ بِهِ حِرَامَ أَبِي الشَّمَقَّقِ
 فوفقت هذه الأبيات في أفواه الصبيان ، وأجابه أبو الشمقق بأبيات
 فلم تَسِرْ لَهُ .

وحدث الجان قال : اجتمعت أنا وأبو نواس والرقاشي في بعض متزهات
 البصرة ، فنقد شرابنا ، فقلنا : هلم فليقل كل واحد منا بيتا في السقيا لنبتع به
 إلى عبد الملك بن إبراهيم ، فابتدأ أبو نواس فقال [من الرمل] :
 يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ وَائْتَقًا أَقْبَلْتُ بِاللَّهِ وَبِكَ
 أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلِلْمَالِ لَكَ
 وقال الرقاشي :

اسْقِنِي الْحَرَّ وَدَعِ مِنَ لَامَتِي فِي هَوَايَ نَفْسِي فَتَعْرِى مَنْ نَسَكَ
 وَزَيْلِ الْمُرْدَ فَا مِنْ لَدُنِّي نَلْتَهَا إِنْ لَمْ تَنْكُحْهُمْ وَتُنْكَ
 فوق البيت الرابع بموافقته ، وبعث إلينا بما كفانا .

واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشي في مجلس ، فتذاكرا الشعر ، فقال له
 أبو نواس : لقد سبقتنى إلى أبيات وددت أنها لي بجميع شعري ، قال : وما هي ؟
 قال : قولك [من البسيط] :

تَبَاهَتْ نَدْمَانِي الْمَوْفَى بِنَمْتِهِ مِنْ بَعْدِ إِيْعَابِ طَاسَاتٍ وَأَقْدَاحٍ^(١)

(١) في الديوان (٢٦٢) * من بعد إيعاب كاسات وأقداح *
 وفيه (٣٥) * من بعد إيعاب . . *

فقال خذ واسقني واشرب وغنّ لنا « يا دارمَ مَوَايَ بالقاعين فالساح »
 فاحسّاً ثانياً أو بعض ثالثة حتى استدارَ وردَّ الراح بالراح
 فقال له الرقاشي : لكنك أنت سبقتني ببيتين وددت أنهما لي بكل شعري،
 فقال أبو نواس : وما هما ؟ قال قولك [من البسيط] :

ومُسْتَطِيلٌ عَلَى الصَّهْبَاءِ بَاكِرْهَا فِي فَنِيَةٍ بِاصْطِبَاحِ الرِّاحِ خُذْاقِي
 فَكُلُّ شَيْءٍ رَأَى ظَنَّهُ قَدْحَا وَكُلِّ شَخْصٍ رَأَى قَالَ : ذَا سَاقِي
 واجتمع يوما أبو نواس مع عنان ، فأقبل عليها ، وقال [من مجزوء الرمل] :

إِنْ لِي أَيْرَاً خَبِيثَا عَارِمَ الرَّأْسِ فَلَوْتَا
 لَوْ رَأَى فِي الْجَوْفِ جَا لَنْزَاً حَتَّى يَمُوتَا
 أَوْ رَأَى فِي السَّقْفِ دِهْرَا لَتَحُولَ عَنْكَ بَوْتَا
 أَوْ رَأَى جَوْفٍ بِحَرٍّ صَارَ لِلْأَعَاظِ حَوْتَا

فقالت عنان :

رَوَّجُوا هَذَا بِالْفِ إِنْنِي أَخْشَى عَلَيْهِ
 وَأُظْنُّ الْآلَفَ قَوْتَا دَاءُ سُوءٍ أَنْ يَمُوتَا
 قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ فَلَآ يَأْتِي وَيُؤْتِي
 فقال أبو نواس [من المجتث] :
 أَلَمْ تَرَقُّ لَصَبْرٍ يَكْفِيهِ مِنْكَ قُطَيْرُهُ

فقالت عنان :

إِيَّائِي تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجْلِدْ عُمِيرَهُ

فقال أبو نواس :

أَخَافُ إِنْ رُمْتُ هَذَا عَلَى يَدِي مِنْكَ غَيْرُهُ

قَالَتْ عَنان :

عَلَيْكَ أُمَّكَ نِكَهَا فَاتِهَا كَعَنْدَفِيرَةٍ
وَدَخَلَ أَبُو نَوَاسٍ يَوْمًا عَلَى النَّاطِقِي ، وَعَنَانَ جَالِسَةً تَبْكِي وَخَذَهَا عَلَى رِزَّةِ
بَلْب ، قَالَتْ [مِنَ السَّرِيعِ] :

بَكَتْ عَنَانَ فُجِرَى دَمْعُهَا كَالْوَلْوَلِ الْمَرْفُضِ مِنْ خَيْطِهِ
قَالَتْ عَنَانَ وَالْعَبْرَةُ تَخْتَفُهَا :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظِلًّا تَجِفُّ بِمَنَاهُ عَلَى سَوَاطِيهِ
وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدِمَ بَشْرَاءَ عَنَانَ جَارِيَةِ النَّاطِقِي ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا نَوَاسٍ قَدْ
هَجَاهَا بِقَوْلِهِ [مِنَ الْمُنْسَرَجِ] :

إِنَّ عِنَانَ النَّطَافَ جَارِيَةً قَدْ صَارَ حَرْهَا لِلْأَيْرُمِيدَانَا
لَا يَشْتَرِيهَا إِلَّا ابْنُ زَانِيَةٍ أَوْ قُلُطْبَانٌ يَكُونُ مِنْ كَاتَا
قَالَ : لَعَنَهُ اللَّهُ ! لَأَحَاجَةُ لَنَا فِيهَا . فَأَجَابَتْهُ عَنَانَ عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَتْ
[مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

عَجِبًا مِنْ حَلْقِي يَدْعَى أَصْلَ اللُّوَاطِ
فَإِذَا صَارَ إِلَى الْبَيْسِ وَخَسَفَ عَنْ تَوَاطِي
فَالَّذِي يَعْلَمُ يَذَرِي مَنْ يَلِي وَجَهَ الْبَسَاطِ
قَالَ أَبُو نَوَاسٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

فَنَحَتْ حَرْهَا عِنَانُ ثُمَّ نَادَتْ مَنْ يَنْيُكَ
ثُمَّ أَبَدَتْ عَنْ مَشْقٍ مِثْلَ صَحْرَاءِ الْعَتِيكَ
فِيهِ ذَرَّاجٌ وَبَطْ وَدَجَاجَاتٌ وَدَيْكَ
قَالَتْ عَنَانَ [مِنَ الْمُنْسَرَجِ] :

إِنَّ ابْنَ هَانِي بَدَأَهُ كَلْفٌ يَبِيتُ عَنْ نَفْسِهِ بِمَخَادِعِهَا

أَمْسَى يَرُوسُ الْحِلَانُ يُعْرِفُ فِي النَّاسِ وَمِثْلَهُ كَوَارِعُهَا
وَوَجَّهَتْ عَنَانَ مَرَّةً إِلَى أَبِي نَوَاسٍ بِوصِيفَةٍ لَهَا مَعَ رَقْعَةٍ فِيهَا [مِنَ الْمَجْثِ] :
زَرْنَا لِنَأْكُلَ مَعَنَا وَلَا تَنْبِيَنَ عَنَّا
قَدْ عَزَمْنَا عَلَى الشَّرِّ بِ صُبْحَةٍ وَاجْتَمَعْنَا
فَلَمَّا وَرَدَتْ الْوَصِيفَةُ عَلَى أَبِي نَوَاسٍ قَرَأَ رَقْعَتَهَا ثُمَّ تَأَمَّلَهَا فَاسْتَحْلَاهَا فَخَدَعَهَا
وَقَضَى وَطَرَهُ مِنْهَا ، ثُمَّ كَتَبَ فِي جَوَابِ الرَّقْعَةِ [مِنَ الْمَجْثِ] :

نَكُنَّا رَسُولَ عَنَانَ وَالرَّأْيُ فِيهَا تَعْلُنَا
فَكَانَ خَيْرًا بَلَدِيحٍ قَبْلَ الشَّوَاءِ أَكُنَّا
جَذِبَتْهَا فَتَجَافَتْ كَالْفُصْنِ لَمَّا تَنَى
فَقُلْتُ لَيْسَ عَلَى ذَا الْفَعَالِ كُنَّا أَؤْتِرُقَا
قَالَتْ فَكُمُ تَتَجَنَّى طَوَلَتْ نَكُنَّا وَدَعْنَا

فَلَمَّا قَرَأَتْ عَنَانَ الرَّقْعَةَ قَالَتْ : إِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ زَنَى ، وَهَجَرْتَهُ .

وَلَقَدْ ظَرَفَ ابْنُ الْأَبَّارِ بِمَتَابَعَتِهِ أَبَا نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

زَارَنِي خَيْفَةَ الرَّقِيبِ مَرِيئًا يَتَشَكَّى الْقَضِيبُ مِنْهُ الْكُثْبَا
رَشًّا رَاشٌ لِي سَهَامُ الْمَنَابَا مِنْ جُنُونٍ يُصَيِّرُ بَيْنَ الْقُلُوبَا
قَالَ لِي مَا تَرَى الرَّقِيبَ مُظَلًّا قُلْتُ ذَرُهُ أَتَى الْجَنَابَ الرَّحْبَا
عَاطِيَهُ أَكُوسُ الْمَدَامِ دِرَاكًا وَأَدْرِهَا عَلَيْهِ كَوًّا فَكُوبَا
وَاسْتَفْنِيهَا بِخَمَرٍ عَيْنِيكَ صِرْفًا وَاجْعَلِ الْكَأْسَ مِنْكَ نَفْرَاشْنِيَا
نَمْ لَمَّا نَامَ الرَّقِيبُ سَرِيئًا وَتَلَنَى الْكَرَى مَمِيعًا مُجْبِيَا
قَالَ لَا بُدَّ أَنْ تَدَبَّ إِلَيْهِ قُلْتُ أَبْنَى رَشًّا وَأَخَذَ ذِيَا
قَالَ فَابْدَأْ بِنَا وَنَّ عَلَيْهِ قُلْتُ كَلَّا لَقَدْ دَفَعْتُ قَرِييَا

فوثبنا على الغزال ركوباً
 فهل أبصرت أو سمعت بصب
 ناك محبوبه وناك الرقيب
 قل ابن يسام: ولقد ظفرت ابن الأبار، واستهتر ما شاء، وأظنه لو قدر على
 إبليس الذي تولى له نظم هذا المسلك لدب إليه، ووثب أيضاً عليه. ثم قال:
 وأبو نواس سأل للناس هذا السبيل حيث يقول، وذكر الأبيات، انتهى.
 ومن أناشيد الثعالبي في هذا المعنى [من الخفيف]:
 لي أير أراحني الله منه صدر هني به عريضاً طويلاً
 نام إذ زارني الحبيب عناداً ولم يهدي به ينيك الرسولوا
 حسبت زورة لشقوة جدى فافترقنا وما شفيئنا غليلاً
 رجع إلى أخبار أبي نواس.

وأشرف يوماً أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي وقد مات
 بعض أهله، وعندهم مأتم، وجنان جارية عبد الوهاب واقفة مع النساء تطلع، وفي
 يديها خضاب، وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة، وكان أبو نواس يهواها
 فقال [من السريع]:

يا قسراً أبرزه مأتم يندب شجواً بين أتراب
 يسكي فيذكرى الدمع من ترجس ويلطم الورد بعناب
 لا تترك ميتاً حلّ في حفرة وابلك قتيلاً لك بالباب
 أبرزه المأتم لي كلها برغم دايات وحجّاب
 لا زال دأباً موت أصحابه ودأب أن أبصره دأبى (١)
 وذكرت بالبيت الأول والثاني ما عكسه بعضهم منهما في هجاء أعور، وهو
 [من السريع]:

(١) في الأغاني (١٨-٦) رواية غجز هذا البيت « ولا تنزل رؤيته دأبى »

يَا أَعْوَرَا أَرْبُزْهُ مَاثِمٌ يَنْدُبُ سَحْجَوًا بِنَخَالِيطِ
 يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّمْعَ مِنْ كُؤُورٍ وَيَلْعَلُمُ الشُّوْكَ بِيَلُوطِ
 وَحَدَّثَ أَبُو نَوَاسٍ قَالَ : رَأَيْتُ النَّابِغَةَ الذِّبْيَانِيَّ فِي مَنْأَى ، فَقَالَ لِي : بِمَاذَا
 حَبَسَكَ الرَّشِيدُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : بِقَوْلِي [مِنْ الْمُنْسَرَحِ] :
 أَهْجُ نَزَارًا وَأَفْرِجْ لِدُنْهَآ وَهَنْكَ السُّرَّ عَنْ مَنَالِهَا
 فَقَالَ لِي : أَهْلُ ذَاكَ أَنْتِ يَا بِنَ الرَّأْنِيَّةِ فَقَدْ اسْتَوْحِيتِ مِنْ كُلِّ نَزَارٍ عَقُوبَةً
 مِنْهَا بِمَا ارْتَكَبْتَ مِنْهَا ، فَقُلْتُ : وَأَنْتِ بِمَاذَا حَبَسَكَ النِّعْمَانُ ؟ قَالَ : بِبَيْتِ قَلْتِهِ
 سَتَرَهُ النِّعْمَانُ عَنِ النَّاسِ ، قُلْتُ : بِقَوْلِكَ [مِنْ الْكَامِلِ] :
 سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَتَقَنَّا بِالْيَدِ
 فَقَالَ : أَوْ هَذَا مُسْتَوْرٌ ؟ قُلْتُ : بِقَوْلِكَ [مِنْ الْكَامِلِ] :
 وَإِذَا كَسَمْتَ كَسَمْتَ أَضْحَمَ جَائِمًا مُتَحِيزًا بِمَكَانِهِ مِلَّةَ الْيَدِ
 قَالَ : اللَّهُمَّ غَفِّرَا ، قُلْتُ : بِمَاذَا ؟ قَالَ بِقَوْلِي [مِنْ الْكَامِلِ] :
 فَلَمَكْتُ عَلَيْهَا وَأَسْفَلَهَا مَعَاً وَأَخَذْتُهَا قَسْرًا وَقُلْتُ لَهَا أَقْمَدِي
 لِحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْبِزْيَدِي ، فَأُلْقَى الْبَيْتُ بِقَصِيدَةِ النَّابِغَةِ .
 وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا نَوَاسٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : هَلْ نَسِيَ
 مِنْ خَيْرَاتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : أَجُودُهَا ، قُلْتُ فَاذْكُرْهُ ، فَقَالَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
 اذْكُرِي سَرَاجًا وَسَاقِي الشَّرْبِ بِمِزْجِهَا فَلَاخَ فِي الْبَيْتِ كَالْمَصْبَاحِ بِمِصْبَاحُ
 كَيْدُنَا عَلَى دِلْمَنَا بِالشُّكِّ نَسْأَلُهُ أَرَاخُنَا نَارُنَا أَمْ نَارُنَا الرِّاحُ
 وَحَكَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبْتَزَّانِ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا نَوَاسٍ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ لَهُ :
 لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي قَوْلِكَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
 جَاءَتْ بِأَبْرِيقَهَا مِنْ بَيْتٍ تَاجَرَهَا رُوحًا مِنْ الْحَرِّ فِي رَجْسٍ مِنَ النَّارِ

قَالَ : لَاءِ بَلْ أَحْسَنُ فِي قَوْلِي [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَقْبِضُ الزُّوْحَ مِنْ جِسْمِ أُمِّي زَمْنَا وَغَافَرَ الذَّنْبَ زَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ

وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو نَوَاسٍ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ حَيْثُ يَقُولُ : [مِنْ الْوَافِرِ]

تَكَثَّرَ مَا اسْتَطَفْتَ مِنْ الْخَطَايَا فَانَكَ بِالْإِغْ زَبْنَا غَفُورَا

سَبَّحْهُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَمَوَا وَتَقَلَّى سَيِّدَا مَلَكَا كَبِيرَا

نَمَضْتُ نَدَامَةً كَفَيْكَ بِمَاءٍ تَرَكْتَ خِفَافَةَ النَّارِ السُّرُورَا

وَمِنْ شِعْرِهِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةُ لَيْلَةٍ غَضَّتْ صَبِيحَتَهَا يَوْمَ الْمَوْقِفِ

لَوْ أَنَّ عَيْنًا وَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا مَا فِي الْمَعَادِ مُحْصَلًا لَمْ تَطُوفِ

وَمِنْهُ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

خَلُّ جَنَبِيكَ لِأَمْرِ وَاضِرٍ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مَتَّ بَدَاءَ الصَّبْرِ خَيْرُ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مِنَ الْجَحْمِ فَهُوَ بِلِجَامٍ

شَبَّتْ يَا هَذَا وَمَا تَتْرَكُ أَخْلَاقَ الْفُلَامِ

وَالنَّأْيَا أَكَلَاتُ شَارِبَاتُ الْأَنْثَامِ

وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ ، وَدِيَوَانُ شِعْرِهِ مُخْتَلِفُ التَّرْتِيبِ لِاخْتِلَافِ جَامِعِيهِ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسٍ سَوَقِيلٍ : سِتْ ، وَقِيلَ : ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةً يَبْغِدَادَ ،

وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الشُّونِيزِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى !

شواهد المسند إليه

١٥ - * قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عِلِيلٌ *

هو من الخفيف ، ولا أعرف قائله ، وتماهه :

* سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ *

خلع حنف
للسند إليه
حراز من
البحر

ومناه ظاهر ، والشاهد فيه حنف المسند إليه للاحتراز عن البعث مع ضيق المقام ، وهو قوله « عليل » أى أنا عليل ، فحنف المبتدأ لما مر .
ومثله قول أبى الطمَّحان القَتَنِى الشاعر الجاهلى ، وقال ابن قتيبة : الصحيح أنه قبيط بن زُرارة [من الطويل] :

أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُحَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعَ ثَاقِبُهُ
نُجُومٌ مِثْلُهَا كَلَّا انْقَضَ كَوَكَبٌ بَدَأَ كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أى : هم نجوم مِثْلُهَا ، فحنف المسند إليه .

* *

١٦ - إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفَى غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

عامد تيم
للمخاطب على
خطأ ظه

البيت لَعَبْدَةَ بن الطيب ، من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيهِ ويوصيهم بما هو المرضى شرعا ، وأولها :

أَبْنَى إِنْى قَدْ كَبُرْتُ وَرَأَيْتُ بَصْرَى وَفَى لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْعٌ^(١)
فَلَنْ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيَا تَبَقَى لَكُمْ مِنْهَا مَا تَرَوْا أَرْبَعُ
ذِكْرُ إِذَا ذُكِرَ الْكَرَامُ يُزِينُكُمْ وَوَرَاةَ الْحَسْبِ الْمَقْدَمُ تَنْفَعُ
وَمَقَامُ أَيَّامٍ لَمْ تُنْ فَضِيلَةٌ عِنْدَ الْخَفِيفَةِ وَالْمَجَامُعُ تَجْمَعُ
وَلَهَا مِنَ الْكَسْبِ الَّذِى يُغْنِيكُمْ يَوْمًا إِذَا احْتَضَرَ النَّفْسَ الْمَطْمَعُ
أَوْ صِبْكُمْ يَنْتَقِى الْإِلَهِ فَانَهُ يُعْطَى الرَّغَائِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

(١) فى المطبوعتين « وفى لمنظر مستمع » وما أثبتناه عن المفضليات

وَبَرٍّ وَالدِّكِّ وَطَاعَةٍ أَمْرِهِ إِنَّ الْأَبْرَمَ مِنَ الْبَنِينَ الْإِطْوَعُ
 إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ
 وَدَعَا الضَّغَائِنَ لَا تَكُنَّ مِنْ شَأْنِكُمْ إِنَّ الضَّغَائِنَ لِلْقَرَابَةِ تَوْضَعُ^(١)
 يُزْجِي عِقَارِيَهُ لِيَمِثَّ بَيْنَكُمْ حَرَامًا كَأَنَّهُ بَثَّ الْعُرُوقَ الْأَخْضَعُ^(٢)
 وَإِذَا مَضَيْتُ إِلَى سَبِيلٍ فَابْعَثُوا رَجُلًا لَهُ قَلْبٌ حَدِيدٌ أَصَمُّ
 إِنَّ الْحَوَادِثَ تَخْتَرِمُنَّ وَإِنَّمَا عَمُرُ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ مُسْتَوْدَعُ
 يَسْقَى وَيَجْمَعُ جَاهِدًا مُسْتَهْتَرًا جِدًّا وَلَيْسَ بِأَكْلٍ مَا يَجْمَعُ

وترونيهم : من الاراءة المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ^(٣) ، وجري مجرى الظن
 لبنائه للمفعول ، وانتصب « إخوانكم » على أنه مفعول ثان لترونيهم ، والغليل
 بالمعجمة : الخلد والضغن ، و « أن تصرعوا » في محل رفع على أنه فاعل يشق ،
 والصرع : الطرح على الأرض كالمصرع ^(٤) ، وهو موضعه
 والمعنى : يابني إن القوم الذين تظنونهم إخوانكم وتعتمدون عليهم في الشدائد
 بما ظننتم يشقى ما في صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا
 بالحوادث ، فأياكم واستئناهم والاعتماد عليهم ، وفيه إشعار بقولهم : الحزم سوء
 الظن ، والثقة بكل أحد عجز .

(١) في المفضليات «ودعوا الضغينة» وفيها بين هذا البيت والذي بعده
 بيت يحتاج إليه البيت التالي ، وهو قوله :

واعصوا الذي يزجي التهام بينكم متنصحا ، ذاك السهام المنقع
 (٢) بين هذا البيت والذي بعده في المفضليات ثلاثة عشر بيتا منها البيت
 المستشهد به

(٣) ليس ذلك بلازم ، ولا التزمه أحد من الذين كتبوا على التلخيص ، بل
 يجوز أن يكون مضارع رأى بمعنى ظن
 (٤) في المطبوعتين « كالمصروع »

والشاهد فيه: تنبيه المخاطب على الخطأ في غلته، إذ في قوله «إن الذين» من

التنبيه على الخطأ ما ليس في قولك إن القوم الفلانيين

وَعَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ^(١) شاعر مجيد، ليس بالكثير، والطبيب: لقب لأبيه،

وأمه يزيد بن عمرو، وينتسب لنسبه لقيم، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وكان

في جيش الزمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمداين، وقد ذكر ذلك في

قصيدته التي أولها [من البسيط]:

هَلْ حَبَلُ خَوْلَةٍ بَمَدِّ الهَجْرِ وَوَصُولٍ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بِمَيْدِ الدَّارِ مَشْغُولٌ

حَلَّتْ لُخْوَيْلَةٌ فِي دَارٍ مُجَاوِرَةٍ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِيهَا الدِّيكُ وَالْفِيلُ^(٢)

يَقَارِعُونَ رُؤْسَ الْعَجَمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ لَا غُرْلٌ وَلَا مِيلُ^(٣)

وقال الأصمعي: أرثي بيت قالته العرب^(٤) بيت عبدة بن الطبيب [من الطويل]:

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْتَدِمَا

وقال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو،

فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما تركه من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه

ضمة كما يرى تركه مروة وشرقا، وأنشد [من الوافر]:

(١) لمبة بن الطبيب ترجمة مختصرة في الأغاني، وقد وقع في المطبوعتين

في جميع المواضع «عبدة بن الطبيب» وهو تحريف بنقص الباء

(٢) في المفضليات «أهل المداين»

(٣) أراد بهذا الإشارة إلى الموقعة التي دارت بين العرب والفرس في

أعقاب القادسية، ويقارعون: يضاربون، والعجم - بضم فسكون - الفرس

هنا، والعزل: جمع أعزل، وهو من لا سلاح معه، والميل: جمع أميل، وهو

الذي ينحرف في ركوبه، وأراد به السوء الركبة

(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء في هذا البيت: هذا البيت أرثي بيت قيل،

وقال ابن الأعرابي: هو قائم بنفسه، ماله نفاير في الجاهلية والإسلام.

وأجراً من رأيتُ يظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو الميوس
وعن (١) ابن الأعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أي
المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل معركتها غرقه البيض (٢) وقال
آخرون : مناديل اليمن كأنها نورُ الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخي بنو سعد
هبة بن الطبيب حيث يقول [من البسيط] :

لما نزلنا ضربنا ظلَّ أخبيةٍ وفار للقوم بالحم المراجيل (٣)
ورَدَ وأشقرُ ما يؤنسُ طابخه ماغيرُ الغلى منه فهو مأكل (٤)
فتمت قننا إلى جردٍ مسومةٍ أعرافهن لا يدبنا مناديل (٥)
يعنى بالمراجيل المراحل ، فزاد فيها الباء ضرورة .

١٧ — إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعّمه أعزُّ وأطولُ
البيت للفرزدق ، وهو أول قصيدة طويلة من الكامل (٦) يزيد على مائة
بيت ، وبعده :

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى ملكُ السماء فانه لا ينقل (٧)

-
- (١) وردت هذه القصة في العقد الفريد (١-١٩٢ الجنة)
(٢) غرقه البيض : قشرته الرقيقة اللاصقة بيضاءه
(٣) في المنفضيات * لما وردنا رفمنا ظل أردية وفي العقد كما هنا ، وفي
المنفضيات والعقد جميعاً * وفار بالحم للقوم
(٤) في المنفضيات والعقد جميعاً * وردا وأشقر لم ينه طابخه * وفي العقد
وحده * ماقارب النضج منها
(٥) في العقد * وقد وثبنا على عوج مسومة
(٦) أقرأها في الديوان (٧١٤)
(٧) في الديوان «حكم السماء»

يَبْتَأُ زُرَّارُهُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
يَلْجُونَ يَبْتَاجُشَ مَاذَا احْتَبُوا بِرَزْوَا كَأَنَّهُمْ الْجِبَالُ الْمُشْتَلُ
يَقَالُ : سَمَكَ الشَّيْءُ سَمَكًا إِذَا رَفَعَهُ . ومعنى البيت ظاهر .
والمراد بالبيت فيه الكعبة ، أو بيت المجد والشرف .

والشاهد فيه : جمل الابعاء إلى وجه الخبر وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأنه ،
وذلك لقوله « إِنْ الذِّى سَمَكَ السَّمَاءُ » ففيه إيماء إلى أَنَّ الخبر المبني عليه أمر
من جنس الرقة والبناء ، بخلاف ما لو قيل إِنْ اللَّهُ أَوْ الرَّحْمَنُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . ثم فيه
تعريض بتعظيم بناء بيته لكونه فعل من رفع السماء التي لا بناء أرفع منها ولا أعظم .
حدث سلمة بن عباس^(١) مولى بنى عامر بن لؤى قال : دخلت على الفرزدق في
السجن وهو محبوس ، وقد قال قصيدته :

بعض أخبار
الفرزدق

إِنَّ الذِّى سَمَكَ السَّمَاءُ بَنَى لَنَا يَبْتَأُ دَعَائِمَهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
وَقَدْ أَغْصَمُوا أَجْبَلَ^(٢) ، فقلت له : أَلَا أُرْفِدُكَ ؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت :
نعم ، ثم قلت :

يَبْتَأُ زُرَّارُهُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
فاستجاد البيت ، وغازظه قولى ، فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من قریش ،
قال : من أيها ؟ قلت : من بنى عامر بن لؤى ، فقال : لئام ، والله رَصْعَةٌ ، جاورتهم
بالمدينة فما أحدثتهم . فقلت : أَلَا مَ وَاللَّهِ مِنْهُمْ وَأَوْضَعُ قَوْمُكَ ، جاءك رسول مالك بن
النضر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد
ولا نصرك . فقال : قَاتِلْكَ اللَّهُ ! ما أمرك ؟ وأخذ البيت وأدخله في قصيدته
ذكرت بقوله : « يَبْتَأُ زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ » البيت ، ما ذكره بعض أهل
الأدب قال : ماشبهت تأويل الرافضة في قبس مذهبهم إلا بتأويل بعض مجانين

(١) فى بعض النسخ « سلمة بن عباس » .

(٢) فى المطبوعتين « وأحبل » .

أهل مكة في الشعر، فانه قال يوماً : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيننا زرارة محتجب بفناؤه ومجاشع وأبو الفوارس نبشل
أن هذه أسماء رجال منهم ، قلت : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت
الله ، والزرارة الحجر زرت حول البيت ، ومجاشع زهرهم جشعت بالماء ، وأبو الفوارس
هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له : فنبشل ؟ ففكر فيه ساعة ثم قال : قد أصبته
هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النبشل .

وذكرت أيضاً هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول :
أبقى غلامان لرجل منا يقال له النضر ، فحدثني قال : خرجت في طلبهما وأنا على
ناقة لي عيساء كرماء أريد اليمامة ، فلما صرت في ماء لبني حنيفة يقال له
الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخت عزاليها ، فمدلت إلى بعض
ديارهم وسألت القرى ، فأجابوا ، فدخلت داراً لهم واتمت الناقة وجلست تحت
ظلة لهم من جريد النخل ، وفي الدار لهم جويرة سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها
سبيكة فضة ، وكان عيذها كوكبان دُرَّيان ، فسألت الجارية : لمن هذه العيساء ؟ تعنى
ناقتي ، فقيل : لضيفكم هذا ، فمدلت إلى فتالت : السلام عليكم ، فرددت عليها
السلام ، فتالت : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة ، فتالت : من أيهم ؟ قلت :
من بنى نبشل ، فتنبست وقالت : أنت إذا من عناء الفرزدق بقوله ، وذكر
الآيات السابقة ، قال : فقلت : نعم جعلتُ فداك ! وأعجبني ما سمعت منها ،
فضحكك وقالت : إن ابن الخطمي ، تعنى جريراً ، قد هدم عليكم دينكم هذا
الذي قد فخرتم به ، حيث يقول (١) :

أخرى الذي رَفَعَ السماء مجاشعاً . وبنى بناه بالحضيض الأسفل

(١) انظرهما في الديوان (٤٤٤) ضمن قصيدة أولها :
لمن الديار كأنها لم تحمل بين الكناس وبين طلع الأعزل

يَمِينًا يَحْمُمُ قَيْنَكُمْ خِيَانَةً دَنَا مَقَاعِدُهُ خَيْثَ الْمَدْخَلِ (١)
 قال: فوجعت، فلما رأيت ذلك في وجهي قالت: لا بأس عليك، فان الناس
 يُقَدِّرُ فِيهِمْ يَقُولُونَ، ثم قالت: أين تَوَمُّ؟ قلت: اليامة. فتنفست الصعداء ثم
 أنشأت تقول [من الوافر]:

تُذَكِّرُنِي بِإِلَافٍ خَيْرٍ أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْحِكْمَةِ
 أَلَا فَسَى الْإِلَهِ أَجْسٌ صَوْبِ يَسْحُ بَدْرُهُ بِلَدِّ الْجَمَةِ
 قال: فأنتسيتها قلت: أذات خدر أم ذات بعل؟ فأنشأت تقول
 [من الوافر]:

إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ كَانَ عَمْرًا تَوَدُّهُ الْمَعْمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
 تُقَطِّعُ قَلْبُهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِي
 سَقَى اللَّهُ الْجَمَلَةَ حَارَ قَوْمِ بِهَا عَمْرُو يَمِينُ إِلَى الرُّوَّاحِ
 قال: قلت لها: من عمرو هنا؟ فأنشأت تقول [من الوافر]:

سَأَلْتُ وَكُوَعِلْتُ كَفَفْتُ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْغُلْبِيرِ
 هَلْ تَنْكَ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا لَكَ الْقَمِيرُ الْمُغْيَى الْمُسْتَمِيرِ
 وَمَالِي بِالْتَّبَعْلِ مُسْتَرَاخٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعْلُ لِي أُسِيرِي
 قال: ثم كنت سكتة كأنها تسمع إلى كلامه، ثم نهافت وأنشأت تقول:

يُخَيِّلُ لِي أَيَا عَمْرُو بْنِ كَسِيرٍ بَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
 يَسِيرُ بِكَ الْهَوَيْنَا الْقَوْمُ لَنَا رِمَاكُ الْحَبِّ بِالْقَلْقِ الْيَسِيرِ
 هَلْ تَنْكَ هَكُنَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ
 ثم شفت شهقة فخرت ميتة، قلت لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عقيلة بلت

(١) يحمم: أراد أنه يدخن فيه فيلطفه بسواد الدخان

الضحك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، قتلت لهم : فن
عمرو هذا ؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلت من عندهم ،
فلما دخلت الحيمة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي
قالت فيه ما قالت

والفرزدق قد تقدم ذكره في شواهد المقدمة ^(١)

١٨ — * هذا أبو الصقر فردا في نحاسه *

شامد تحريف
المسند إليه
بالإشارة

قائله ابن الرومي ، وتماهه :

* مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ يَتَنَ الضَّالِّ وَالسَّلْمِ *

وهذا البيت من قصيدة من البسيط ، وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة
قبيلتان ، والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية ، وفردا : منصوب على المدح
أو الحال

والمعنى : هذا المشار إليه صاحب الاسم المشهور إذا ذكر رجلا فردا في
محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية ، والاقامة بها
ما تتمتع به العرب لأن قد العز في الحضر .

والشاهد فيه : تعريف المسند إليه بإبراده اسم إشارة متى صلح المقام له واتصل
به غرض ، وصلاحيته بأن يصح إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه
حساً ، ثم الغرض الموجب له أو المرجح تفصيل يأتي ضمن الشواهد إن شاء الله
تعالى ، وتعرفه بالإشارة هنا لتمييزه أكل تمييز ، وذلك في قوله « هذا أبو الصقر »
لصحة إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة حساً .

(١) انظر ترجمته في أواخر شرح الشاهد رقم ٧

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

أولئك قومٌ إن بنوا أخسوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وقول ملاح حاتم الطائي [من الكامل] :

وَإِذَا تَأَمَّلْتُ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّلٍ سِرْبًا لَيْلٍ أَغْبِرِ

أَوْمًا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرَتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنَحِّرْ

وابن الرومي ^(١) هو : أبو الحسن علي بن العباس بن جرير ، وقيل : هو

أبو جرجيس ^(٢) الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ،

ينوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكائنها ويبرزها في أحسن قالب ،

وكان إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصى فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ، ومعانيه

غريبة جيدة .

وحكى ابن درستويه وغيره أن لائماً لأمه فقال له : لم لاتشبه كتشبهات

ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني عن

مثله ، فأنشده قوله في الهلال [من الكامل] :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِي مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَنِي حُمُولُهُ مِنْ عَنَبٍ

فقاله : زدي ، فأنشده قوله في الآذنين ، وهو زهر أصفر في وسطه خل أسود ،

وليس بطيب الرائحة ، والفرسُ تعظمه بالنظر إليه وفرشه في المنزل [من

مجزوء الرجز] :

كَأَنَّ أَذْذِيُونَهَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالْيَةِ

مَدَاهِنٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ بَقَايَا غَالِيَةِ

فصاح : واغوثاه ! تالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون

(١) لابن الرومي ترجمة في ابن خلكان (٤١-٤٢)

(٢) الذي في ابن خلكان «وقيل جورجيس»

بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أى شئ أصف ، ولكن انظر إذا أنا وصفت ما أعرف
 أين يقع قولى من الناس ، هل لأحد قط قول مثل قولى فى قوس ^(١) الغمام
 وأنشد [من الطويل] :

وساقى صبيح للصَّبوح دَعَوْتُهُ فقامَ وفى أجمانه سِنَّةَ الغَمَضِ
 يطوفُ بكاساتِ العُمارِ كأنهم مِن بين مُنْقَضَ عَلِينَا وَمُنْقَضِ
 وقد نَشَرَتْ أَيْدَى الجَنُوبِ مَطَارِفًا على الجَوِّ دَكْنًا والحواشى على الأرضِ
 يطرُّرُها قوسُ السحابِ بأخضرٍ على أحمرٍ فى أصفرٍ إثرَ مبيضِ
 كأذِلالِ خَوْدِ أَقْبَلْتُ فى غلايلِ مُصْبَغَةٍ والبعضُ أَقْصَرُ من بَعْضِ
 وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان ، منهم صاحب اليتيمة . وقولى فى

صانع الرقاق [من البسيط] :

إن أنسَ لا أنسَ خَبَارًا مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرِّقَاوَةَ مِثْلَ المَحْجِ بالبصرِ ^(٢)
 ما بين رؤيتها فى كَفِّهِ كُرَّةً وبين رؤيتها قَوْرًا كَالْقَمَرِ
 إلا بمقدار ما تَنَدَّاحُ دَائِرَةُ فى لُجَّةِ المَاءِ يُلْقَى فِيهِ بالحجرِ
 وقولى فى قالى الزلاية [من البسيط] :

وَمُسْتَقَرٌّ عَلَى كُرْسِيِّ تَعَبٍ رُوحِ الفَدَاءِ لَهُ مِنْ مُنْصَبٍ نَصَبِ
 رَأَيْتُهُ سَحْرًا يَقْلَى زَلَايَةً فى رِقَّةِ القشِرِ والتجويفِ كَالْقَصَبِ
 كَأَنَّمَا زَيْتُهُ الْمُقْلَى حِينَ بَدَأَ كَالْكِيَمَاءِ الَّتِي قَالُوا وَلَمْ تَصِبِ

(١) هو قوس قزح الذى يظهر فى السماء عقب المطر ، وقد روى صاحب
 يتيمة الدهر هذه الايات ونسبها إلى سيف الدولة الحمدانى (١-٢٤) وقد
 ذكر المؤلف ذلك هنا .

(٢) فى أصول الكتاب « لا أنس لا أنس » وهو غير المعروف .

يُنْقِرُ الْمَجِينُ أَجْبِيئًا مِنْ أَنْالِهِ فَيَسْنَحِلُ شَبَابِيكَايْنَ الذَّهَبِ
 وَمِنْ مَعَانِيهِ الْبَدِيْعَةُ قَوْلُهُ [مِنْ السَّكَاكِلِ] :
 وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأًا لِدَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هِجَاهَهُ
 لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوَرُودِ لِمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
 وَقَدْ كَرَّ ابْنُ الرُّومِيِّ هَذَا الْمَعْنَى فِي نَظْمِهِ فَقَالَ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :
 إِذَا عَزَّ رِفْدٌ لُصْتَرِفِدٍ أَطَالَ الْمَدِيحَ لَهُ الْمَادِحُ
 وَقَدْ مَا إِذَا اسْتَبَعَدَ الْمُسْتَقَى أَطَالَ الرِّشَاءَ لَهُ الْمُنَاغِ
 وَقَدْ أَخَذَهُ السَّرَاجُ الْوَرَاقَ فَقَالَ [مِنْ الْمَجْثَثِ] :

سَامِحٌ يَفْضُلُكَ عَبْدًا مُقْصِرًا فِي الثَّنَاءِ
 رَأَى قَلِيلاً قَرِيبًا فَلَمْ يُطِلْ فِي الرِّشَاءِ
 وَعَلَى ذِكْرِ آيَاتِهِ الْمَارَّةِ فِي صَانِعِ الرِّفَاقِ ذَكَرْتُ مَا حَكَى عَنْ الْأَدِيبِ أَبِي
 عَمْرِو التَّمِيمِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أُنْشِئَتْ فِي حَلَقَتِهِ فَقَالَ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ : مَا أَظُنُّ أَنَّ
 يُقَدَّرُ عَلَى الزِّيَادَةِ فِيهَا ، فَقَالَ :

فَكُنْتُ أَضْرُطُّ إِعْجَابًا لِرُؤْيِهَا وَمَنْ رَأَى مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَرِي
 فَضَحْتُ مِنْ حُضْرٍ ، وَقَالُوا : الْبَيْتُ لَا تُلَاقُ بِالْقِطْعَةِ لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ
 الرَّجِيعِ ، فَقَالَ :

نَ كَانَ بَيْتِي هَذَا لَيْسَ يُعْجِبُكُمْ فَعَجَلُوا مَحْوُهُ أَوْ فَالْعَقْوُهُ طَرِي
 وَمِنْ مَعَانِيهِ ابْنُ الرُّومِيِّ الْبَدِيْعَةُ قَوْلُهُ يَهْجُو [مِنَ السَّرِيعِ] :

لِإِعْدَالِهِ شَاعِرُنَا زَوْجَةً لَهَا حِرٌّ يَبْلُغُ مِثْلُهَا
 قَوَّامَةٌ بِاللَّيْلِ لَكُنْهَا تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ بِرِجْلِهَا

وقوله في هذا المعنى ^(١) أيضاً [من الرجز] :

مرفوعة تحت الدُّجَا رِجْلاها كأنما يَسْتَغْفِرُ الله
وقد أخذ هذا المعنى أبو عبد البصرى فقال من أبيات [من الوافر] :
وَلَا تَتَزَوَّجْنَ لَهُمْ بَيْتَ فَلَسُودَانِ عِنْدَهُمْ مَرَاحُ
بَارِجِلَهُنَّ يَسْتَغْفِرْنَ ذُنُوبَهُنَّ فَارْجِلُهُنَّ لِلْبَعَوَاتِ رَاحُ

رجع إلى شعر ابن الرومي ، فنه قوله [من الكامل] :

طامن حَشَاكَ فَبِلاَ مَحَالَةٍ وَاقِعٍ بِكَ مَا تُحِبُّ مِنَ الْأُمُورِ وَتَكْرَهُ
وَإِذَا أَنَاكَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرٌ وَهَرَبْتَ مِنْهُ فَتَحَوُّهُ تَوَجُّهُ
ومنه قوله يهجو [من الوافر] :

غَضِبْتَ وَظَلَمْتَ مِنْ سَفْعِهِ وَطَيْشٍ تَزْهَرُ لَحْيَةً فِي قَدَرِ رَقْشٍ
فَمَا انْفَرَقَتْ لِبَضْبِكَ الثَّرْيَا وَلَا اجْتَمَعَتْ لِذَاكَ بَنَاتُ نَعْشٍ
ومنه قوله أيضاً [من البسيط] :

إِنْ كُنْتُ مِنْ جَهْلٍ حَقِي غَيْرَ مُعْتَدِرٍ وَكُنْتُ عَنْ رَدٍّ مَسْحِي غَيْرَ مُنْقَلَبٍ
فَاعْطِنِي يَمْنَ الطَّرْسِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ الْقَصِيدَةُ أَوْ كِفَارَةُ الْكُنْبِ
وقد تبعه الفاضل علي بن مليك الحموي وأخذ غالب ألفاظه فقال [من البسيط] :

مَدَحْتُمْ طَمَعًا فِيهَا أَوَّلُهُ فَلَمْ أَنْلُ غَيْرَ حَظِّ الْأَثَمِ وَالْوَصْبِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَةً مِنْكُمْ لِذِي أَدَبٍ فَأَجْرُهُ الْخَطُ أَوْ كِفَارَةُ الْكُنْبِ

ولابن الرومي في مثله [من الكامل] :

رُدُّوا عَلَى صَحَائِقِ سَوْذَتِهَا فَيَكُم بِلاَ حَقٍّ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو تمام بقوله في المطلب الخزاعي [من السريع] :

أَقُولُ عَدْلًا فَيْكَ فِيمَا أَرَى إِنَّكَ لَا تَقْبَلُ قَوْلَ الْكُنْبِ

(١) في المطبوعتين « وقوله فيها هذا المعنى »

مَدَحَكُمْ كَذِبًا لِحَزِينَتِي بَحْلًا لَقَدْ أَنْصَفْتَ يَا مُطَلِبُ

وقال بن زيدون [من الكامل]:

فَقُلْ لِحَزِينَتِي وَقَدْ قَضَيْتُ بِمَدْحِهِ عُرَى فَكُنَّ السَّجْنُ مِنْهُ تُؤَابِي

لَا تَخْشَى لَأَتَمَّ بِهَا قَدْ جَنَّتْهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عَنَابِي

لَمْ تَخْشِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مَوْهَبًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَتَابِ

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقولت بالحرمان

[من البسيط]:

كَلَّمُوا قَصِيدَكَ بِالْحُرْمَانِ لِمَ رَجَعْتَ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ خَبَرْنَا عَنْ السَّبَبِ

صَلَّتْ مَا قَوْلُكَ يَا شَاعِرَ عَنْ خَطَايَا إِلَّا لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْكُذْبِ

ومن شعرا ابن الرومي يهجو إبراهيم بن المهدي ، وهو قريب من هذا المعنى

[من الوافر]:

رَدَدْتَ إِلَى شِعْرِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دُنْتُ مَلْبَسُهُ الْجَدِيدَا

وَقُلْتَ أَمْسَحْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الْرِيدَا

وَلَا سِيَّامًا وَقَدْ أَعْلَقْتَ فِيهِ تَخَازِيكَ اللَّوَانِي لَنْ تَبِيدَا

وَهَلْ لِحَيٍّ فِي أَنْوَابِ مَيِّتٍ لَبُوسٌ بَعْدَ مَا امْتَلَأَتْ صَدِيدَا

وقال أبو جعفر بن وضاح في أبي الوليد بن مالك وقد قصد عن برة

[من الكامل]:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ الْمَالِكِي رِسَالَةً مَحْذُودَةً بِمِثْلِ السَّنَنِ الْهَذِيمِ

أَلَيْسَتْ أَمْدًا حَى كَأَزْهَارِ الرُّبَا وَحَزِينَتِي بَقْطِيعَةً وَتَجْمِيمِ

فَرَزْدَدٍ عَلَى مَدَامْنِي مَوْفُورَةً هَذَا السَّوَارِ لِنِيرِ ذَلِكَ الْمِصْمِ

ولطيف قول أبي المظفر الأبيوردى [من الكامل]:

وَمِمَّا نَحْنُ نَحْكِي الرِّبَاضَ أَضْمَتَهَا فِي بَإِخْلٍ أَعْيَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ

فَإِنَّا نَشْمَعُ الرِّوَاةَ وَأَبْصُرُ الْمَسْمُوحَ قَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ

وقول أبي بكر بن مجير الأندلسي [من الوافر] :

وَقَالَتِ تَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتَنِي أَطَايِي الْجَذْبَ فِي الْمَرْعِ الْخَصِيبِ
أَمَّا عَنَفَ الْفَقِيهِ وَأَنْتَ تَشْكُو لَهُ شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الطَّيِّبِ
وَقَدْ مَرَّ الشَّنَاءُ بِمَعْطَفِيهِ كَمَا مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى الْقَضِيبِ
فَقُلْتُ : عَلَى شُكْرٍ وَامْتِدَاحٍ وَلَيْسَ عَلَى تَقْلِيْبِ الْقُلُوبِ

وما أحسن قول بشار ، وكان قد مدح المهدي بقصيدة فخره الثواب ، فقبل
له : حرمك أمير المؤمنين ، فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما خشي
صرفه على أحد ، ولسكنني كذبت في العمل فكذبت في الأمل

وطيف قول ابن جنيته البغدادي [من البسيط] :^(١)

تَفَضَّلُوا وَاعْذَرُوهُ فِي مُنَاطَلَتِي أَنَا أَحَقُّ وَحَقُّ اللَّهِ مِنْ عَتَا
وَلَا تَلُومُوهُ فِي وَعْدٍ يَرُدُّهُ فِي وَقْتٍ مَدَحِي لَهُ عِلْمُهُ الْكَذِبَا
ولا بن جنيته المذكور يعتذر عن بخل المدوحين لفرض عرض له [من الكامل] :
قَدْ بَانَ لِي عَذْرُ الْكَرَامِ فَصَدَّمْ عَنْ أَكْثَرِ الشُّعْرَاءِ لَيْسَ بِعَارٍ
لَمْ يَسْأَلُوا بِذَلِكَ النِّوَالِ وَإِنَّمَا جَدَّ النَّدَى لِبِرْوَدَةِ الْأَشْعَارِ
وقال بعضهم في تهديد عذر الهجائين [من المزج] :

تَدَانَتْ طُرُقُ الْيَاسِ فَطَالَتْ طُرُقُ الشُّجْعِ
وَأَجْدَى مَكْسَبُ الْفَشِّ فَأَكْدَى مَكْسَبُ النَّصْحِ

(١) ابن جنيته : هو الحسن بن أحمد بن محمد بن جنيته الشاعر البغدادي ،
كان شاعراً ظريفاً خليعاً ، وأكثر أشعاره مقطعات ، توفي سنة ثمان وعشرين
وخمسة ، وله ترجمة في فوات الوفيات (١-١٤٨)

وَكَانَ الْإِثْمُ فِي الْمَجْرِي فَصَارَ الْإِثْمُ فِي الْمَدْحِ

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ جُحَظَةَ [مَنْ الْوَافِرُ] :

أَدْبَى النَّاسُ فِي فِعْلِ الْمَسَاوِي فَأَيُّهُمْ سَيِّئٌ الْقَبِيحِ

وَصَارَ الْجُودُ عِنْدَهُمْ جُنُونًا فَأَيُّهُمْ سَيِّئٌ الشَّحِيحِ

وَكَانُوا يَهْرَبُونَ مِنَ الْأَهَاجِي فَصَارُوا يَهْرَبُونَ مِنَ الْمَدِيحِ

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

كَانَ الْكِرَامُ وَأَبْنَاءُ الْكِرَامِ إِذَا تَسَامَعُوا بِكَرِيمٍ مَسَّهُ "عَدَمُ"

تَسَابَقُوا فَيَوَاسِيهِ أَخُو كَرَمٍ مِنْهُمْ وَيَرْجِعُ بِأَقْبَمِهِمْ وَقَدْ نَدِمُوا

وَالْيَوْمَ لَا شَكَّ قَدْ صَارَ النَّدَى سَفَهًا وَيَنْكُرُونَ عَلَى الْمَعْطَى إِذَا عَلِمُوا

وَمَدَحَ أَبُو الْحُسَيْنِ بَنَ الْفَضْلَ أَحَدَ الْوُزَرَاءِ بِمِرَاكَشٍ ، وَكَانَ أَقْرَعُ ، فَلَمْ

يُثْبِتْهُ ، فَقَالَ [مَنْ السَّرِيعُ] :

أَهْدَيْتُ مَدِيحِي لِلْوَزِيرِ الَّذِي كَتَبَا بِهِ الْمَجْدُ فَلَمْ يَسْمَعْ

لِحَامِلِ الشَّعْرِ إِلَيْهِ كُنْ يُهْدِي بِهِ مُشْطًا إِلَى أَقْرَعِ

وَمَا أَتَّخَذَ قَوْلُ أَبِي رِيَّاسٍ فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَقَدْ مَدَحَهُ وَتَأَخَّرَتْ صَلَاتُهُ وَطَالَ

رُؤُودُهُ إِلَيْهِ [مَنْ الْمُتَقَارِبُ] :

وَقَائِلَةٌ قَدْ مَدَحْتَ الْوَزِيرَ وَهُوَ الْمُؤْمَلُ وَالْمُسْتَحُ (١)

فَإِذَا أَفَادَكَ ذَلِكَ الْمَدِيحِ وَهَذَا الْغَدُوُّ وَهَذَا الرُّوَّاحُ

فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ يَدْرِي أَمْرُؤُ بَأَيِّ الْأُمُورِ يَكُونُ الصَّلَاحُ

(١) «وهو» بتشديد الواو لاقامة وزن البيت ، وقد جاء ذلك في الشعر

العربي المحتج به ، وذلك قول الشاعر :

وإن لسانى شهده يشتقى بها وهو على من صبه الله علقم

عَلَى التَّقَلُّبِ وَالْاضْطِرَابُ بِمَجْهَرٍ وَلَيْسَ عَلَى النِّجَاحِ^(١)
 وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريباً .
 ولابن الرومي في ذم الخضاب ، وهو من معانيه المخترعة^(٢) [من الطويل] :
 إِذَا رَمَمَ الْمَرْءُ الشَّبَابَ وَأَخْلَقَتْ شَبَابَهُ ظَنُّ السَّوَادِ خَضَاباً^(٣)
 وَيَفَظُنُّ الشَّيْخُ أَنَّ خَضَابَهُ يُظَنُّ سَوَاداً أَوْ يَخَالُ شَبَاباً^(٤)
 وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزي عن الخضاب ،
 وهو أحسن شيء رأيته في معناه [من الخفيف] :

فِي مَشَبِي شِمَاتِي لِعِدَاتِي وَهُوَ نَاعٍ مُنْغَصُّ لِحْيَاتِي
 وَيَعِيبُ الْخَضَابَ قَوْمٌ وَفِيهِ لِي أَنْسُ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي
 لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ مِنِّي مَا بِهِ رُمْتُ خَلَّةُ الْغَانِيَاتِ
 إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ أُغَيَّبَ عَنِّي مَا تُرِينِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي
 هُوَ نَاعٍ إِلَى نَفْسِي وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجُوهَ النُّعَاتِ
 وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيف الحال متكلف
 المعيشة قاعداً تحت قول أبي الشيبان [من الكامل] :
 * لَيْسَ الْمَقْلُ عَنْ الزَّمَانِ بِرَاضٍ *

- (١) «الاضطراب» بقطع همزة الوصل لإقامة الوزن أيضاً ، وقد جاء ذلك
 في شعر العرب المحتج به عند الضرورة ، فمن ذلك قول الشاعر :
 أَلَا أَرَى إِنِّنِّي أَحْسَنُ شَيْمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جَمَلِ
 (٢) البيتان في ابن خلكان (٢-٤٢) مع بعض تغيير سند ذكره
 (٣) ورد صدر هذا البيت في ابن خلكان * إذا دام للمرء السواد وأخلقت *
 (٤) وقع في ابن خلكان « فكيف يظن » وقد وقع في أصول الكتاب
 « أو يخال » - بالحاء المهملة - محرفاً

وهو القتال [من الخفيف] :

قُلْتُ لِلدَّهْرِ مِنْ فَضُولَى قَوْلًا وَحَدَانِي عَلَيْهِ طِيبُ الْأَمَانِ
أَتَرَانِي بِخَلْمَةٍ أَنَا أَجْبَى ذَاتَ يَوْمٍ وَفَاخِرِ الْحُمَلَانِ
قَالَ هِبْهَاتِ أَنْتِ وَالنَّحْسُ تَرَبَّيَا نِ وَقَدْ كُنْتَا رَضِيعَى لِبَانِ
لَا تُؤْمَلُ دُرُ كُوبَ شَيْءٍ سِوَى النَّعْشِ وَلَا خِلْمَةٍ سِوَى الْأَكْفَانِ
وله من أبيات [من الوافر] :

يُكَلِّفُنِي التَّصْبِرَ وَالْقَلْبَ وَهَلْ يُسْطَاعُ إِلَّا الْمُسْتَطَاعُ
وَقَالُوا قِسْمَةَ نَزَلْتُ بِمَعْدِلٍ قَعْلُنَا لَيْتَهُ جَزَرُ مُشَاعُ

وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجيه ، فمن ملحه فيه قوله [من السريع] :

أَبَا الْعَلَاءِ اسْكُتْ وَلَا تُؤْذِنَا بِشَيْنِ هَذَا النَّسَبِ الْبَارِدِ
وَتَدْعِي مِنْ أَسَدٍ نَسَبَةً لَا تَنْبُتُ الدَّعْوَى بِلَا شَاهِدِ
أَقَمْ لَنَا وَالِدَةً أَوْلَا وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ الْوَالِدِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

قَابِلُ هَدِيَّتِ أَبَا الْعَلَاءِ نَصِيحَتِي لَا تَهْجُونِ أَسْنَّ مِنْكَ فَرِيحًا
تَهْجُو أَبَاكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
وقوله [من الكامل] :

أَضْحَى الْمَلُومُ أَبَا الْعَلَاءِ يَسْبِي وَأَنَا أَبُوهُ يَمَعْنِي وَيَعَادِي ^(١)
وَالْمُنْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَوْلَادِهِ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَوْلَادِي
ولترجع إلى شعر ابن الرومي

قال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره ، وهو معنى جيد [من الكامل] :

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهَا الشَّبِيحَةَ وَالْعَبَا وَلَبِستُ ثَوْبَ اللَّهِ وَهُوَ جَدِيدُ

(١) كذا ، وصوابه عندنا • أضحى الملووم أبو العلاء يسبني •

فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ وَعَلَيْهِ أَفْصَانُ الشَّلْبِ تَجِدُ
ومحاسنه كثيرة ، وديوان شعره رتبه الصولى على الحروف ، وكلن كثير التطير
جداً ، وله فيه أخبار غريبة ، وكلن أصحابه يعيشون به فيرسلون إليه مَنْ يَظْطِير
من اسمه فلا يخرج من بيته أصلاً ويمتنع من التصرف سائر يومه ، وأرسل إليه
بعض أصحابه يوماً بسلام حسن الصورة اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال :
من ؟ قال : حسن ، فتفاهل به وخرج ، وإذا على باب داره حاتوت خياط قد سلب
عليها درفتين كهيئة اللام ألف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فطير وقال : هذا يشير
بأن لا تمر ، ورجع ولم يذهب معه .

وكلن الأحفش على بن سليمان قد تولع به ، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح
فاذا قال : مَنْ القارع ؟ قال : مرة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التى يَظْطِير
بنكرها ، فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج يومه أجمع ، فكتب إليه ينهله
ويتوعده بالمجاء ، فقال [من المنسرح] :

قُولُوا لِنَحْوِيْنَا أَبَى حَسَنِ إِنَّ حُسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
وَإِنْ نَبَلِي إِذَا هَمَمْتُ بِهِ أَرْمِي غَدَا نَصَلُهَا بِجَمْرِ غَضَا
لَا تَحْسِبَنَّ الْمَجَاءَ يَخْدُمُ السَّرْفُ وَلَا خَفَضُ خَافَضُ خَفَضَا
ومنها :

عِنْدِيهِ السُّوْطُ إِنْ تَلَامَ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي اللَّجَامُ إِنْ رَكَّضَا
وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان^(١) بن وهب وزير المعتضد بخلاف

(١) فى الأصول « القاسم بن عبد الله بن سليمان » وما أتبعناه موافق لما فى
ابن خلكان

هجوهُ وفلتت لسانه ، فـدس عليه ابن فراس ، فأطعمه خشكناتجة^(١) مسمومة ،
فلما أسكها أحس بالسـم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى
الموضع الذي بنت بي إليه ، فقال له : سل على والدي ، فقال : ليس طريق على
النار ، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات .

وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط
عليه في بعض العقاقير ، قال نبطويه النحوي : رأيت ابن الرومي وهو يجود بنفسه
فقلت : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غَلَطَ الطَّبِيبُ عَلَى غَلْطَةِ مُورِدٍ تَحَبَّرْتُ مَوَارِدَهُ عَنِ الإِصْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ الطَّبِيبَ وَإِنَّمَا غَلَطَ الطَّبِيبُ إِصَابَةَ الْأَقْدَارِ

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته
يجود بنفسه ، فلما قت من عنده قال [من الوافر] :

أَبَا عَثْمَانَ أَنْتَ تَحْيِيذُ قَوْمِيكَ وَجُودُكَ لِلْعَشِيرَةِ دُونَ لُؤْمِيكَ
تَرْوِدُ مِنْ أُخِيكَ فَلَا أَرَاهُ يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِيكَ

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب
سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفي في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى
الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : أربع وثمانين ، وقيل : وسبعين ومائتين ، ودفن
في مقبرة باب البستان ، رحمه الله !

(١) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالشيرج ويبسط ويملا بالسـكر
واللوز أو الفستق وماء الورد ثم يضم ويخبز ، وأهل الشام يسمونه المككن
قاله داود في التذكرة . وقد تكلمت به العرب ، قال الرازي :
ياحبذا الكعك بلحم مثرود و خشكنان وسويق مقنود

١٩ - أُولَئِكَ أَكْبَىٰ جَنَّتِي بِمَنِّهِمْ إِذَا جَعَلْنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ شاهد الاتيان
 بالسند إليه اسم
 إناوة
 للتريض البيت للفرزدق، من قصيدة^(١) من الطويل، يقتخر بها على جرير، أولها :
 مِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرُّجَالُ سَمَاحَةً وخيراً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَارِعُ
 وَمِنَّا الَّذِي أَعْطَى الرَّسُولُ عَطِيَّةً أسارى تميم والعُيُونُ دَوَامُعُ^(٢)
 وَمِنَّا الَّذِي يَهْلِي المِثْنِ وَيَشْتَرِي السُّفُوَالِي وَيَلُو فَضْلُهُ مَنْ يُدَارِعُ
 وَمِنَّا خَطِيبٌ لَا يَعَابُ وَحَامِلٌ أَغْرُ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الجَمَاعُ^(٣)
 وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الوَيْدَ وَغَالِبٌ وعمرُو وَمِنَّا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ^(٤)
 وَمِنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فَنِيَانُ غَارَةٍ إِذَا مَتَمَعْتَ بِمَدِّ الرَّجَاجِ الْأَشَاجِعُ^(٥)
 وَمِنَّا الَّذِي قَادَ الجِيَادَ عَلَى الوجي لِنَجْرَانِ حَتَّى صَبَحَتْهُ التَّرَائِعُ
 وبعده البيت، وهي طويلة.

ومعنى البيت التعجيز لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه.

(١) أقرأها في الديوان (ص ٥١٦) وهي نقيضة لقصيدة لجرير بن عطية
 مطلعها :

ذَكَرْتُ وَصَالَ البَيْضَ وَالشَّيْبَ وَازَعَ وَدَارَ الصَّبَا مِنْ عَهْدِهِنْ بِسَلَاقِعِ

(٢) يقصد الأقرع بن حابس، وكان قد خاطب الرسول في بني عمرو بن
 جندب بن العنبر، فرد سببهم

(٣) أراد بالخطيب شبة بن عقال، وأراد بالحاامل عبد الله بن حكيم

(٤) الذي أحيا الويد هو جده صعصعة، وغالب هو أبوه، وعمرُو هو

ابن عمرو بن عدس، والأقارِع : الأقرع بن حابس وأخوه فراس

(٥) في الديوان « إِذَا مَتَمَعْتَ نَحْتِ الرَّجَاجِ » ومتعت : ارتفعت، وأراد
 بالأشاجع الأيدي، وأصلها عصب ظاهر الكف، يعني إذا ارتفعت الأيدي
 بالسيوف بعد أن عملت بالرماح

والشاهد فيه : إيراد المسند إليه اسم إشارة للتعريض بقبالة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس ، وذلك ظاهر في البيت .

٢٠- * هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْبَيْمَانِ مَصْعِدُ *

قائله جعفر بن عُلْبَةَ ، من أبيات من الطويل^(١) قالها وهو مسجون ، وتماهه :

* جَنِيبٌ وَجُنْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ *

أحمد المصنف
بشأنه مرة

والآيات :

تَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتِ تَخْلَصْتُ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ بِالْقُمْلِ مُنْقَلِقُ^(٢)
أَلْتَفَحَيْتِ نَمَ وَلْتَ فَوَدَعْتَ فَلَمَّا تَوَلَّيْتَ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ^(٣)
فَلَا تَحْسَبِي أَنْتِ تَخْشَعْتُ بَعْدَكُمْ لَيْشَى وَلَا أَنْتِ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنْ قَلْبِي يَزْدْهِمُهُ وَعَيْدُكُمْ وَلَا أَنْتِ بِلَمَشِي فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(٤)
وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ ضَانَةٌ كَمَا كُنْتَ أَلْقَيْتَ مِنْكَ إِذَا نَامَ طَلِقُ^(٥)
والركب : ركبان الابل ، اسم جمع ، أو جمع ، وهم العشرة فصاعدا ، وقد يكون

(١) رواها أبو تمام في أوائل ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزي بتحقيقنا ٥١-١) ورواها أبو الفرج في الأغاني (١١-١٤٩) بزيادة بيتين مع حذف بيت الشاهد ، ورواها صاحب الخزانة (٤-٣٢١)
(٢) هكذا في الأصول والأغاني ، وفي الحماسة والخزانة « وباب السجن دوني مغلق »

(٣) في الحماسة والأغاني والخزانة « ثم قامت فودعت »

(٤) في الأغاني « وَلَا أَنْ قَلْبِي يَزْدْهِمُهُ وَعَيْدُكُمْ » وفي الحماسة « وَلَا أَنْ تَقْسِي زِدْهِمَهَا وَعَيْدُكُمْ » وكذا في الخزانة ، وفيها رواية « وَلَا أَنْ نَامَ يَزْدْهِمُهُ وَعَيْدُكُمْ »
(٥) كذا في الأصول والخزانة ، وفي الحماسة والأغاني « عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ »

للخيل، ويجمع على أرْكَب وزَكُوب، والأركوب بالضم أكثر من الركب، والرَّكْبَة
محرّكة أقل، ومصدر: من أصعد أى ذهب فى الأرض وأبعد. وجنب: أى بجانب
مستقيم، والجنان: الجسم والشخص، والجسان: جماعة البدن والأعضاء من الناس
وسائر الأنواع العظيمة الخلق، وذكر التحليل أنهما بمعنى واحد، والموثق: المقيّد
والمعنى فيه: هوأى منضم إلى ركبّان الابل القاصدين إلى اليمن لكون
الحبيب معهم، وبدنى مأسور مقيد بمكة

والشاهد فيه: تعريف المسند إليه بإضافته إلى شىء من المعارف إذ هى أخصر
طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع، وهو فى البيت قوله « هوأى » أى مَوْثِقٌ
وهو أخصر من قولهم « الذى أهواه » أو غير ذلك، والاختصار مطلوب لضيق
المقام وفرط السأمة لكونه فى السجن وحبيبه على الرحيل

وجعفر بن علبه ^(١) هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن
المقل بن كعب بن الحرث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم: ابن له، وقد ذكره
فى شعره، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس
مذكور فى فوارس قومه، وكان أبوه علبه بن ربيعة شاعراً أيضاً، ومات جعفر
هذا مقتولاً فى قصاص أختلف فى سببه

فقيل: إن جعفر بن علبه وعلى بن جعدب الحارثى القناني ^(٢) والنضر بن
مضارب المعاوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل، وإن بنى عقيل خرجوا فى طلبهم
وافترقوا عليهم فى الطرق، ووضعوا عليهم الأرصاد فى المضايق، فسكانوا كلما

(١) له ترجمة فى الأغاني (١١-١٢٦) وفى الخزائنة (٣٢٢-٤) وخبره فى
شرح الحماسة (١-٥٦)

(٢) فى الأصول «الميايى» وما أثبتناه عن الأغاني، وسمّاه فى شرح
الحماسة «على بن جعدب بن عتي»

أَفْتَنُوا مِنْ عَصِيَّةٍ لِقَيْتِهِمْ أُخْرَى ، حَتَّى انْتَبَهُوا إِلَى بِلَادِ بَنِي نَهْدٍ ^(١) فَرَجَعَتْ عَنْهُمْ
 بَنُو عَقِيلٍ ، وَقَدْ كَانُوا قَتَلُوا فِيهِمْ ، فَاسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ بَنُو عَقِيلِ السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْحَاشِمِيِّ عَمَلٌ مَكَّةَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهِ عُلْبَةَ بْنَ رُبَيْعَةَ ، فَأَخَذَهُ
 بِهِمْ وَجَسَهُ حَتَّى دَفَعَهُمْ وَسَاثِرٌ مِنْ كَانُ مَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا النَّضْرُ فَاسْتَقِيدَ مِنْهُ بِمِجْرَاحَةٍ
 وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ جَعْدٍ فَأَقْلَتَ مِنَ السَّجْنِ ، وَأَمَّا جَعْفَرُ بْنُ عُلْبَةَ فَأَقَامَتْ عَلَيْهِ بَنُو
 عَقِيلٍ قِدَامَةً أَنَّهُ قَتَلَ صَاحِبَهُمْ فَقُتِلَ بِهِ

وَذَكَرَ ابْنُ السَّكَلِيِّ أَنَّ الَّذِي أَنَارَ الْحَرْبَ بَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ عُلْبَةَ وَبَنِي عَقِيلٍ
 أَنَّ إِيَّاسَ بْنَ يَزِيدَ الْحَارِثِيِّ وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ ^(٢) الْعَقِيلِيَّ اجْتَمَعَا عِنْدَ أُمَةِ الشَّعِيبِ
 ابْنِ صَامِتِ الْحَارِثِيِّ ، وَهِيَ فِي إِبِلٍ لِمَوْلَاهَا فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ صَمْعَرٌ مِنْ بِلَادِ بَلْحَرِثٍ ^(٣)
 فَتَحَدَّثَا عَنْهَا ، فَقَالَتْ إِلَى الْعَقِيلِيِّ فَدَخَلْتُهُمَا وَوَاسَفَتْ حَتَّى تَخَانَقَا بِالْعَاقِمِ ، فَانْقَطَعَتْ
 عَامَّةُ الْحَارِثِيِّ ، وَخَنَقَهُ الْعَقِيلِيُّ حَتَّى صَرَعَهُ ، ثُمَّ تَفَرَّقَا ، وَجَاءَ الْعَقِيلِيُّونَ إِلَى الْحَارِثِيِّينَ
 فَحَكَمُوهُمْ ، فَوَهَبُوا لَهُمْ ، ثُمَّ بَلَنَهُمْ بَيْتَ قَيْلٍ وَهُوَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْعَبْدَ الزَّيَادِي مَا رَأَى رِبْصَةً وَالْعَبْدُ الزَّيَادِي قَامَ

فَقَضَبَ إِيَّاسَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَقِيَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ النَّضْرُ بْنُ مِضَارِبٍ ذَلِكَ الْعَقِيلِيَّ
 وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ^(٢) فَشَجَّهَ شَجَتَيْنِ وَخَنَقَهُ ، فَصَارَ الْحَارِثِيُّونَ إِلَى الْعَقِيلِيِّينَ
 فَحَكَمُوهُمْ ، فَوَهَبُوا لَهُمْ ، ثُمَّ لَقِيَ الْعَقِيلِيُّونَ جَعْفَرُ بْنُ عُلْبَةَ الْحَارِثِيَّ ، فَأَخَذُوهُ فَضَرَبُوهُ
 وَخَنَقُوهُ وَرَبَطُوهُ وَقَادُوهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَطْلَقُوهُ ، فَلَبِغَ ذَلِكَ إِيَّاسَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ
 يَتَوَجَّعُ لَجَعْفَرٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

(١) فِي الْمَطْبُوعَتَيْنِ « بَنِي نَعْرَ » وَمَا انْتَبَهَاهُ عَنِ الْأَغَانِي وَبَعْضُ الْأَصُولِ

(٢) فِي الْأَغَانِي « إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَرَ »

(٣) بَلْحَرِثُ : أَيُّ بَنِي الْحَرِثِ

أبا عازم كيف اغتررت ولم تكن تنزّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره
فلا صلحَ حتى يخفّق السيفُ خفقةً بكفٍّ قتي جرّت عليه جرائره
ثم إن جعفر بن عتبة تبعهم هو وابن أخيه جمعب والنضر بن مضارب ،
وإياس بن يزيد ، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بنجيرة^(١) وهو موضع بالقاعة
فضربوها ضرباً مبرحاً ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق ، فوجدوا العقيلين وهم
تسعة نفر فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل جعفر بن عتبة رجلاً من عقيل يقال له
خشينة^(٢) ، فاستمدى العقيليون إبراهيم بن هشام الخزومي عامل مكة ، فرفع
الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ، ثم أفلت منهم رجل فخرج
هارباً ، فأحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفرًا قتل صاحبهم ، فأقاده إبراهيم بن
هشام ، وقال إياس وهو محبوس الأبيات السابقة ، وقال لأخيه يحرّضه [من الطويل] :

قلْ لأبي عَوْنٍ إذا ما لقيتهُ ومن دونه عَرَضُ الفلاةِ بحولٍ
تَعْلَمُ وَعَدَّ الشُّكَّ أَنِّي تَشْفِي ثلاثةُ أحراسٍ معاً وَكَبُولُ^(٣)
إذا رُمْتُ شَيْئاً أَوْ تَبَوَّاتُ مَضْجَعاً تَبَيَّتُ لَهَا فَوْقَ السَّكَابِ صَلِيلُ
وَأَوَّلِكَ كَانَتْ لَا تَبْتَعُثُ مَطْبِقِي يَعُودُ الْخُفَا أَخْفَافَهَا وَيَجُولُ
إِلَى الْعَدْلِ حَتَّى يَصْدُرَ الْأَمْرُ مَصْدَرًا وَتَبْرَأُ مِنْكُمْ قَالَةٌ وَعُدُولُ

وفي رواية أن جعفر بن عتبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب ، وكانوا

(١) في الأصول « بنجيرة » وما أثبتناه عن الأغاني ، والحديث كله منقول
منه بالحرف

(٢) في الأصول « حسينة » وما أثبتناه عن الأغاني
(٣) عد الشك : أي تجاوزه ، يريد أترك الشك وكن على يقين ، وفي أصول
هذا الكتاب « وعد الشط » محرّفا عما أثبتناه عن الأغاني ، والسكبول : جمع
كبل ، وهو القيد

منجاورين هم وبنو الحرث بن كعب ، فأخذته عقيل فكشفوا ذبر قميصه وربطوه
إلى جُنته ، وضربوه بالسياط وكنفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان
يتحدث إليهن على تلك السبيل ليفيظوهن ويفضحوه عندهن ، فقال لهم :
يا قوم ، لا تفعلوا فان هذا الفعل مُنْثَلَةٌ ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن
لا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها ، فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم
ما قدمضي ومُنُوا على بالكف عني ، فاني أعده تمعة لكم ويدا لا أكفرها
أبداً ، أو فاقتلوني وأرجموني فأكون رجلا آذى قومه في دارهم فقتلوه ، فلم يفعلوا ،
وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويفرون به سفهاءهم حتى
شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه
صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى ، فلما كان في نقرة من
الزمل أناخ هو وصاحبه ، وكانت عقيل آفئ (١) خلق الله للأثر ، فنبعوه حتى
اتهبوا إليه وإلى صاحبيه ، وكان العقيليون مغترين (٢) ليس مع أحد منهم عصاً
ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحبه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر
وافترقوا ، فاستعدت عليهم عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل المنصور على
مكة ، فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارج ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب
أن يدرأ عنه الحد نطوالة السفاح في بني الحرث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت
السري بن عبد الله ، وكانت حَظِيَّةً عنده ، إلى أن أقاموا عنده قسامة أنه قتل
صاحبهم وتوعده بالخروج إلى أبي جعفر المنصور والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر
فأقاد منه ، وأفلت على بن جعد من السجن فهرب ، فلما أخرج جعفر للقود قال

(١) القيافة : تتبع أثر السائر حتى يهتدى إلى مكانه ، وهو من علوم العرب
التي امتازت بها ولا يزال في بعضهم إلى اليوم
(٢) مغترين : مأخوذ من غرة

له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال: اسكت لا أم لك، إني إذا لمياف، وانقطع شمع نعله، فوقف فأصلحه فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال [من الوافر]:

أشدَّ قبالَ نعلِي أن يرايَ عدوى للحوادثِ مُستكينا

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن عتبة نخبة بن كليب أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل، فقال في ذلك [من الطويل]:

شَفَى النَّفْسَ مَا قَالُ ابْنُ عُلْبَةَ جَعْفَرٍ وَقَوْلِي لَهُ اصْبِرْ لَيْسَ يَنْفَعَكَ الصَّبْرُ
هَوَى رَأْسُهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ كَأَهْوَى عُقَابٌ تَدُلُّ طَالِبًا خَانَهُ الْوَكْرُ (١)
أَبَا عَارِمٍ فِينَا غَرَامٌ وَشِدَّةٌ وَبَسْطَةُ أَيْمَانٍ سَوَاعِدَهَا شَمْرُ
هُمُ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ هَامَةً جَعْفَرٍ وَلَمْ يُنْجِهِ بَرٌّ عَرِيضٌ وَلَا بَحْرُ
وَقَدْ نَاهَى قَوْدَ الْبَكْرِ قَسْرًا وَعَنُوهُ إِلَى الْقَبْرِ حَتَّى ضَمَّ أَثْوَابَهُ الْقَبْرِ

وقال عتبة يرى ابنه جعفرا [من الطويل]:

لَمَمْرُكُ إِنْ يَوْمَ أَسْلَمْتُ جَعْفَرًا وَأَصْحَابُهُ لِلْمَوْتِ لَمَّا أَقَاتِلُ
لِجَنْتَبُ حُبِّ الْمَنِيَا وَإِنَّمَا يَبِيحُ الْمَنِيَا كُلُّ حَقٍّ وَبَاطِلُ
فَرَّاحَ بِهِمْ قَوْمٌ وَلَا قَوْمَ عِنْدَهُمْ مُغْلَّةُ أَيْدِيهِمْ فِي السَّلَاسِلِ
وَرَبُّ أَخِي غَابَ لَوْ كَانَ شَاهِدًا رَأَى التَّبَالِيُونَ لِي غَيْرَ خَاذِلِ

وقال عليه أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفرا [من الطويل]:

لَمَمْرُكِ إِنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ عَلَيَّ وَإِنْ عَلَّانِي لَطَوِيلُ

(١) في الأغاني « تدلُّ طالبا جانب الوكر »

أَحَازِرُ أَخْبَارًا مَنِ الْقَوْمِ قَدَدْتُ^(١) وَرَجَمَةً أَقَاضَ لَهَا دَلِيلُ^(٢)
فَأَجَابَتْهُ امْرَأَتُهُ قَالَتْ :

أَبَا جَعْفَرٍ سَلَّمْتُ لِلْقَوْمِ جَعْفَرًا فَمَتَّ كَمَا أَوْعِشْتُ وَأَنْتَ ذَلِيلُ^(٣)
وَذَكَرَ شَدَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ بَنَاتَا لِيَجِي بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ حَضَرَتْهُ الْمَوْسِمَ فِي
ذَلِكَ الْعَامِ لَمَّا قُتِلَ فَكَفَفْتُهُ وَاسْتَجَادَتْ لَهُ الْكَفَنَ وَبَكَتُهُ وَجَمِيعٌ مِنْ كَانُوا مَعَهَا
مِنْ جَوَارِيهَا وَجَعَلْنَ يَنْدُبُنَّهُ بِأَيَّامِهِ الَّتِي قَالَهَا قَبْلَ قَتْلِهِ ، وَهِيَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَأِيًّا صَحَارَى بَنِي جَدٍّ وَالرِّيَّاحَ الدَّوَارِيًّا^(٤)
وَلَا زَائِرًا شَمَّ الْعَرَانِينَ أَنْتُمِي إِلَى عَامٍ يَحْلُلَنَّ رَمْلًا مَعَالِيًّا^(٥)
إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَارِثِيَّاتِ فَانْفَى لَهَا وَخَبْرَهُنَّ أَنْ لَا تَلَارِقِيَا
وَقَوْدُ قَاوِصِي بَيْنَهُنَّ فَانْهَسَا سَبْرُدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيبَا
أَوْصِيكُمُ إِن مَتَّ يَوْمًا بِعَارِمٍ لَيْغَى شَيْئًا أَوْ يَكُونُ مَكَانِيَا
وَلَمْ أَتْرِكْ لِي رَيْبَةً غَيْرَ أَنَّنِي وَدِدْتُ مَعَاذًا كَانُ فِيمَنْ أَتَانِيَا
أَرَادَ وَدِدْتُ أَنْ مَعَاذًا كَانُ أَتَانِيَا مَعَهُمْ فَقَتَلْتُهُ .

فَقَالَ مَعَاذُ يَجِيبُهُ عَنْهَا بَعْدَ قَتْلِهِ وَيَخَاطَبُ أَبَاهُ وَيَعْرِضُ لَهُ أَنَّهُ قَتَلَ ظُلْمًا لَأَنَّهُمْ
أَقَامُوا قِسَامَةً كَاذِبَةً عَلَيْهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَلَمْ يَكُونُوا عَرَفُوا الْقَاتِلَ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعِينَهُ ،
إِلَّا أَنَّ غِيظَهُمْ عَلَى جَعْفَرٍ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ ادَّعَوْا الْقَتْلَ عَلَيْهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
أَبَا جَعْفَرٍ سَلَّمَ بَنَجْرَانَ وَاحْتَسَبَ أَبَا عَارِمٍ وَالْمُسَمَّنَاتِ الْعَوَالِيَا^(٦)

(١) هَكَذَا فِي أَصُولِ هَذَا الْكِتَابِ وَفِي الْأَغَانِي . وَوَرَدَ فِي شَرْحِ الْحَاسَةِ
« أَحَازِرُ أَنْبَاءَ » وَ« لَهَا ذَلِيلُ »

(٢) فِي الْأَغَانِي « صَحَارَى نَجْدٍ »

(٣) فِي الْأَصُولِ « رَمْلَ مَعَالِيَا » وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنَ الْأَغَانِي

(٤) فِي الْأَغَانِي « وَالْمُسَمَّنَاتِ الْعَوَالِيَا »

وقود قُلُوصًا أتلِف السيفُ رِبها
يغير دم في القوم إلا تماربها
إذا ذَكَرْتَهُ مُصْرُ حَارِثِيَّةِ
جَرَى دَمْعُ عَيْنِيَا عَلَى الْخَدِّ صَافِيَا
فَلَا تَحْسِبَنَّ الدَّيْنَ يَاعْلَبُ مُمْسَا
وَلَا النَّارَ الْحِرَانَ يَنْدَسُ التَّقَاضِيَا
سَنَقُتْلُ مِنْكُمْ بِالْقَتِيلِ ثَلَاثَةً
وَنَقُتْلُ وَإِنْ كَانَتْ دِمَانَا غَوَالِيَا ^(١)
تَمَنَيْتُ أَنْ تَلْقَى مُعَاذًا سَفَاهَةً
سَتَلْقَى مُعَاذًا وَالْقَضِيبَ الْبَانِيَا
وعن أبي عبيدة قال : لما قتل جعفر بن عتبة قام نساء الحى يبيكين عليه ،
وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال : ابكين ممنا
على جعفر ، فما زالت التوق ترغو والشياه تنغو والنساء يصحن ويبكين وهويبيكي
معهن ، فما روى يوم أوجع وأحرق مآتماً في العرب من يومئذ .

٢١ - له حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
البيت لابن أبي السمط ، من أبيات من الطويل ، منها :
فَتَى لَا يَبَالِي الْمَذْجُوتَ بَنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُضَيَّ الْكُوكَبُ
يَصْمُ عَنْ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ
والحاجب المانع ، والشين : العيب ، والعرف : المعروف : الاحسان :
والشاهد فيه : تنكير الحاجب الأول للتنظيم والثاني للتحقير ، أى ليس له
حاجب حقير فكيف بالعظيم ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :
وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي الْخِلَاعَةُ جَانِبُ
وابن أبي السمط ^(٢) :

(١) في الأغاني « وإن كانت دماء غواليا » وما هنا خير
(٢) نسبته أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (١-٢٣) إلى أبي الطمحان
مولى ابن أبي السمط ، وروى قبله أول البيتين اللذين ذكرهما المؤلف « فتى لا يبالى ،
(٣) في المخطوطتين والمطبوعتين بياض ، ويظهر أن المؤلف تركه حتى
يجد له ترجمة ، ثم لم يعثر له على ترجمة

فأهد تنكير
السند إليه
لتنظيم ولتحقير

٢٢ - الأئمة الذي يظنُّ بك الضَّيْفُ كأنَّ قد رأى وقد سمِعاً

البيت لأوس بن حَرٍّ من قصيدة من المنسرح^(١) قالها في فضالة بن كلدة
يمدحه بها في حياته^(٢) ويرثيه بعد وفاته، أولها:

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْعَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي نَحْذَرُنَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّحَابَةَ وَالسَّنْجِدَةَ وَالْبَرَّ وَالنُّفَى جُمَعَا^(٣)

وبعد البيت، وبعده:

أُخْلِفَ الْمُتَلَفُ الْمُرْزَأُ لَمْ يَمْنَعْ يَضْعِفٍ وَلَمْ يَمْتِ طَبْعَا^(٤)
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي نَحْوِ إِذَا لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِدِ رُبْعَا^(٥)
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَيْعُ الْفَتَاةِ مُلْتَمِعَا^(٦)
الألمى واليلمى: الذكى المتوقد ذكاه، وسئل الأصمعي عن معنى الألمى فأشدد

(١) أقرأها في ذيل الأمالى (٣٤)

(٢) الأدباء على أن هذه القصيدة مراثية قيلت بعد وفاة فضالة بن كلدة

(٣) في الأمالى «والحزم والقوى جمعا»

(٤) في الأصول «ولم يمن طبعاً» محرفاً، وما أثبتناه عن ذيل الأمالى

(٥) في الأصول «والحافظ الناس من قحوط» وفيها «لم يرسلوا خلف
رائد» وكلاهما تحريف عما أثبتناه عن ذيل الأمالى. ونحسب: هي السنة
الشديدة المجدبة، والعائد من الأبل: هي الناقة التي ولدت حديثاً، والرَّيْعُ: الذي
ولد في الربيع، يريد لم يتركوا ولد الناقة يرضعها لشدة حاجتهم إلى اللبن، وهذا
تأكيد لوصف الجدب

(٦) عزت: غلبت، والشمال: ريح الشمال، والكيع: الضجيع، يريد

اشتداد البرودة، وذلك وقت الشدة والجدب عندهم، وفي ذيل الأمالى «بات
كيع الفتاة»

البيت ، ولم يزد عليه ، وهو إما مرفوع خبر إنَّ ، أو منصوب صفة لاسمها ، أو بتقدير أعنى ، وخبرها في قوله بعد أبيات :

أَوْذَىٰ فَمَا تَتَفَعُّ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرِ لِمَنْ قَدْ يُجَالِدُ الْبِدْعَا^(١)
والشاهد فيه كون جملة قوله « الذي يظن بك الظن » وصفاً كاشفاً عن معنى
الآلئى ، لا كونه وصفاً للمسند إليه

أشعار في معنى
دلالة الظاهر
على الباطن

و بيت أوس هذا تداول معناه الشعراء ، قال أبو تمام [من الكامل] :
ولذلك قيل من الظنون رجلة عِلْمٌ ، وفي بعض القلوب عيونُ
وقال المتنبي [من البسيط] :

ماضى الجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ
وقال أيضاً [من الطويل] :

ذِكْرُ أَظْنَيْهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ بَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدًا
وقال أيضاً [من المنسرح] :

وَيَعْرِفُ الْأَمَرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَالَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدْمٌ
وقال أيضاً [من الكامل] :

مُسْتَبْطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًا
وهذا المعنى يقرب منه قول أبي نواس [من الكامل] :

مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِنَجْوَةٍ إِلَّا تُحَدِّثُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ
وقول علي بن الخليل [من السريع] :

كَلَّمَنِي لِحُطَّكَ عَنْ كُلِّ مَا أَضْمَرَهُ قَلْبُكَ مِنْ غَدٍ
وقول الخليل [من الهزج] :

(١) الاشاحه : الجد في الامور

أَمَا تَقْرَأُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي عِنْدِي

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال النقي [من الطويل] :

تُخَبِّرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا حُبٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ

وقال يزيد بن الحكم النقي [من الطويل] :

تُكَاشِرُنِي كَرَاهَاً كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي

وما أحسن قوله بعده :

عَدُوِّي يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيْتَهُ وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ هَذَا بِمُسْتَوِي

تَصَافِحُ مَنْ لَاقِيْتَهُ ذَا عَدَاوَةٍ صِفَاحًا وَعَيْنِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُنْزَوِي (١)

وقال المتنبي في معناه [من الكامل] :

تُخْفِرُ الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَ يَبُوحُ

وقال غيره [من البسيط] :

عَيْنَاكَ قَدْ دَلَّتْ عَيْنِيَّ مِنْكَ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْلَا هُمَا مَا كُنْتُ أَدْرِهَا

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِيَّ مُحَدِّثَهَا إِنْ كَانَ مِنْ حَزَنِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا

ولمؤلفه من أبيات [من الطويل] :

وَيُظْهِرُ وَدًّا تَشْهَدُ الْعَيْنُ زُورَهُ وَيَقْضِي بِذَلِكَ الْقَلْبُ وَالْقَلْبُ أَخْبَرُ

وله في معناه [من الكامل] :

مَنْ كَانَ فِي لُقْيَاهُ لَا يَتَوَدَّدُ فَإِنَّا الَّذِي فِي وَدِّهِ أَرْدَدُ

فَالْقَلْبُ عَمَّا قَدْ أَجَنَ ضَمِيرُهُ لَصَدِيقِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ يُرْشَدُ

وَإِذَا خَفِيَ حَالُ وَأَشْكَى أَمْرُهُ فَالْعَيْنُ تُخْبِرُ بِالْخَفِيِّ وَتَشْهَدُ

(١) في الأصول «وعيني بين عينيك» وهو محرف عما قد أثبتناه

وما أحسن قول أبي نصر بن نباتة [من الطويل] :

ألا إن عين المرء عنوانُ قلبه تُخبرُ عن أسرارِهِ شاء أم أبى

وبدع قول عمارة بن عقيل [من البسيط] :

تُبدي لك العينُ ما في نفس صاحبها من الشئاعِ والودِّ الذي كانا
إن البغيضَ له عينٌ يُصدُّ بها لا يستطيعُ لما في القلبِ كِشْفَانَا
وعينُ ذى الودِّ لا تنفكُ مقبلةً ترى لها محجراً بشاً وإنساناً^(١)
والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ حتى ترى من ضميرِ القلبِ رَتِياناً

وقول الآخر [من البسيط] :

رُيكُ أعينهم ما في صدورهم إن الصدورِ يؤدى غيبتها البصرُ

وقول المعتمد بن عباد صاحب الأندلس [من البسيط] :

تَمَيَّزُ البغضُ في الألفاظِ إن نطقوا وتعرفُ الحقدُ في الأحاطِ إن نظروا
وقول الآخر [من الطويل] :

سُتبدى لك العينان في اللحظ ما الذي يُجئُ ضميرُ المرءِ والعينُ تصدقُ

وقول محمد بن أيمن صاحب كتاب الدر الفريد [من الوافر] :

صديقك من عدوك ليس يخفى وعنوانُ الدعاوى في العيون
تُخبرُك العيونُ بما أُجَنَّتْ ضماؤها من السرِ المصُونِ

وقول محمد بن شبلى من قصيدة [من الكامل] :

فالعينُ تقرأ من لحاظٍ جليسا ما حُطُّ منه في ضميرِ الخاطرِ
ولكم فُطوبٍ عن وِدادٍ خالصٍ وتبسمٍ عن غلِ صدرٍ واغري

(١) محجر العين - بفتح الميم وكسر الجيم - ما أحاط بها

يكدأ الندى منها يفيض على العدا لَدَى الحرب في ثَنِيّ قنا وقَواضِبِ
والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة المذاب ، والحراق الذي
بيد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من
السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران : جمع قرن ،
وهو الكف .

والشاهد فيه : مجيء القرينة معاني ملتزمة ، مربوطة بعضها ببعض ،
يكون الجميع قرينة ، لاكل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل المدوح
الحسن التي هي في الجود وعموم المطاء سحائب : أي يَصُبُّهَا على أ كفائه في
الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن
كلاماً من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب
لأنامل المدوح ذكر أن هناك صاعقة وَيُنَّ أنها من نصل سيفه ، ثم قال « على
أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل ،
فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الحسن الأنامل .

١٠٢ — * وإذا احْتَبَيْ قَرْبُوسُهُ رِعَانَهُ *

شاهد
الاستقارة
النرية

قائله يزيد بن مسعدة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل
يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عناناه في قربوس سرجه
وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتمامة :

* عَلكَ الشَّكِيمِ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر — وهو حِنُو
السَّرج ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذي تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديبة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالآثر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدَتْهُ فَمَا أَزُورُ حَبَائِي إِهْمَالَهُ وَكَذَكَ كُلُّ مُخَاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهي : الغريبة ، والغرابة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركة المحتبي ، ممتدا إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب^(١) أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كفرابة المشبه .

ومن الاستعارات الغريبة قول طفيل الغنوي [من الكامل] :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ
وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ وَأَذْنَ الصُّبْحِ لَنَا بِالْأَبْصَارِ
وقول جرير [من الكامل] :

تُحْبِي الرُّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتَمِيَّتُهُ الْأَمْطَارُ
وقول أبي نواس [من السريع] :

بِصَحْنٍ خَدَّرَ لَمْ يَفِضْ مَأْوُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

آيات من
الاستعارات
الغريبة

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى قوله السرج ثابت في جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب إسقاطه » اهـ

حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شرح وناظرة ، فبينما هو يسير ظلاما إذا
 جالت به ناقته فصرعته فاندقت لخذله (١) فبات مكانه ، حتى إذا أصبح غدت
 جوارى الحى يجتنبن السكأة وغيرها من نبات الأرض والناس في ربيع ، فبينما
 هن كذلك إذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة ، وأبصرنه مائق ، ففزعن
 منه وهرن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا حليلة بنت
 فضالة بن كعدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجرا وقال لها : اذهبي إلى أبيك
 فتولى : إن ابن هذا يقرئك السلام ، فأنته فأخبرته ، فقال : يا بنية ، لقد أتيت
 أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا
 حيث صرع ، وقال : لا أتمول أبدا حتى تبرأ ، وكانت حليلة تقوم عليه حتى
 استقل ، فقال أوس في ذلك [من المتقارب] :

خذلت على ليلة ساهرة بصحراء شرج إلى ناظرة

تراد ليالى من طولها فليست بطلاق ولا شاكرة

أنوه برجل بها وهيها وأعت بها أختها العائرة

وقال في حليلة [من الطويل] :

لعمرك ما ملئت نواء نوبها حليلة إذ ألت فراشي ومقعدى

ولكن تلت باليدى ضامتي ومل بشرج ما لقبائل عودى

ولم تلها تلك التكليف إياها كما شئت من أكرومة وتخرد

سأجزيك أو يجزيك عنى مئوب وقصرك أن يثنى عليك ومحمدى

ثم مات فضالة بن كعدة ، وكان يكنى أبا دليجة ، فقال فيه أوس برثيه
 [من البسيط] :

يا عين لا بد من سكب وتم مال على فضالة ، جل الرزء والعالى

(١) في الأغاني «لخذه» بالنثنية

وهي طويلة، وله فيه عدة قصائد؛ ومما يستجد من شعره قوله [من الطويل] :
 وإني رأيتُ الناسَ إلا أقلمهمُ خفافَ العهود يُكثرونَ التقللا
 بئى أُمّ ذى المالِ الكثيرِ يرونه وإن كان عبداً سيّدَ الأمرِ جعلا^(١)
 وهم ليقولَ المالِ أولادُ عالةٍ وإن كان مُحضاً في العمومة مُحولا
 وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى يسوءك إن ولى وبرضيك مقبلا
 ولكن أخوكَ الناءِ ما كنتَ آمناً وصاحبكُ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا
 ويستجد له من هذه القصيدة قوله في السيف :
 كأنّ مدبَّ النملِ تدبُّ الرُّبا ومدرجٌ دَرَجٌ خَفِ بَرْدًا فاسهلا

٢٣ - وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحَدَّثٌ مِنْ جَدَادٍ
 البيت لأبي العلاء المعري ، من قصيدة من الخفيف يرثي بها فقيهاً حنفياً أولها :
 غَيْرُ نَجْدٍ فِي مَلْتَى وَاعْتِقَادِي نَوْحٌ بِالْكِ وَلَا تَرْثُمُ شَادِي
 وَشَبِيهُ صَوْتِ النَّعَى إِذَا قَبَسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِي
 أَبَكَّتْ تِلْكَ لِكُمُ الْحَمَامَةِ أُمٌّ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غُضُنْهَا الْمِيَادِ
 صَالِحٌ هَدَى قُبُورَنَا تَمَلُّؤُ الرُّحْبِ قَاتِنُ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
 خَفَّفَ الْوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
 وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدُمُ الْعَهْدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 مِرٌّ إِنْ اسْطَغْنَتْ فِي الْهَوَاءِ وَبِدَا لَا اخْتِيَالاً عَلَى رَفَاتِ الْعِبَادِ
 رَبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٌ مِنْ تَرَاحُمِ الْأَضْدَادِ
 وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
 فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَنْ أَحْسَأَ مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَأَ مِنْ بِلَادِ
 (١) في الأصول * بلى أمر ذى المال * محرفا عما اثرناه عن ابن قتيبة

شاهد منه
المسند !

كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِجُدُجٍ فِي سَوَادٍ
تَسْبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ وَمَا أَغْـجَبَ الْآمِنَ رَاغِبٍ فِي إِزْدِيَادٍ
إِنْ حُرُنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فِي سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خَلَقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يَنْقُلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَمِنْهَا :

بِأَنَّ أَمْرَ الْإِلَهِ وَآخِطَفَ النَّاسُ مِنْ قَدَاحٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادَى
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

فَاللَّبِيبُ اللَّيِّبُ مَنْ لَيْسَ يَفْتَرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ
يقول : تخيرت البرية في المعاد الجماني والذشر الذي ليس بنفساني ، وفي
أن أهدان الأموات كيف تحيا من الرقاب ، وبعضهم يقول به ، وبعضهم ينكره ،
وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجهاد ليس آدم عليه السلام ، ولا
ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، عليهما السلام ، إذ لا يناسب السياق ، وقال الامام
أبو محمد بن السيد البطلوني حين شرح سقط الزند في هذا البيت : يريد أن
الجسم مَوَاتٌ بطبعه ، وإنما يصير حَيًّا متحركا باتصال النفس به ، فإذا فارقه
عند الموت عاد إلى طبعه ، فالحياة للنفس جوهرية ، والجسم عرضية ، فلذلك
يعدم الجسم الحياة إذا فارقه النفس ولا تعدمها النفس .

والشاهد فيه : تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر في ذهن السامع
لأن في المبتدأ تشويقاً إليه .

ترجمة أبي العلاء
المري

وأبو العلاء : هو أحمد^(١) بن عبد الله بن سليمان المري التنوخي ، من أهل

(١) نجد لأبي العلاء المري ترجمة في ابن خلكان (١-٥٨هـ) وفي نسكت
العميان في نسكت العميان لصلاح الدين الصفدي «

مَمَرَةُ النِّعَمَانِ ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد يوم الجمعة عند
مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمرقة
وجنيد (١) في السنة الثالثة من عمره فمضى منه ، وكان يقول : لا أهرق من الألوان
إلا الأحمر ، لأنى ألبست فى الجدى ثوبا مصبوغاً بالمصفر ، لا أعقل
غير ذلك .

وعن ابن غريب الايدى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره ، فوجده
قائماً على سجادة لبد وهو شيخ قَانٍ ، قال : فدعنا لى ومسح على رأسى ، قال :
وكانى أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداها نادرة والأخرى غائرة جداً (٢) وهو
مجدور الوجه ، نحيف الجسم .

وعن المصيعى الشاعر قال : لقيت بممره النعمان عجياً من المعجب ، رأيت أعمى
شاعراً ظريفا يلعب بالشرطي والترد ، ويدخل فى كل فن من الهزل والجحد ،
يكفى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غبرى على البصر
وهو من بيت علم وفضل ورياسة ، له جماعة من أقاته قضاء وعلماء وشعراء
قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة ، ورحل إلى بغداد ،
ثم رجع إلى الممره ، وكان رجليه إليها سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وأقام بها سنة
وسبعة أشهر ، ودخل على المرتضى أبى القاسم فمثر برجله فقال : من هذا الكلب ؟
فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، وسممه المرتضى
وأدانه واختبره فوجده عالماً مشيحاً بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً ،
وله معه نكتة تآتى فى التلخيص إن شان الله تعالى .

(١) جدر - بالبناء لهجهول - أصيب بمرض الجدري

(٢) نادرة : بارزة ، وغائرة : منخفضة داخلية

ولما رجع المعري إلى بلده لزم بيته وسمى نفسه رَهينَ الحسين^(١) يعني حبس نفسه في منزله ، وحبس بصره بالعمى .

وكان عجبياً في الذكاء المفرط والحافظة . ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعداً في مسجده بمرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه ، قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي ، فدخل المسجد بعضُ حيراننا للصلاة ، فرأيتُه فعرفته وتغيرت من الفرح ، فقال لي أبو العلاء : أي شيء أصابك ؟ فحكيت له أنني رأيتُ جارا لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين ، فقال لي : قم فكلمه ، فقلت : حتى أتمم النسق ، فقال لي : قم وأنا انتظر لك ، فممت وكنته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي : أي لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان ، فقال لي : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد عليَّ اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، بل جميع ما قلت وما قال جاري ، فتمعجت غاية العجب من كونه حفظ ما لم يفهمه .

وللناس حكايات يصفونها في عجائب ذكائه ، وهي مشهورة ، وغالبها مستحيل ، وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس ، وكان بها خزائن كتب موقوفة ، فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقوال الفلاسفة ، فسمع كلامه ، فحصل له شكوك ، وكان إطلاعه على اللغة وشواهدا أمراً باهراً .

والناس مختلفون في أمره ، والأكثر على إلحاده وإكفاره ، وأورد له اختلاف الناس في أبي العلاء . الرازي في الأربعين قوله [من مخلع البسيط] :

فَلَنَّمْ لَنَا صَانِعٌ قَدِيمٌ قُلْنَا صَدَقْتُمْ كَذَبًا نَقُولُ
نُمُّ زَعَمْتُمْ بِلَا مَسْكَانٍ وَلَا زَمَانٍ ، أَلَا قَوْلُوا

(١) في المطبوعتين « رهين الحسين » ناقص الميم

هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيْثٌ مِّمَّنْهُ لَيْسَتْ لَنَا عَقُولُ

ثم قال الرازي : وقد هذى هذا في شعره . وقال ياقوت : كان متبها في دينه يرى رأى البراهمة ، لا يرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسول ولا البعث ولا النشور . انتهى

ومسك مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدبنا ولا ماتولد من الحيوان رحمة له وخوفا من إزهاق النفوس ، وإلى ذلك أشار على بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة [من السكامل] :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرِقِ الدَّمَاءَ زَهَادَةً فَلَقَدْ أُرْقَتْ الْيَوْمَ مِنْ عَيْنِي دَمَا
سَبَرْتَ ذِكْرَكَ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مِسْكٌ فَسَامِعَةٌ يُضْمَخُ أَوْ فَمَا (١)
وَأَرَى الْحَجِيحَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةً ذِكْرَكَ أَوْجَبَ فِدْيَةً مِنْ أَحْرَمَا (٢)

ولقيه رجل فقال له : لم تأكل اللحم ؟ فقال : أرجم الحيوان ، قال : فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان ، فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع الحديثة لذلك فما أنت بأحقق منها ولا أتقن ، فسكت وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني : قال لي المعري : لم أهج أحدا قط ، قلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه ، أو قال وجهه

ودخل عليه القاضي المنازى ، فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال : مالي وللناس وقد تركت دنياهم ؟ فقال له القاضي : وأخراهم ، فقال :

- (١) في الأصول وفي ابن خلكان « فسامعه » بدون نقط الهاء ، واضطر مصحح نسخة ابن خلكان أن يكتب على هامشها ما صورته « قوله مسك إلحـ في بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أو فـ * ولعل ذلك أوفق ، تأمل » وما قرأنا عليه ما هنا صحيح مستقيم
- (٢) في ابن خلكان « أخرج فدية من أحرما »

ياقاضي وأخراهم ، وجعل يكررها
وعن أبي زكريا الرازي قال : قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي :
اليوم يتبين لي اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاك ، فقال لي : وهكذا شيخك
وحكي عن الشيخ كمال الدين الزملي كافي أنه قال في حقه : هو جوهرة جاءت
إلى الوجود وذهبت

وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
كان يقول في حقه : هو في حيرة
قال الصلاح الصفدي : وهذا أحسن ما يقال في أمره ، لأنه قال [من الخفيف] :
خُلِقَ النَّاسُ الْبَقَاءُ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلْفَنَاءِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَاءَ لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
ثم قال [من الطويل] :

ضَحَكْنَا وَكَانَ الضُّحْكُ إِنْسَافَةً وَخُفَّ لِسْكَانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَكُونَ
تُحْطَمُنَا الْإِلَامُ حَتَّى كَأَنَّنَا رُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لِنَاسِكٍ
وهذه الأشياء كثيرة في كلامه ، وهو تناقض منه ، وإلى الله ترجع الأمور
قال السُّلَفي : وما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الحافظ الخطيب حامد
ابن مختار القيرى يحدث بالسمرقانية - مدينة بالخابور - قال : سمعت القاضي
أبا المهذب عبد النعمان بن أحمد السروجي يقول : سمعت أخى القاضي أبا الفتح يقول :
دخلت على أبي العلاء التَّنُوخِي بِالْمَعْرَةِ ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه ،
وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه ، فسمعتة ينشد من قبيله [من مخلم البسيط] :
كَمْ بُودِرَتْ غَادَةٌ كَهَابٌ وَعُمِّرَتْ أُمُّهَا الْعَجُوزُ (١)

(١) بودرت : أعجبت ، يريد أنها ماتت في اقتبال عمرها وميعة شبابها .
والكهاب : الجارية حين يكعب تديها ، بزنة سحاب ، وفي المطبوعتين
» كهوب « وأحسبه محرفاً

أَحْرَزَهَا الْوَالِدَانِ حَقَوًا وَالْقَبْرُ حَرَّزَ لَهَا حَرِيرًا
يَجُوزُ أَنْ تُبْطِلَ الْمَنَایَا وَالْخُلْدُ فِي الدَّهْرِ لَا يَجُوزُ
ثم تأتو مرات ، وتلا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ
يَوْمٌ مُّجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا تُوْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ، يَوْمٌ يَأْتِي
لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْ شَرَىٰ شَيْئًا وَبَاعَ شَيْئًا) ثم صاح ، وبكى بكاء شديداً ، وطرح
وجهه ، وقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم ! سبحان من هذا كلامه ! فصبرت
ساعة ثم سلمت عليه ، فرد على وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة ، ثم قلت :
ياسيدي أرى في وجهك أثر غيظ ، فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدت شيئاً من
كلام الخلق وتلوت شيئاً من كلام الخالق ، فلحقني ماترى ، فتحقت صحة دينه
وقوة يقينه

وقال السلفي أيضاً : سمعت أبا المسكارم بأبهر - وكان من أفراد الزمان ثقة
مالكي المذهب - قال : لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً ، وختم
عند قبره في أسبوع واحد مائتا ختمة
وعن أبي اليسر المعري أن أبا العلاء كان يرُمي من أهل الحسد له بالتعطيل ،
ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعارَ يضمنونها أقوال الملاحنة قصداً لهلاكه
وإشارة لاتلاف نفسه ، وفي ذلك يقول [من السريع] :

حَاوَلَ إِيْهَوَانِي قَوْماً وَاجْتَنَّبَهُمْ إِلَّا بِأَهْوَانٍ
يَجْرَشُونِي بِسَعَايَاتِهِمْ فَغَيَّرُوا نِيَّةَ إِخْوَانِي
كَوَسْتَطَاعُوا الْوَشْوَإِي إِلَى الْمَرْجِي وَالشُّبْهِ وَكِبْوَانِي

قال الصلاح الصفدي : أما الموضوع على لسانه ، فلمله لا يخفى على ذي لب
وأما الأشياء التي دَوَّنَهَا وَقَالَهَا فِي «لُزُومِ مَا يَلِزَمُ» وفي «استغفر واستغفري» فما فيه
حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ، وبمحتمل أنه ارعوى

وتلب بعد ذلك كله ، وكان أكله المقدس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ،
وفراشه البلاد ، وحصيره برديه ، وتصانيفه كثيرة جداً ، وشعره كثير إلى الغاية ،
وأحسنه سقط الزند »

من غزل أبي
العلاء

يا ضبية علفتني في تصيدها أشرا كهأوهي لم تعلق بأشراكي
رعت قلبي وما راعت حرمتي فلم رعت وما راعت مرعك
اتحرقين فؤاداً قد حلت به بنار حبك عمداً وهو مأواك
أسكنت حيث لم يسكن به سكن وليس يحسن أن تسجن بسكنائك
مابل داعمي غرامي حين يأمري بأن أكبد حرّ الوجد يتهالك
وكم غداً القلب ذائبس وذاطمع يرجوك أن ترحمه وهو يخشاك
ومن شعره قوله [من الطويل] :

إذما نمت لم أعدم خواطر أو هام إلى الله أشكو أنني كل ليلة
وإن كان خبر آفهم أضفأت أحلام فإن كان شراً فهو لا شك واقع
ومنه قوله [من البسيط] :

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تزل هو طفل غير محتلم
قرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم
ومن شعره وقد أهدى كتاباً من تصانيفه [من الطويل] :

قبول الهدايا سنة مستحبة إذا هي لم تملك طريق نجابي
وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صنت ألف كتاب

ومن شعره المؤاخذ به قوله [من الطويل] :

إذا ما ذكرنا آدماء وفيما له ونزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

ما أخذ على
أبي العلاء

عَلَّمَنَا بَأْنَ الْخَلْقِ مَنْ نَسَلَ فَاجِرٍ وَأَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مِنْ عُنْصُرِ الزُّرِّيِّ
فَأُجَابَهُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ الْبُنَيِّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
لَعَمْرِي أَمَّا فِيكَ فَأَقُولُ صَادِقٌ وَتَكْذِبُ فِي الْبَاقِينَ مِنْ شَطْ أَوْدْنَا
كَذَلِكَ إِقْرَارُ الْفَتَى لَا زِمَ لَهُ وَفِي غَيْرِهِ لَقَوْ، كَذَا جَاءَ شَرْعُنَا
وَمِنْهُ قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَدَّ بِخَمْسِ مِائِينَ عَسَجِدٍ وَدَيْتَ مَا بَالَهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَحْكُمُ مَا لَنَا إِلَّا السَّكُوتُ لَهُ وَأَنَّ لَعَوْذَ يَمُولَانَا مِنَ النَّارِ
فَأُجَابَهُ عِلْمُ الدِّينِ السَّخَاوِي بِقَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا، وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِلْيَانَةِ، فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي
وَمِنْهُ قَوْلُهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

هَمَّتِ الْحَنِيفَةُ، وَالنَّصَارَى مَا أَهْنَبَتْ، وَبَجُوسُ حَارَتِ، وَالْيَهُودُ مُضَلَّلَةٌ
اِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ : ذُو عَقْلٍ بِلَا دِينٍ ، وَآخَرُ دِينٍ لَا عَمَلُ لَهُ

فَقَالَ ذُو الْفَضَائِلِ الْأَخْصِيكِيُّ رَادًّا عَلَيْهِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

الدِّينَ أَخَذَهُ وَتَارَكَهُ لَمْ يَخْفَ رُشْدُهَا وَغَيْبُهَا
اِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ قُلْتَ ، فَقُلْ يَا شَيْخَ سُوءِ أَنْتَ أَيُّهُمَا

وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

دِينٌ وَكَفَرٌ وَأَنْبَاءُ تُتَالُ وَفُرُ قَانُ يُصُّ وَتَوْرَاةُ وَإِنْجِيلُ
فِي كُلِّ جِيلٍ أَبَاطِيلُ يَدَّانُ بَهَا فَهَلْ تَقْرَدُ يَوْمًا بِالْهَدَى جِيلُ

فَأُجَابَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

نَعَمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْهَادِي وَأَمَّتُهُ فَرَاكَ اللَّهُ ذُلًّا يَادُ جَيْجِيلُ

ومنه أيضاً قوله ، وهو الطامة الكبرى [من الوافر] :

قِرَانُ الْمُشْتَرَى رُحْلًا رَجِيًّا لَا يِقَاطُ النَّوَاطِرِ مِنْ كَرَاهَا
تَقَصَّى النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَخُلِفَتِ النُّجُومُ كَمَا تَرَاهَا
تَقَدَّمَ صَاحِبُ التَّوْرَةِ مُوسَى وَأَوْقَعَ فِي الْخُسَارِ مِنْ افْتَرَاهَا
قَالَ رِجَالُهُ وَحَى أَنَاهُ وَقَالَ الْآخَرُونَ بَلْ افْتَرَاهَا
وَمَا حَجَّيْ إِلَى أَحْجَارِ بَيْتِ كُؤُوسِ الْخَمْرِ تُشْرِبُ فِي ذَرَاهَا
إِذَا رَجَعَ الْحَكِيمُ إِلَى حِجَاهُ تَهَاوَنَ بِالشَّرَائِعِ وَازْدَرَاهَا

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! اللهم إني أستغفرك من نظير هذه
الآباطيل التي تشتمز منها القلوب ، وتنفر عنها الخواطر ، وأسألك التوفيق لى
ولسائر المسلمين

ومن جيد شعره قوله [من الوافر] :

رَدَدْتُ إِلَى مَلِكِ الْخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَتَى يَقَعُ الْكُشُوفُ
وَكَمْ سَلَّمَ الْجَهْلُ مِنَ الْمُنَايَا وَعُوجِلَ بِالْحِمَامِ الْفِيلُوسُوفُ
وهو أخذه من قول أبي الطيب المتنبي [من السريع] :

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جِهْلِهِ مَيِّتَةً جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْرِ عَلَى سِرِّهِ

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ، ومن هجاء أبو جعفر البجائي الزوزني
بقصيدة أولها [من الكامل] :

كَلَبُ عَوَى بِمَعَرَّةِ النُّعْمَانِ لَمَّا خَلَا عَنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ
أَمْعَرَةَ النُّعْمَانِ مَا انْجَبَتْ إِذْ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَعَرَةَ الْعُيُومَانِ
وقصصهم وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلاحاجة إلى التظويل يذكرها

من جيد شعر
أبي العلاء

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ، وقيل : ثاني شهر ربيع الأول ، وقيل : ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة

قال ابن غرس النعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إجماعه ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نيهان من أهل الخير والعفة ، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أقبیان متدليان إلى فخذه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده ، وهو يستغيث فقلت وقد هالني : مَنْ هذا ؟ فقيل لي : هذا المعري الملقب

وقال القفطي : أتيت قبره سنة خمسين وستائة ، فإذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فإذا القبر لا احتفال به ، ورأيت عليه خبازي يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قال الذهبي : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحو مما حكى ، انتهى

ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره [من مجزوء الكامل] :

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلَسَىٰ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فإنهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جناية عليه ، لأنه يعرض للحوادث والآفات ، والله تعالى أعلم بأمره

شاهد
تأخرت
من أدا

٢٤ — مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

قائله المنتهي ، من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها له ، وكان اتصل به أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة ، وأولها (١)
يَمَّ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا مَسْكَنُ

(١) انظرها في الديوان (٤ - ٢٣٣)

أريدُ من زَمَنِي ذَا أَنْ يَبْلُغَنِي
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مَكْتَرٍ
فَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سِرَرْتُ بِهِ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعَشَقِ أَنَّهُمْ
تَفَنَّى عِيُوْنُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ
تَحْمَلُوا حَمْلَتَكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ
مَا فِي هَوَاджِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوَضَ
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بَعْدِ بِمَجْلِسِهِ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مَتُّ عِنْدَكُمْ
قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ
مَا كُلُّ مَا يَمْنَى الْمَرْءُ يَدْرِكُهُ
مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ
مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَاتَتِ الْحَزَنُ
هَوَا وَاوَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فِطْنُوا
فِي إِنْ كَلَّ قَبِيحَ وَجْهِهِ حَسَنُ
فَكُلُّ يَبْنَى عَلَى الْيَوْمِ مُؤْمِنُ
إِنْ مَتَّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مَرَّيْنُ
ثُمَّ انْتَفَضَتْ فِرَالُ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
تَجْرَى الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَبِي السَّفَنُ

وهي طويلة بدیمة

والشاهد في البيت : أن « كل » إذا تأخرت عن أداة النفي سواء كانت معمولة لها أولا ، وسواء كان الخبر فعلا كما في البيت أو غير فعل ، توجه النفي إلى الشمول خاصة ، لا إلى أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف إليه « كل » إن كانت في المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذي حمل عليها ، أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض إن كانت « كل » في المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها

ومعنى شطر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكري [من الطويل] :
فِيَالِكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا وَمَا كُلُّ مَا يَهْوَى أَمْرُهُ نَائِلُهُ
وقد أخذته بعضهم وضمنته في قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج إليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات ، فقال [من الطويل] :

لَنْ مِصْرُ فَاَنْتَنِي بِمَا كُنْتُ أَرْجِيهِ وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أَمَلُّ
فِيَاكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا وَمَا كُلُّ مَا يَهْوَى أَمْرُهُ هُوَ نَائِلٌ
وَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَوْ لَقَيْتُكَ سَالِمًا وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ
وهذا البيت بعينه للحطيطه في علقمة بن علاثة ^(١) والظاهر أنه ضمنه أيضاً
وقد تقدم ذكر أبي الطيب المتنبى في شواهد المقدمة ^(٢)

* * *

٢٥ - قد أصبحت أم الخيار تدعى * على ذنباً كله لم أصنع
البيت لأبي النجم العجلي المتقدم ذكره ، وهو أول أرجوزته السابقة ^(٣) وأم
الخيار هذه زوجته

والشاهد فيه أن « كل » إذا تقدمت على النفي لفظاً ولم تقع معمولة للفعل
المنفي عم النفي كل فرد عما أضيف إليه كل ، وأفاد نفي أصل الفعل عن كل فرد ،
ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلاً عن نصبها الغير المحتاج إلى تقدير ضمير ، لأنه
لا يفيد نفي عموم ما ادعته أم الخيار عليه ، والله أعلم

* * *

٢٦ - كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة * وصبر العالم النحرير زنديقا
البيتان لابن الراوندي ، من البسيط ، وقبلهما

(١) البيت الذي يشير إليه هو قول الحطيطه :

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حاجر إلا ليال فلال
أراد فاما كان بين الخير وبينى ، خذف الواو وما عطف بها .

(٢) انظر شرح الشاهد (رقم ٤)

(٣) انظر شرح الشاهد (رقم ٣)

شاهد و
المظهر هو
المض

سبحان مَنْ وَضَعَ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا وَفَرَّقَ الْعَرْزَ وَالْإِذْلَالَ تَفْرِيقًا
وعاقل الثاني صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل مُتَنَاهٍ فيه ، كما يقال مررت
برجل رجل ، أى كامل فى الرجولية ، ومعنى « أُعْيِبَ مَذَاهِبُهُ » أعجزته وصعبت
عليه طرق معاشته ، والنحر ير - بكسر النون - الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن
الغطن البصير بكل شئ ، لأنه ينحر العلم نحرًا ، والزنديق - بكسر الزاى - من
الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وبالربوبية ، أو مَنْ يُبْطِنُ
الكفر ويظهر الإيمان ، أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة
والشاهد فيه : وضع المظهر الذى هو اسم الإشارة موضع المضمر لكمال العناية
بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشأن ، وهو هنا جعل الأوهام
حائرة والعالم المتقن زنديقا

وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين [من البسيط] :
كم عالم لم يلج بالقرع باب مئى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا
وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروى السرخسى ، وهو كالارد على قول
ابن الراوندى [من السريع] :

عجبت من ربى وربى حكيم أن يحرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم البارى ولكنه أراد أن يُظهِرَ عجز الحكيم
وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب ، وهو [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار فى يد بأصعب من أن أجمع الجدة والفهمما
وهو ينظر إلى قول أبى تمام [من الطويل] :
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد فى كف امرئ والدرهم
وما أحسن قول أبى تمام أيضا [من الطويل] :

ينال الفتى من دهره وهو جاهل ويكسدى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تأتي على الحِجَا إِذْنٌ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِنَ الْبَهَامِ
ومثله قول أبي الخير المروزي الضرير [من المزج] :

تَنَافَى الْعَقْلُ وَالْمَالُ فَمَا بَيْنَهُمَا شَكْلُ
هَـمَا كَالرَّوْدِ وَالْتَرَجَسِ لَا يَجُوبُهُمَا فَصْلُ
فَعَقْلٌ حَيْثُ لَا مَالٌ وَمَالٌ حَيْثُ لَا عَقْلُ

ومثله قول أبي إسحاق الصابي [من الطويل] :

إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمَا
فَلَا تَتَفَقَّدَ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
فَإِذَا يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ

ومثله قول عبد الجليل بن وهب المرسى [من الطويل] :

يَعِزُّ عَلَى الْعَلِيَاءِ أَيْ خَامِلٌ وَأَنْ أَبْصَرْتُ مَنِي خُودَ شَيْهَابِي
وَحَيْثُ تَرَى زَنْدَ النِّجَابَةِ وَارِبَا فَمَنْ تَرَى زَنْدَ السَّعَادَةِ كَابِي

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من المجتث] :

كَمْ مِنْ غَبِيٍّ غَنِيٍّ وَمِنْ فَقِيرٍ فَقِيرٍ

وبدع قول أبي بكر بن محمد المازني [من الكامل] :

ثَمَنَانٍ مِنْ سَبْرِ الزَّمَانِ تَحِيرْتُ لَهُمَا عُقُولُ ذَوِي التَّمْلُفِ وَالنَّهْيِ
مُتْرٍ مِنَ الْأَمْوَالِ مَبْخُوسِ الْحِجَا وَمُؤَفَّرِ الْأَدَابِ مَنْقُوصِ الْغَنَى

وما أحسن قول ابن لُتْكَ [من المنسرح] :

فَمَا قَلَّ مَا تَبَلَّ أُنْمَلُهُ وَجَاهِلٌ بِالْيَسَدِ يَتَعَرَّفُ

وقول الآخر [من المتقارب] :

زَمانَ تَحَبَّرْتُ فِي أَمْرِهِ كَثِيرُ التَّعَدَى عَلَى حُرْدِ
فَلَوْ غَدَ مَاشَتْ مِنْ نَفْعِهِ وَلِلْحُرِّ مَا شَأْنٌ مِنْ ضُرِّهِ
وَأَعْجَبُ مَا فِي تَصَارِيفِهِ صَيَالُ الْبَعُوضِ عَلَى صَقَرِهِ
وقول الآخر [من المنسرح]:

وَعَدْتُ لَهُ نِعْمَةً مُؤَثَّلَةً وَسَيِّدٌ لِأَزْوَاجِ الْيَقْتَرَضِ

ومدار ذلك جميعه على الخطأ وعدمه ، وما أحسن قول ابن الخطيب الدمشقي
فيه أيضاً [من الطويل]:

وَمَا زَالَ تُشَوِّمُ الْخَطَّ مِنْ كُلِّ طَالِبٍ كَقَبْلِهِ بِبَعْدِ الْمَطْلَبِ الْمُتَدَانِ
وَقَدْ يَحْرَمُ الْجِلْدَ الْحَرِيصُ مَرَامُهُ وَيُعْطَى مُنَاهُ الْعَاجِزُ الْمُتَوَانِ
وقول الآخر [من البسيط]:

قَدْ يَرْزُقُ الْمَرْبِلَا مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ وَيُصْرِفُ الْمَالَ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي
وقول الآخر أيضاً [من السريع]:

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ أَلْقَتْ الْعَاجِزَ بِالْقَادِرِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ [من المجتث]:
يَا مَخْنَةَ الدَّهْرِ كَفَى إِنْ لَمْ تَكُنْ غَفَى
مَا أَنَّ أَنْ تَرْحَمِينَا مِنْ طَوْلِ هَذَا التَّشْفَى ؟
فَلَا عَلَومِي تَجِدِي وَلَا صِنَاعَةَ كَفَى
ثَوْرٌ يَنْسَلُ الثَّرِيًّا وَعَالِمٌ مَتَحْفَى
ذَهَبَتْ أَطْلُبُ بِخَنَى قَقِيلٌ لِي قَدْ تَوَفَى

ومن الغاليت في هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى [من الكامل]:

لَوْ أَنَّ بِالْحَلِيلِ الْغَنَى لَوَجِدْتَنِي بِنُجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعْلَقِي
لَكِنْ مِنْ رَزَقِ الْحَاجِزِ الْغَنَى ضِدَّانِ مَفْتَرِقَانِ أَيْ تَفْرُقُ

فاذا سمعتَ بَنَ محروماً أنى ماءً ليشربه ففاضَ فصدُقَ
أو أنَ محظوظاً غداً في كفه عودٌ فأورقَ في يديه لثَقَقِ
ومنَ الدليل على القضاء وكونه بُوسُ الثيب وطيبُ عيش الأحمق
ولبعضهم في معناه [من الخفيف] :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماء جفَّ عند الورود ماء البحارِ
أو رمى باسمي النجومُ الدارِى لا تزوى ضوءها عن الأبصارِ
أو لمستُ العودَ النضيرَ بكفى لذوى بعدَ نعمةٍ واخضرارِ
ولو أنى بعثُ القتاديلَ يوماً أذغمَ الليلُ في بياضِ النهارِ
ومثله قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولما لمستُ الرزقَ فأنجذ حبله ولم يصفلى من بخره العذب مشربُ
خطبتُ إلى الاعدام إحدى بناته فزجنيها الفقرُ إذ جئتُ أخطبُ
فأولدتها الحزنَ الشقى فماله على الأرضِ غيرى والدحين ينسبُ
فلوتبتُ في البيداء والليلُ مسبلُ على جناحيه لما لاح كوكبُ
ولو خفتُ شيراً فاستترتُ بظلمةٍ لأقبلَ ضوء الشمس من حيث تغربُ
ولو جادَ إنسانٌ على بدرهمٍ لرحلتُ إلى رحلى وفى السكف عقربُ
ولو يُعذّرُ الناسُ الدنانير لم يكن بشيء سوى الحصباء رأسى يُخصبُ
وإن يفتَرَف ذنباً ببرقة مذنبُ فان برأسى ذلك الذنبُ يعصّبُ
وإن أرَ خيراً فى المنام فنازحُ وإن أرَ شراً فهو مِنى مقربُ
أمامى من الحرمان جيشُ عمرمُ ومنه ورأى جحفل حينَ أركبُ
وقول الآخر [من الخفيف] :

لوركبتُ البحارَ صارت فجاجاً لا ترى فى متونها أمواجاً
ولو أنى وضعتُ ياقوتةً حمراءَ فى راحتي لصارت زجاجاً

ولو أتى وردتْ عذباً فراتاً عاد لا شكّ فيه ملحقاً أجاباً
وما أحسن قول أبي الأسود الدؤلي [من الكامل] :
المرء بمحمد سعيه من جده حتى يُزيّن بالذي لم يعمل
وترى الشقي إذا تكامل جده يرمى ويقذف بالذي لم يفعل
وبديع قول أبي العلاء المعري [من الطويل] :
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لَمَّا زادَ والدنيّا حظوظ وإقبالُ
إذا صدق الجِدُّ افتري العمُّ للفتى مكارم لا تكثرى وإن كذب الخالُ
الجِدُّ هنا : الحظ ، والعمُّ : الجماعة ، وتكرى : من كرى الزاد إذا نقص ،
افتري : كذب ، والخال : الحيلة .

وظريف هنا قول ابن شرف القيرواني [من الوافر] :
إذا صحبَ الفتى سعدةً وجدَّ تحامته المكاره والخطوبُ
ووافاه الحبيب بغير وعدٍ طفلياً وقادَ له الرقيبُ
وعدَّ الناسَ ضرطته غناء وقالوا إن فسا قد فاح طيب
وقد أخنه ابن النقيب فقال [من السريع] :

لو لَحَنَ الموسر في مجلسٍ لَقيلَ عنه إنه يُعزَّب
ولو فسا يوماً لقالوا له من أين هذا النَّفسُ الطَّيبُ
وقول أبي العلاء المعري غاية هنا ، وهو [من الكامل] :

لا تطلبنَ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغيرِ حظٍّ مغزَل
سكن السماء كإن السماء كلالها هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقد أخذ أبو إسحاق الغزي هذا المعنى ، فقال [من البسيط] :
الحس والقبيح . قد تحويهما صفةٌ شان البياض وزان الشيب والشبا

ظَبَا الْمُحَارَفِ أَقْلَامٌ مَكْسَرَةٌ رُؤُوسُهُنَّ وَأَقْلَامُ السَّغِيرِ ظَبَا^(١)
وله أيضاً [من المنسرح] :

لا تَعْتَبِنِ الزَّمَانَ إِن ذَهَبَتْ نِيُوبُ لَيْثِ الْعَرَيْنِ مِنْ نُوبِهِ
فَالْحَوْلُ لَوْلَا الْجُدُودُ مَا قَصُرَتْ أَيْدِي جُمَادَاهُ عَنْ غُلَارَجِيهِ

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى ، فقال [من الطويل] :

لَنْ رُحْتُ مَعَ فَضْلِي مِنَ الْخَطِّ خَالِيًّا وَغَيْرِي عَلَى نَقْصٍ بِهِ قَدْ غَدَا حَالِي
فَإِنِّي كَشْهَرِ الصُّومِ أَصْبَحَ عَاطِلًا وَطَوَّقْتُ هَلَالَ الْعِيدِ فِي جِيدِ شَوَالِ
بَلْ رِمَا أَخَذَنِي مِنْ قَوْلِ ابْنِ قَلَاقِسَ فَإِنَّهُ أَصْرَحَ مِنْهُ حَيْثُ قَالَ [من الخفيف] :
إِن تَأَخَّرْتُ فَالْحَرَمُ عَطِلٌ مِنْ حُلِيِّ الْعِيدِ وَهِيَ فِي شَوَالِ
وَقَالَ ابْنُ قَلَاقِسَ أَيْضًا [من الكامل] :

لَوْلَا الْجُدُودُ لَمَا نَمَتَ لِمَسَافِرِ كَفُّ الْفَنَى وَتَمَلَّقْتُ بِمُقِيمِ
وَالْخَطُّ حَتَّى فِي الْحُرُوفِ مُؤَثِّرِ يُخْتَصُّ بِالْتَرْقِيقِ وَالتَّغْنِيمِ

وقال مهيार الديلمي [من البسيط] :

لَا نَحْسِبُ الْمَهْمَةَ الْعَلِيَاءَ مَوْجِبَةً رِزْقًا عَلَى قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ لَمْ يَجِبْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ أَسْعَدَهُمْ مَا انْحَطَّتِ الشَّمْسُ عَنْ عَالِمٍ مِنَ الشَّهْبِ
أَوْ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِي الْأَفَاقِ أَسْلَمَهُ دَامَ الْهَلَالُ فَلَمْ يُمَحَقْ وَلَمْ يَنْقَبْ
وَقَالَ الطُّغْرَائِيُّ [من الطويل] :

وَأَعْظَمُ مَا بِي أَنْتَنِي بِفَضَائِلِي حُرْمَتُ وَمَالِي غَيْرُهُنَّ دَرَائِعِ
إِذَا لَمْ يَزِدْنِي مَوْرِدِي غَيْرَ عِلْمَةٍ فَلَا صَدَرْتُ بِالْوَارِدِينَ مَشَارِعُ

(١) الظبا : جمع ظبة - بضم الظاء وتخفيف الباء - وهي حد السيف .
والحارف - بفتح الحاء المهملة - الذي انحرف الحظ والرزق عنه

وقال القاضي الفاضل [من مجزوء الكلام] :

مَا ضَرَّ جَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا انْتَفَعَتْ أَنْفُحِدْقِ

وزیادتی فی الحدقِ فَمَنْ—سی زیادةً فی نقصِ رزقِ

وقال ابن دانيال | من الخفيف | :

قد عَقَلْنَا والعَقْلُ أَيْ وثاقٌ وصَبَرْنَا والصَّبْرُ مَرُّ المَذَاقِ

كل من كان فاضلاً كان منلى فاضلاً عنده قسمة الأرزاق

وقال ابن عيينة [من الوافر] :

كَأَنِّي فِي الزَّمَانِ صَحِيحٌ جَرَى فَتَحَكَّمْتُ فِيهِ الْعَوَامِلُ

مَزِيدٌ فِي بَنِيهِ كَوَاوِ عَمْرٍو . وَمُلْفَى الْجَفَا فِيهِ كَرَاءِ وَاصِلٌ (١١)

وقال السراج الوراق [من مخلم البسيط] :

يَنْعُنِي بَاخِلٌ وَسَمِيحٌ وَإِسَّالِي مِنْهُمَا نَصِيرٌ

وفايتي أن أومَ حظي وحظي الحائطُ القصير

وقال ابن سناء الملك [من الطويل] :

وَرَبِّ مَلِيحٍ لَا يُحِبُّ وَضْدَهُ تَقْبَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ وَالْخَدُّ وَالْفُؤَادُ

هو الجَدُّ خذهُ إِن أَرَدْتَ مُسَلِّمًا وَلَا تَطْلُبِ التَّعْلِيلَ فَالْأَمْرُ بِهِم

وما أرسق قول ابن رشيق [من الكامل] :

أَسْقَى لِعَقْلِكَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا أَوْ أَنْ يَرَى فِيكَ الْوَرَى تَهْذِيبًا

ما دمت مُستوياً ففعلك كله عوج وإن أخطأت كنت مصيباً

(١) يريد واصل بن عطاء، أحد الاسن المقابيل، وكان أئف بالراء فكان
تحنينها في كلامه

كأنه شيء ليس يصح معنى ختمه حتى يكون بنقله مقلوباً
وما ألفت قول السراج الوراق [من البسيط] :

البلاء والخلاء من يخفى قد افترنا بالبلاء والخلاء من يخفى لآسان
واللام والنه من هذا وذلك ما لت المسائل من أساليب جرمانى
وهذا الباب واسع جداً ، والاختصار فيه أولى .

وابن الراوندى (٢) : هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين من أهل
مرو الروذ ، وراوند يفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبمدها دال
مهلة ، قرية من قرى قاسان — بالسین المهلة — بنواحى أصبهان ، وهى غير
فاشان التى بالمعجة المجاورة لقم . سكن المذكور بغداد ، وكان من متكلى المعتزلة
ثم فارقه وصار ملحداً زنديقاً ، وقال القاضى أبو على التنوخى : كان أبو الحسين
ابن الراوندى يلزم أهل الإلحاد ، فاذا عوتب فى ذلك قال : إنما أريد أن
أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، ويقال : إن أباه كان يهودياً فأسلم ، وكان
بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسد عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه
التوراة علينا ، ويقال : إن أباه الحسين قال لليهود : قولوا إن موسى قال
لا نبى بعدى .

وذكر أبو العباس الطبرى أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ،
ولا يثبت على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة رداً على الإسلام
لأربعمائة درهم أخذها فيما بلغنى من يهود سامراً ، فلما قبض المال رام قضها حتى
أعطوه مائة درهم أخرى ، فأمسك عن النقض .

(١) فى الأصل «معنا» وهو خطأ كائى ، يريد أن من أراد أن ينقض كلاماً
على ختم كتبه مقلوباً ليكون عند الختم به صحيحاً مستقيماً
(٢) نجد لابن الراوندى ترجمة فى ابن خلصان

وحكى البلخي في كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندي هذا كان من
المنكلمين، ولم يكن في زمانه أخلق منه بالكلام، ولا أعرف بدقيقه وجليله،
وكان في أول أمره حسن السيرة، حميد المذهب، كثير الحياء، ثم انسلخ من
ذلك كله لأسباب عرضت له، وكان علمه أكثر من عقله، فكان مثله كما
قال الشاعر [من البسيط] :

ومن يُطِيقُ مَنْ كَى عند صَوْتِهِ ومن يَقُومُ لِمَسْتَوِرٍ إذا خَلِمَا

قال : وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه، وأظهر الندم،
واعتترف بأنه إنما صار إليه حميةً وأنفةً من جفاء أصحابه له وتنحيهم إياه من
مجالسهم

وأكثر كتبه الكفریات ألّفها لأبي عيسى اليهودي الأهوازي، وفي منزله
هلك، ومما ألّفه من كتبه الملعونة كتاب «التاج» يحتج فيه لقدم العالم، وكتاب
«الزردة» ^(١) يحتج فيه على الرسل ويبرهن على إبطال الرسالة، وكتاب
«الفريد» في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب اللؤلؤة في تناهي
الحركات، وقد نقض هو أكثرها وغيره. ولأبي على الجبائي وغيره ردود عليه
كثيرة : فمما قاله في كتاب الزردة أنه إنما سماه بالزردة لأن من خاصية الزمرد أن
الحيات إذا نظرت إليه ذابت وسالت أعينها، فكذلك هذا الكتاب إذا طالعه
الخصم ذاب، وهذا الكتاب يشتمل على إبطال الشريعة الشريفة، والازدراء على
النبوت المنيفة، فمما قاله فيه لعنه الله وأبده «إننا نجد في كلام أكرم بن صيني شيئا
أحسن من إنا أعطيناك السكون، وإن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالظلام»،
وقال «قوله — يعنى نبينا عليه الصلاة والسلام — لعمار رضى الله عنه ثقلك
الفئة الباغية، كل المنجمين يقولون مثل هذا» ولقد كذب لعنه الله وأخزاه!

(١) سماه ابن خلسكان «كتاب الزمرد» بغير تاء الوحدة

وجعل النار مستقره ومناه ، فان المنجم إن لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ،
ويعرف طالعاه ، لا يقدر أن يتكلم على أحواله ، ولا يخبره بشئ من متجدداته ، وخطاه
أكثر من صوابه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمفليات من غير أن
يعرف طالعاً أو يسأل عن اسم أو نسب ، ولم يهد عنه غير ما ذكر ، صلى الله عليه وسلم
فبان الفرق . وقال في كتاب الدامغ « إن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من
الدواء إلا القتل ، فيل العدو الحنق الغضوب ، فما حاجته إلى كتاب ورسول »
قال « ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ثم يقول :
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم . وقال في وصف الجنة : فيها أنهار من
لبن لم يتغير طعمه ، وهو الحليب ، ولا يكاد يشبهه إلا الجائع ، وذكر العسل ،
ولا يطلب صرفاً ، والزنجبيل وليس من لذيد الأشربة ، والسندس يفرش
ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديناج ، ومن تخاليل أنه في
الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كمرس الأكراد
والنبط » ولعمري لقد أعى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى (وفيها ما تشتهى
الأنفس وتلد الأعين) وعن قوله عز وجل (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك
ففيها اللبن والعسل ، وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به
الصفيق الملتحم النسج ، وهو أغر ما يلبس ، ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا
الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد لطلال الأمر ، والاشتغال بغيره
أولى ، والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملاحدون علواً كبيراً ،
وذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد سرد ابن الجوزي من زندقته
أكثر من ثلاث وثلاثين ، وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفره مما جرى
به قلبي مما لا يرضاه ولا يليق بجناحه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام
وكتابه الحكيم

واجتمع ابن الراوندي هو وأبو علي الجبائي يوماً على جسر بغداد فقال له :

يَا بَاعِي لَا تَسْمَعْ شَيْئاً مِنْ مَرْضَى هَرَّانَ وَتَقْضِ لَهُ ، صَلَاحَهُ : أَنَا أَعْلَمُ
بِمَرْضَى رُومَ ، وَنَعْمَ أَنَّهُ دَهْرُهُ ، وَلَكِنْ أَحَاكَمَكَ فِي خَسْكَ ، قُلْ يَجِدُ
فِي مَرْضَى لَهُ عُنُوبَةٌ وَهَشَّةٌ وَتَكْ كَلَا وَتَلَازِمًا ، وَنَضًّا كَضْمَهُ ، وَحَلَاوَةً
كَحَلَاوَةِ ، قُلْ لَا : وَاللَّهِ ، قُلْ : قَدْ كَفَيْتَنِي ، فَانصَرِفْ حَيْثُ شِئْتَ .
وَمِنْ شِعْرِهِ [مِنْ لُكْس] :

مِنْ أَرْمَلٍ كَثِيرَةٍ لَا تَنْقُضِي وَسُرُورَهُ يَا نَيْكَ كَلَا عَيْدِ
مَعَكَ إِلَّا كَرَمٌ فَسَرَقَ رِقَابَهُمْ وَرَّاهُ رِقَا فِي يَدِ الْأَوْعَادِ
وَمَنْهُ ، وَقِيلَ : أَنَّهُ لَتَبْرٍ [مِنْ الشَّعْرَبِ] :

أَنْتِ سَ عَجِيًّا بِنَ أَمْرًا لَطِيفَ الْخَصَامِ دَقِيقَ الْكَلَمِ
يَمُوتُ وَمَا حَصَلَتْ نَفْسُهُ سَوَى عَلَيْهِ أَنَّهُ مَا عَلِمَ

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيْشِيُّ أَنَّ السُّلْطَانَ طَلَبَ ابْنَ الرَّائِدِيَّ ، وَأَبَا عَيْسَى
الْوَرَقَ ؟ فَمَا أَبُو عَيْسَى فَجِسَ حَقَّ مَلِكٍ ، وَأَمَا ابْنُ الرَّائِدِيَّ فَهَرَبَ إِلَى
ابْنِ لَادِيٍّ الْيَهُودِيِّ ، وَوَضَعَ لَهُ كِتَابَ « الدَّامِغِ » ، فِي الطَّمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى الْهَرَّانِ الْكَبِيرِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيْلَمًا يَسِيرَةً ، حَتَّى
مَرَضَ وَمَلَ .

وَذَكَرَ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ : أَنَّ بَعْضَ السُّلَاطِينِ طَلَبَهُ ، وَأَنَّهُ هَلَكَ وَلَهُ سِتُّ
وَعِشْرِينَ سَنَةً مَعَ مَا أَتَتْهُ إِلَى مِنْ أَخْذِي .

وَذَكَرَ ابْنُ خُلْسَكُنَ أَنَّهُ هَلَكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ بِرَجَةِ مَلِكِ
ابْنِ طُوقٍ ، وَقِيلَ : بِضَادٍ ، وَقَدِيرِ عَمْرِهِ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ عَاشَ
أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ سَنَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ هَلَكَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ ، وَقَالَ
ابْنُ النُّجَلِ : يُلْفَى أَنَّهُ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتِينَ ، لَمَّا أَهْلَهُ وَأَخْرَاهُ ابْنُ
كَافٍ مَلِكًا عَلَى اخْتِفَائِهِ هُنَا !

٢٧ - فَتَأْتِي كَيْتَ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَنَنْتَ بِنَبَاكَ

من وضع اسم
الاعلانة موضع
القامر

البيت لابن الميمونة ، من قصيدة من الطويل ، أولها :
فِي يَأْمِيهِ الْقَدْبُ قَضَى لِبَانَةً وَتَشْكُو الْهَوَى نَمَّ أَضْلَى مَا بِبَاكَ
سَبَى الْبَانَةُ الْفَنَاءُ بِالْأَجْرِجِ الْهَدَى بِهِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ أَطْلَلُ دَارَكَ
وَهَلْ قَتَلْتُ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً مَقَمَ أَخِي لِبَانَةً وَانْقَرَضَ ذِكْ
وَهَلْ كُنْتُ كَمَنْتَ عَيْنِي بِمَدَارِ عِيرَةٍ فَوَادَى كَنْظَمِ الْهَوَى التَّسَاكَ
وَيُرَى أَنْ أُولَاهُ :

فَتِي قَبْلَ وَتَشْكُلِينَ بِبَانَةِ مَلَاكَ وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةً مِنْ جَلَاكَ
وَبِهِ الْبَيْتُ ، وَبِهِ :

وَقَوْلِكَ لِمَوَادٍ كَيْفَ تَرَوْنَهُ صَاوُوا قِتْلًا قَلْتَ أَيْسَرُ هَلَاكَ
لَنْ سَاءَ فِي أَنْ تَلْتَقَى بِمَلَامَةٍ لَقَدْ سَرَّني أَنِّي خَطَرْتُ يَكَاكَ
لِيَهْنِكَ إِسَاكِي بِكُنْفِي عَلَى الْخِشَاءِ وَوَقْرَانِي دَمِي رَهْبَةً مِنْ مَطَاكَ
ظَوَّ قَلْتُ صَافِي التَّلَا أَعْلَى أَنَّهُ رِضَاكَ أَوْ مَدْنِي لَنَا مِنْ وَصَاكَ
لَقَدْ مَتُّ رَجُلِي نَحْوَهَا فَوَقَّعْتُهَا هَدَى مَنَّا لِي أَوْصَلَهُ مِنْ ضَلَاكَ
أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرِّبِيْعَ وَإِنَّمَا رَجَلِي الْهَدَى أَرْجُوهُ خَيْرَ نَوَاكَ
أَبْقَى أَنِّي يُعْنَى يَدِيكَ جَمَلْتَنِي فَوْرَحَ أَنَّمْ صَبَّرْتَنِي فِي شَعْلَاكَ

ومعنى أشجى : أحزن ، من شَجِيَ يَشْجَى ، وما شجأ يشجو فهو متصد ،
وإنما قال : قد ظننت بك ، وما يشك قتل ، لادعائه أن قتله ظهر ظهور
المحسوس بالبصر المشد إليه بلم الإشارة .

والشاهد فيه : وضع اسم الإشارة موضع المنصهر ، لادعائه كمال ظهوره ،
ولأن كل من غير يلب الاستد إليه .

ترجمة في المدينة

وابن المدينة^(١) : اسمه عبد الله بن عبيد الله ، أحد بنى عامر بن تميم الله ،
والدمينة : أمه ، وهي^(٢) سحرية ، ويكنى ابن المدينة أبا السري ، وهو شاعر
مشهور ، له غزل رقيق اللفظ ، دقيق المعاني . وكان الناس في الصدر الأول
يستحلون شعره ويتغنون به . حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : كان
العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أضرقت به ، وأنا أفضل مثل ذلك ،
فجاءني يوماً فوقف بين الناس ، وأشدّ لابن المدينة^(٣) [من الطويل] :

ألا يا بصاً تجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراً ورجداً على وجد
أبى هفت ورقاء في روث الضحى
على فتى غصّ النبات من الرند^(٤)
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جزوا وأبدت الذي لم تكن تبدى^(٥)
وقد زعموا أن الحب إذا ذنا
يل وأن الثأى يشق من الوجد
بكل تدأوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد^(٦)
على أن قرب الدار ليس ينفع
إذا كان من ثمواه ليس بنى ود
ثم ترنج ساعة ترنج النشوان ودبح أخرى^(٧) ، ثم قال : أطلع العمود برأسي من

(١) محمد لابن المدينة ترجمة في الأغاني (١٥-١٥١) وقد اختار له أبو تمام
في باب الغزل من الحماسة ست قطع فانظرها في الجزء الثالث من شرح التبريزي
بتحقيقنا (٢٠٢ ر ٢٣١ ر ٢٥٦ ر ٣٠٥ ر ٣١٧ ر ٣٢٠)

(٢) هي المدينة بنت حنيفة السلوية

(٣) هي من مختار أبي تمام في الحماسة (٣-٢٥٦ من شرح التبريزي) وفي
الأغاني (١٥-١٥٦) بزيادة بيت

(٤) في المطبوعتين «لئن هفت» محرفاً وما أثبتناه عن الحماسة والأغاني
(٥) في المطبوعتين «ولم أكن جزوا» وأثبتنا ما يلتم مع سابقه ولاحقه
عن الحماسة والأغاني

(٦) في الحماسة وحده «على ذاك قرب الدار خير من البعد»

(٧) دبح تديحا . طاماً رأسه وذل

حسن هنا ، قلت : لا ، ارفق بنفسك .
 وحدث ابن ربيع^(١) راوية ابن هرمة قال : لقي ابن هرمة بعض أصحابه
 بالبلاط ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من المسجد ، قال : فأي شيء صنعت
 هناك ؟ قال : كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد الخزومي ، قال : فأي شيء قال ؟
 قال : أمرني أن أطلق امرأتي ، قال : فأي شيء قلت له ؟ قال : ما قلتُ
 شيئاً ، قال : فوالله ما قال لك هذا إلا لأمر أظفرت عليه وكسنته ، أفأريت
 لو أمرته بطلاق امرأته أكلن يطلقها ؟ قال : لا والله ، قال : فابن العمينة كلن
 أنصف منك ، كلن يهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليه بن أهلك قد نهوى
 عن لقاءك ومراسلتك ، فأرسل إليها يقول [من الوافر] :

أَرَيْتِ الْأَمْرِيكَ بِقَطْعِ حَبْلِي مُرِيهٍ فِي أَحْسَنِهِمْ بَنَانِكِ^(٢)
 فَإِنْ هُمْ طَلَعُوا فَطَلَعُوا عِيَهُمْ وَإِنْ عَلِمُوا فَاعْمَى مِنْ عَصَاكَ
 أَمَا وَالْإِرْقَاصِ بِكُلِّ فَيْحٍ وَمَنْ صَلَّى بِنَمَلِكَ الْأَرَاكِ
 لَقَدْ أَضْمَرْتُ حَبْكَ فِي فَوَادِيٍّ وَمَا أَضْمَرْتُ حَبًّا مِنْ مَوَالِكِ
 ومثل هذا الخبر ما حكاه الأصمعي قال : مررت بالكوفة وإذا أنا ببجارية
 تطلع من جدار إلى الطريق وفتى واقف وظهره إلى ، وهو يقول : أسهر فيك
 وتلمين عني ، وتضحكين مني وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المحبة
 وتمنقنيها^(٣) وأصدقك وتناقضيني^(٤) ، ويأمرك عدوى بهجرى فتطيعينه ويأمرني

(١) في الأغاني « ابن ربيع » محرراً

(٢) في الأغاني « ضعت الأمريك »

(٣) أمحضك المحبة : يريد أحبك حباً لا أخطئه بشئ من الصدود والمجران

والتدلل وغير ذلك من عوارض الحب

(٤) كذا بخذف نون الرفع ، وهو أحد ثلاث لغات في كل فعل مضارع
 مرفوع بشبوت النون وقد اتصلت به نون الواو ، وثانيها إثبات النون من
 غير إدغام ، وثالثها إثباتها مع إدغام إحداهما في الأخرى ، ووردت الغلظت
 الثلاث في التنزيل الكريم

فصيحى بذلك فأعصيه ، ثم تنفس وأجش باكياً ، قالت له : إن أهل يمنونى منك^(١) وينهونى عنك ، فكيف أصنع ؟ قال لها [من الوافر] :

أريتَ الأمرىك قطعَ حبلِ مريبهِ فى أحييتهمِ بذلكِ
هلْ هُمْ طلوعوكِ ضلوعِ عيهمِ وإنْ عاصوكِ فاعصى منْ عصاكِ

ثم التفت فرأتى ، قال : يلقى ما تقول أنت فيما قلت ؟ قلت له : والله
لوعش ابن أبى ليلى^(٢) ماحكم إلا بمنل حكك

وحث ابن أبى السبرى عن هشام قال : هوى ابن الهمينة امرأة من قومه
يقال لها أسيمة فهاج بهامة ، فلما وصلته نجى عليها ، وجعل يقطع عنها ،
ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، ثم أقبلت عليه فقالت والشر لها^(٣)
[من الطويل] :

وأنت أقدى أخلفتنى ما وعدتني وأثمتتني من كان فيك يلوهم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لم غرضاً أرمنى وأنت سليم
ظوران قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسى من قول الوشاة كلوم
قال : فأجابها ابن الهمينة قال [من الطويل] :^(٤)

وأنت التى كلفتنى دلج الشرى وجون القطا بلجلهتين جنوم

(١) فى المطبوعتين « يمنونى » محذف نون الرفع كما ذكرناه فى الكلمة
السابقة ، وأثبتنا هنا مجاءه فى الأغاني ، إذ كانت القصة بطولها منقولة عنه

(٢) ابن أبى ليلى : فقيه عالم قاض وروى فى العصر العباسى الأول

(٣) ثلاثة الأبيات فى الحاسة (١٨٣-٣١٨) من شرح التبريزى وفى الأغاني

(١٥-١٥٤) منسوبة إلى أمانة فى الحاسة وإلى أسيمة فى الأغاني

(٤) الأبيات فى الحاسة على ترتيبها هنا ، وهى فى الأغاني بتقديم الثانى

على الأول

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَرَارَةً وَمَزَقْتَ جُزْءَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ^(١)
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكَأَنَّهُمْ بِعِيدِ الرِّضَا دَانِي الصُّدُورِ كَلِيمٌ
قال : ثم تزوجها بعد ذلك ، وقتل وهي عنده كما سيأتي .

وحدث أبو الحسن النبي قال : بينا أنا وصديق لي من قریش عشي بالبلط
ليلاً فاذا بظلمة نسوة في القمر ، فالتقينا فاذا بجماعة نسوة ، فسمعت واحدة منهن
تقول : أهو هو ؟^(٢) ، فقالت الأخرى : نعم والله إنه لهو هو ، فدنيت مني ثم
قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك [من البسيط] :

لَيْسَتْ لِي أَلَيْكَ فِي خَائِجٍ بِمَأْتِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيْلَمٌ ذِي سَلِيمٍ
قُلْتُ لَهُ : أَجِبْ فَقَدْ صَحَّحْتَ ، فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قَطَعْتُ بِي وَأَرْجَحُ عَلَى فَأَجِبْ
عني ، فالتفت إليهما ثم قلت [من الطويل] :

قُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطُنْتُ يَوْمَ لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
قالت المرأة : أواه ، ثم مضت ومضينا ، حتى إذا كنا بـمفرق طرية بين مضي
الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي ، فاذا بجارية تجذب طرف ردائي ، فالتفت إليها
قالت : المرأة التي كلكتك تدعوك ، فضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى
بيت فيه حصير ، وثنيت لي وسادة فجلس ، ثم جاءت جارية بوسادة مننية فطرحتها ،
ثم جاءت المرأة فجلس عليها وقالت لي : أنت المجيب ؟ قلت : نعم ، قالت :
ما كان أنظرت جوابك وأغلظه ! قلت : والله ما حضرني غيره ، فبككت ثم قالت لي :
والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك ، قلت : وأنا الضامن عنه ،

(١) في الحماسة «قطعت قلبي حزازة» وفي الأغاني «ومزقت فرح القلب»
وفي الحماسة «وقرفت فرح القلب» وقرفت : قشرت ولم يكن قد برأ
(٢) في المطبوعتين «أهو أهو» وأثبتنا ما في الأغاني .

لك ما تحبين، قالت : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة ، وانصرفت فإذا الفتي يبكي ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجذك ، فعملت أنك عندها ، فجلست أنتظرُك ، فقلت له : قد كان كل ما ظننت ، ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة ، ففسي ، ثم أصبحت فتيتها نار حناء فإذا الجارية تنتظرنا ، فضت أماننا حتى دخلنا الدار ، فإذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست ملكياً ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ثم ذكرت الآيات التي أنشدتها امرأة ابن الدمينه ، ثم سكنت ، فسكت الفتى هنيهة ثم قال [من الطويل] :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِرْ وَخُنْتِ ولم أُخِنْ وفي دورِ هذا المُحِبِّ عزاء
جَزَيْتُكَ ضِيفَ الْوُدِّ ثم صَرَمْتِنِي فخبكِ في قلبي إليك أذاه^(١)
فالتفتت إلى وقالت : ألا تسمع ما يقول ، قد أخبرتك ، قال : فغمرته ، فكف ، ثم قالت [من الطويل] :

تَجَاهَلْتِ وَصَلِي حِينَ لَجْتُ تَحْمَاتِي فهلا صَرَمْتَ الْجَبَلَ إِذْ أَنَا مُبْصِرُ
وَلِي مِنْ قُوَى الْجَبَلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتُ جَمِيعَ مُوقُرُ
وَلَكِنَّا أَكَدْتُ بِالصَّبْرِ بَقَّةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتُ أَقْدِرُ
فقال الفتى مجيباً لها [من الطويل] :

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي وَأَنْتِ اجْتَرَمْتِهِ وَكُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ عَنْكَ تَطْيِبُ
فبككت ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا والله ما فيك خير بعدها ، فعليك السلام ، ثم التفتت إلى وقالت : قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه ، وانصرفنا وكان السبب في قتل ابن الدمينه أن رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمي بالمرأة ابن الدمينه ، وكان اسمها حماء — وقيل حمادة — فكان

مقتل ابن الدمينه

(١) في المطبوعتين «أذاه» محرفاً ، وما أثبتناه عن الأغاني

يأتيا ويتحدث إليها ، حتى اشتهر ذلك ، ففنه ابن الدمينه من إتيانها ، واشتد عليها ، فقال مزاحم يذكر ذلك [من البسيط] :

يا ابن الدمينه والأخبار يرقمها وَخَذَ النَّجَائِبِ وَالْمَحْجُورُ بِمُغْفِيهَا
يا ابن الدمينه إن تغضب لما فعملت فَطَالَ خِرْيُكَ أَوْ تَغْضَبُ مَوَالِيهَا
أَوْ تُغْضُوْنِي فَمِنْ طَعْنَةٍ نَفَذْتُ يَغْدُو خِلَالَ الْخُوفِ غَاضِبًا^(١)
جَاهَدْتُ فِيهَا لَكُمْ إِنْ لَكُمْ أَبَدًا أَبْنَى مَعَايِكُمْ عَمْدًا فَأَتِيهَا
فَذَلِكَ عِنْدِي لَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَنِي غَيْرَاهُ مَظْلَمَةٌ هَارٍ نَوَاحِيهَا
أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا هَجَعْتُ عَنَى الْعَيُونُ وَلَا أَبْنَى مَقَارِيهَا
كَمْ كَارِغٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ قَعَدَتْ لَهَا وَعَانَسَ حِينَ ذَاقَ النَّوْمَ حَامِيهَا
كَقَعْدَةِ الْأَعْسَرِ الْعُفُوفِ مَنْتَحِيًا مَتِينَةٍ مِنْ مَتِينِ النَّبْلِ بِرَمِيهَا^(٢)
عَلَامَةٌ كَيْفَهُ مَا بَيْنَ عَاتِبَا وَبَيْنَ سُبْنَاهُ لِأَثَلٍ كَلَوِيهَا^(٣)
وَشَهَقَةٌ عِنْدَ حَسَنِ الْمَاءِ تَشْهَقُهَا وَقَوْلُ رُكْبَتَيْهَا قِصْفٌ حِينَ تَنْتَبِهَا^(٤)

(١) في المطبوعتين « يغدو . . . غاديا » باهمال الدال ، وهو تحريف .
وتقول : غدا الماء ، أى سال ، وغدا العرق يغدو غدوا ، أى سال منه الدم .
(٢) في المطبوعتين « الخلصوق » وكتب مصحح الاميرية يقول « هكذا
في بعض النسخ ، وفي بعضها الأعسر العلصوف ، وفي بعضها الأعسر القلصوف ،
ولم يظهر لى معناه بعد المراجعة ، وليحرر اهـ » وما أثبتناه عن الأغاني ،
والعلفوف : الضخم الكثير اللحم والشعر ، وشيخ علفوف : أى كبير السن ،
ومنه قول الشاعر

مأوى اليتيم ومأوى كل نهيلة تأوى إلى نهيل كالنسر علفوف

(٣) السبة - بضم السين وتشديد الباء - الدبر

(٤) قفص - بكسر القاف وسكون الضاد - اسم صوت يحمكى به
صوت الركبة

وتعدل الأبرار زَاغَتْ فَبِعْنَهُ حَتَّى يَفْقِمَ بِرَفَقٍ صَدْرَهُ فِيهَا
 بين الصُفُوفَيْنِ فِي مُسْتَهْدَفٍ وَمِيدٍ ذِي حَرَّةٍ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ صَالِحِيهَا^(١)
 ماذا تَرَى يَا عُبَيْدُ اللَّهِ فِي امْرَأَةٍ لَيْسَتْ بِمُحَصَّنَةٍ عِندَآءِ حَاوِيهَا
 أَيَّامَ أَنْتَ طَرِيدٌ لَا تُتَارِكُهَا وَصَادَفَ الْقَوْسَ فِي الْغَرَاتِ يَارِيهَا
 تَرَى عَجُوزَ بَنَى تَبِيمٍ مُلْفَعَةٍ تُحْمَطُ عَوَارِضُهَا رُبْدًا دَوَاهِيهَا
 إِذْ تَجْعَلُ الدَّفْنِسَ الْوَرَهَاءَ عِندَهَا قِشَارَةً مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ تَغْرِهَا
 حَتَّى يَظْلُ هَدَانُ الْقَوْمِ يَحْسِبُهَا بِكَرٍّ أَوْ قَبْلَ هَوَى فِي الدَّارِ هَاوِيهَا

ولما بلغ ابن الدمينه شعر مزاجهم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك، قالت: والله ما رأى منى ذلك قط، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصحتن له النساء، قال: هيها والله أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاجها قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلا، وقعد له ابن الدمينه وصاحب له، فجاءها الموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حماء، ماهذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوت ضعيف: ادخل، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينه، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصا في ثوب، فضرب به كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحة ميتا، فجاء أهله فاحتلموه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعملوا أن ابن الدمينه قتله، وقد قال ابن الدمينه في تحقيق ذلك [من البسيط]:

(١) «الصفوفين» كذا في الأصول جميعا، وفي الأغاني «الصفوفين» والمستهدف: المرتفع، والومد - بفتح فكسر - الشديد الحر

قالوا هَجَنَكَ سَلُولُ الْيَوْمِ مُخْفِيَةً فالْيَوْمِ أَهْجَوِ سَلُولًا لَا أَخَافِيهَا (١)
 قالوا هَجَاكَ سَلُولِي قَتَلْتُ لَهُمْ قد أَنْصَفَ الصَّخْرَةَ الْعِصَاءَ رَأْيِيهَا
 رَجُلَهُمْ شَرُّ مَنْ يَمْشِي وَنَسُوهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ اسْتَأْذَلْ حَامِيهَا (٢)
 يَحْكُمُ كُنَى بِالصَّخْرَةِ اسْتَأْهَأَ لَهَا نَقَبٌ كما يَحْكُمُ نَقَبَ الْجَرْبِ طَالِيهَا (٣)
 وقال أيضا يذكر دخول مزاحم وضع يده عليه [من الطويل] :

لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَاَعَدْتُ حِمَاءَ فَالْقِيَا نَهَارًا وَلَا تُدْخِلْ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
 فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيْبُضَاءُ طُفْلَةٍ نَعْمَانُ أَمْ لَيْثًا مِنْ الْقَوْمِ قُتِمَا
 فَلَمَّا سَرَى عَنْ سَاعِدِي وَلِحْيَتِي وَأَيُّنَ أَنْتَى لَسْتُ حِمَاءَ جَمْعِمَا
 ثم أتى ابن الدمينه امرأته فطرح على وجهها قطعة ثم جلس عليها حتى قتلها ،
 فلما مات قال [من البسيط] :

إِذَا قَعَدْتُ عَلَى عَرْنَيْنٍ جَارِيَةٍ فَوْقَ الْقَطِيعَةِ فَادْعُوا لِي بِجَفَارِ
 فَبَكَتْ بِنْتُ لَهُ مِنْهَا ، فَضْرَبَ بِهَا الْأَرْضَ قَتَلَهَا أَيْضًا ، وَقَالَ مِمَثْلًا :
 * لَا تَقْدُوا مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرَّوَا * (٤)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحد بن إسماعيل ، فاستعدها على ابن الدمينه
 فبعث إليه نجسه ، وقالت أم أبان والدته مزاحم المقتول ، وهي من بني خثعم
 ترفى ابنها وتحرض (٥) مصعبا وجناحا أخويه [من الطويل] :

-
- (١) في الأغاني « هجنتك سلول الاوم » وهي خير مما هنا
 (٢) في الأغاني « شر البرية واستذل حامياها »
 (٣) في الأغاني « بها نقب »
 (٤) في الأغاني « لاتخذن من كلب سوء جرؤا »
 (٥) في الأغاني « وتحضض » وما بمعنى

بأهلى ومالى بَلْ بَجْلٌ عَشِيرَى قَتِيلُ بَنَى تَيْمٍ يَنْفِرِ سِلَاحُ^(١)
 فَهَلَّا قَتَلْتُمْ بِالسِّلَاحِ ابْنَ أَخِيكُمْ فَظَهَرَ فِيهِ لِلشَّهَادِ جِرَاحُ
 فَلَا تَطْعَمُوا فِي الصَّلَاحِ مَا دُمْتُ حَيَّةً وَمَا دَامَ حَيًّا مُصْعَبُ وَجَنَاحُ
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الدَّوَايِرَ بَيْنَنَا تَدُورُ ، وَأَنَّ الطَّالِبِينَ شَحَاحُ

ولما طال حبس ابن الدمينية ولم يجد عليه أحد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلّاه ، وقتلت بنو سلول من خنم^(٢) رجلا مكان المقتول ، وقتلت خنم بعد ذلك نفرا من سلول ، ولهم قصص وأخبار كثيرة ، ثم إن ابن الدمينية أقبل حاجا بعد مدة فنزل بنبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وكانت أمه حرضته وقالت له : اقتل ابن الدمينية فإنه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك ، وقد كنت أعذر لك قبل هذا لأنك كنت صغيرا ، والآن قد كبرت ، فلما أكرمت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينية واقفا ينشد الناس ، فعدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينية فجرحه بها جراحتين ، فقيل : إنه مات لوقته ، وقيل : بل سلم من تلك الدفعة ومصر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا ، وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها عليه ، فجاءه رجل من قومه فصاح به : يا مصعب ، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك الصامة ، فاخرج ، فلما عرفه قال له : أنا في ذمتك حتى تسلمنى إلى السلطان ، فقتله السلطان في سجن نبالة ، قال : ومكث ابن الدمينية جريحا ليلة ثم مات في غد ، وقال في تلك الليلة بحرض قومه ويوبخهم [من الوافر] :

- (١) هكذا في جميع أصول الكتاب وفي نسخ الأغاني بكسر روى هذا البيت ورفع ما بعده ، وهو عيب من عيوب القافية
 (٢) هكذا في الأصول والأغاني ، ولعله محرف عن تيم ، وكذلك قوله وقتلت خنم لعل صوابه تيم كما يؤخذ من سياق الفصحة

هنتَ بأكلبٍ ودعوتَ قيساً فلا خذلاً دعوتَ ولا قليلاً^(١)
 نازتَ مزاحاً وسررتَ قيساً وكنتَ لما همتَ به ضولاً
 فلا تملكن يدالك ولا تزالا تفيدان القنائم والجزلا
 فلو كان ابن عبد الله حياً لصبح في منازلها سولاً
 وبلغ مصعباً أبا المقتول أن قوم ابن الدمينه يريدون أن يقتحموا عليه سجن

نبأه فقتلوه ، فقال يحرض قومه [من الوافر] :

لقيتُ أبا السرى وقد تكلا له حق العداوق في فؤادي
 فكاذ النبط يفرطني إليه بطمن دونه طمن الشدا^(٢)
 إذ نبحت كلاب السجن حولي طمعت هشاشة وهفا فؤادي
 طامعا أن يدق السجن قومي وخوفاً أن تبينني الأعادي^(٣)
 فساظني بقومي شر ظن ولا أن يسلوني في البلاد
 وقد جدلت فاتلهم فأسي يمج دم الوتين على الوساد
 فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه ، فهرب إلى صنماء
 ومن شعر ابن الدمينه الأبيات المشهورة^(٤) [من الطويل] :

- (١) في المطبوعتين «ولا قنبلا» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ،
 وأكلب : جد من جدود ابن الدمينه
- (٢) يفرطني : يتقدمني ويسبقني ، وبابه ضرب ، وفي الأغاني «دونه طمن
 السداد» بالسین المهملة
- (٣) في الأغاني «طامعا أن يدق»
- (٤) نسب أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن الدمينه ، وعنه نقل
 المؤلف كل ما هنا في ترجمة ابن الدمينه ، وقد روى ثلاثها أبو علي القالي في
 الإمالى (٢- ٣١٤ دار الكتب) ضمن قصيدة طويلة نسبها لقيس بن ذريح ؟
 وروى هذه القصيدة وفيها أول هذه الأبيات وثانيها في تزيين الاسواق
 (١- ٦٠) منسوبة إلى قيس أيضاً

أَفْضَى تَهَارَى بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 تَهَارَى تَهَارَى النَّاسَ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَيْلُ اللَّيْلِ شَاقَتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ (١)
 لَقَدْ تَبَيَّنَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ نَجْمَةٌ كَمَا تَبَيَّنَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ (٢)
 وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَخْطُطُهَا النَّاسُ كَثِيرًا بِقَصِيدَةٍ لِمَجْنُونٍ لَيْلَى ، لِأَنَّهَا
 تَوَاقَفَتْ فِي الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ .

٢٨ - * إِلَهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَتَاكَ *

من وضع الظاهر
 موضع المضمّر

هُوَ مِنَ الْوَافِرِ ، وَلَا أَعْلَمُ قَائِلَهُ ، وَتَمَامُهُ :

* مَقْرًا بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَ *

فَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ لِذَلِكَ أَهْلٌ وَإِنْ تَطْرُدْ فَنَ بَرَحَمَ سِوَاكَ
 وَالطَّرْدُ : الْإِبْعَادُ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : وَضَعُ الْمَظْهَرِ - وَهُوَ « عَبْدُكَ » - مَوْضِعُ الْمَظْمَرِ ، وَهُوَ أَفَّا
 لِلِاسْتِعْطَافِ ، وَهُوَ : طَلَبُ الْعُطْفِ وَالرَّحْمَةِ ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْمَظْهَرِ مِنْ
 اسْتِحْقَاقِ الرَّحْمَةِ وَتَرْقُبِ الرَّأْفَةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ بَابِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ أَيْضًا .

٢٩ - * تَطَاوَلَ لَيْلِكَ بِالْأَمْرِ *

شاهد الالتفات

قَائِلُهُ أَمْرُ الْقَيْسِ الْكِنْدِيِّ (٣) الصَّحَابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ

- (١) حَفْظِي * هَزْتَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ * وَهُوَ كَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ الْأَمَالِيِّ
- (٢) يَرُوى * لَقَدْ تَبَيَّنَتْ ... كَمَا تَبَيَّنَتْ * بِالنُّونِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مَكَانَ اللَّثَاءِ
- (٣) يَخْتَلِفُ الرِّوَاةُ فِي نِسْبَةِ هَذَا الشَّعْرِ ، فَالْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبُو عُبَيْدَةَ
 وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَنْسُبُونَهُ إِلَى أَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ حَجَرِ الْكِنْدِيِّ ، وَابْنُ دُرَيْدٍ
 يَنْسِبُهُ إِلَى أَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسٍ ، وَهُوَ كِنْدِيٌّ أَيْضًا ، يَمْتُ بِالنَّسَبِ إِلَى أَمْرِ
 الْقَيْسِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِثَلَاثَةِ الْآيَاتِ الْأَوَّلَى

قصيدة من المتقارب، وتمامه :

* ونَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ *

وبعده :

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَالَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءَ فِي وَأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ
وَلَوْ عَنْ نَسَائِ غَيْرِهِ جَاءَ فِي وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ
لَقُلْتُ مِنَ الْقَوْلِ مَالًا يَزَا لُ يُؤَثِّرُ عَنِي يَدُ الْمُسْنَدِ^(١)
بَأَى عَلاَقَتَنَا تَرْغَبُونَ أَعَنْ دَمَ عَمْرِو عَلَى مَرْثَدِ
فَإِنْ تَذُنُّوا الدَّاءَ لَا تُخَفِّهِ وَإِنْ تَبَغَّثُوا الدَّاءَ لَا تَقْعُدِ
وَإِنْ تَقْتُلُونَا نُقَاتِلْكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا الدِّمَّ نَقْصِدِ
مَتَى عَهْدُنَا بِطَعَانِ الْكُفَا قِ وَالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ وَالسُّودِ
وَبَنَى الْقِيَابِ وَمَلَأَ الْجِنَا نِ وَالنَّارِ وَالْحَطَبِ الْمُوقَدِ^(٢)

والأُتْمَدُ - بفتح الهمزة وضم الميم ، وروى بكسرهما - اسم موضع . والعائِرُ - بالهملة - هو القذى يقع في العين ، وقيل : هو نفس الرمد .

والشاهد فيه : الالتفات ، وهو في قوله « ليلك » لأنه خطاب لنفسه ، ومتنضی الظاهر « ليلي » بالنكلم .

(١) في الأصول « لعلبت في القول » محرفا ، ولا يستقيم معه الوزن ، ومأ أثبتناه عن شرح ديوان امرئ القيس للسندوبي ، وبد المسند : يد الدهر يريد طول الدهر

(٢) في الديوان (٩٢) « والحطب المفأد »

وامرؤ القيس هو ابن عانس - بنون^(١) وسين مهله - ابن المنذر، ابن
 تركة امرئ القيس بن السط بن عمرو بن معاوية بن الحرث، ينتهي نسبه
 لكندة، الكندي الشاعر، له صحبة، وشهد رضى الله عنه فتح النجيب باليمن؛
 وهو حصن قرب حضرموت، ثم حضر الكنديين حين ارتدوا، فثبت على
 إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد، ثم نزل الكوفة، ولما خرجوا ليقتلوا وثب على
 عمه فقال له: ويحك يا امرأ القيس! أقتل عمك؟ فقال له: أنت عمي، والله عز
 وجل ربي، وهو الذي خاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عيدان
 - بكر العين والياء التحتية، ويقال فيه: عيدان، بالياء الموحدة مكسورة مع
 تشديد الدال، ويقال: يفتح العين وسكون الباء - وكانت الخاصة في أرض،
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «يَبْتَئِكَ» قال: ليس لي بيته، فقال
 صلى الله عليه وسلم «بيته» وهو القائل رضى الله عنه [من مجزوء الكامل]:

قَفْ بِالْذِيَارِ وَفَوْفَ حَاسِ
 لَعَبْتُ بِهِنَ الْعَاصِفَا
 تِ الرِّائِحَاتِ إِلَى الرِّوَامِ
 مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْوَقُوفِ
 فِي بَهَامِدِ الطَّلِينِ دَارِ
 يَا رَبُّ بَاكِئٍ عَلَى
 وَمُنْشِدٍ لِي فِي الْمَجَالِسِ
 أَوْ قَائِلٍ يَا فَارِسًا
 مَاذَا رُزِئْتَ مِنَ الْفَوَارِسِ
 لَا تَعْجَبُوا أَنْ تَسْمَعُوا
 هَلَاكَ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ عَاسٍ^(٤)

(١) ويقال «عانس» بالياء في مكان النون

(٢) في الأصول «غير آنس» بالنون، وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٣) في الديوان «العاديات الرائحات من الروامس»

(٤) في الديوان «بن عابس»

وفي الصحابة أيضاً امرؤ القيس بن أبي الأصم الكلابي ، و امرؤ القيس
ابن الفاخر بن الطماح الخولاني .

٣٠ - طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ
بُعْدُ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادِرُ بَيْنَتَا وَخُطُوبُ

من شواهد
الافتات

البيتان لملقمة بن عبدة الفحل ، من قصيدة (١) من الطويل ، يمدح بها
الحارث بن جبلة بن أبي شمر ، الغساني ، وكان أسراً حاه شاساً ، فرحل إليه يطلب
فسكه ، وبعد البيتين :

مَنْعَةٌ لَا يَسْتَطَاعُ كَلَامَهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَرَارَ رَقِيبُ
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تَنْشِ سِرَّهُ وَتَرْضَى إِيَابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤْبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَغَمِّ سَقَتِكَ رَوَايَا الْمَزْنِ حِينَ تَصُوبُ (٢)
سَقَاكِ يَمَانُ ذَوْ حَنِينٍ وَعَارِضٍ تَرُوحُ بِهِ جَنَحَ الْعَشَى جَنُوبُ (٣)
وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذَكَرُهَا رَبْعِيَّةَ يَخْطُ لَهَا مِنْ تَرْمَدَاءَ قَلِيبُ (٤)
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَأَنِّي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

(١) عدتها في الديوان تسعة وعشرون بيتاً ، فانظرها ثمة (ص ١٧ - ٣٩

طبع باريس) وانظرها في المفضليات

(٢) في الديوان « حيث تصوب »

(٣) في الديوان « ذوحبي » وقال الأعلام في شرحه « والحبي : سحاب اتصل

بعضه ببعض »

(٤) القليب : البئر ، وخطه : حفرة ، وكنى بذلك عن إقامتها في ترمداء ،
ووروى صدر هذا البيت * أبي القلب إلا ذكرها ربعية *

إِذَا شَبَّ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوَقَلَ مَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدَرِهِنَّ نَصِيبٌ
يَرِدْنَ تَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَتْهُ وَشَرَحَ شَبَابٌ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
وهي طويلة ، يقول في غرضه منها :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبِطَتْ بِنِعْمَةٍ فَتَقِ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْبٌ
فطامع الحارث هذا البيت ، قال « نعم وأذنبه » ، ولما سمع قوله في وصف
النساء ، قال : صدق فوك ، لله أبوك ، أنت طيبين ، والخبير بأدواتهن . وقد أخذت
من قول امرئ القيس [من الطويل] :

أَرَاهُنَّ لَا يَجِبُنَّ مِنْ قُلِّ مَالِهِ وَلَا مِنْ رَأْيِنِ الشَّيْبِ فِيهِ وَقَوْمًا
ومن لطيف ما يذكركم كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومي
[من الكامل] :

قَالَتْ أَحْبَبْتُ قُلَّتْ كَاذِبَةٌ غُرَى بَذَا مِنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ
لَوْ قُلَّتْ لِي أَشْنَاكَ قُلَّتْ نَعَمْ الشَّيْبُ لَيْسَ يَجِبُهُ أَحَدُ
ومعنى « طحابك » أى اتسع وذهب بك كل مذهب ، و « طروب » :
مأخوذ من الطرب ، وهو استخفاف القلب في الفرح ، أى له طرب في طلب
الحسان ونشاط في مراودتهن ، ومعنى « بعيد الشباب » حين ولى وكاد ينصرم ،
ومعنى « عصر حان شيب » أى زمان قرب المشيب وإقباله على الهجوم ، ومعنى
« شط » بعد ، والوَلِيُّ : القرب ، والعوادى : الصوارف ، وعوادى الدهر :
عواقبه ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم .

والشاهد فيه : الالتفات من الخطاب في « طحابك » إلى التكلم في « يكلفني »
وفاعله ضمير القلب ، و « ليلى » مفعوله الثانى ، وروى بالناء الفوقائية على أنه
مسند إلى ليلى ، والمفعول محذوف ، أى تكافئ شذائدها فراقها ، أو على أنه خطاب
للقلب فيه التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب ، وفي « طحابك » التفات آخر
عند السكاكي ، لا عند الجمهور .

وأشار علقمة بصدر البيت الذى قبل الأخير هنا إلى أن المال يسترشق
الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم [من المتقارب] :

وخودٌ دعتنى إلى وصلها وعصرُ الشَّيبة منى ذهب
قلتُ مَشِيئَ ما ينطلى قالت بلى ينطلى بالذهب

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة ، وهى أنهما أنشدا فى مجلس كلن فيه
بعض ظرفاء الأدباء فقال : ما أعرف القافية فى هذين البيتين إلا بحرف الراء ،
فقال له المنشد : كيف ؟ فقال « وعصرُ الشَّيبة منى سَرى » فقال : وكيف تصنع
فى البيت الثانى ؟ فقال « قالت بلى ينطلى بالخر » فاستحى المنشد وانصرف من
المجلس خجلا

ترجمة علقمة
الفعل

وعلقمة بن عبدة^(١) بن عبد المنعم النعمانى^(٢) ينتهى نسبه إلى نزار ،
وكان يقال له الفعل ، لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه
أشعر منه ، وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال : كان تحت امرئ القيس
امرأة من طي تزوجها حين جاور فيهم ، فتنزل بهم علقمة الفعل التميمي ، فقال
كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحا كما إليها ، فأنشدها
امرؤ القيس قوله [من الطويل] :

(١) نجد ترجمة علقمة فى خزنة الأدب (١-٥٦٥) وفى الأغاني (٢١-١٧٢)
الساسي وفى الاشتقاق لابن دريد (١٣٣) وفى الاصابة لابن حجر (٣-١١١)
وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٧)

(٢) فى الخزانة نقلا عن الجهرة لابن الكلبي والمؤتلف والمختلف للأمدى :
علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . وفى الأغاني : علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى عبيد
ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم «

خَلِيلِي مَرًّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِ لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَدَّبِ (١)
حتى مر بقوله منها:

فَلَسُوْطِ الْهُوْبِ وَالسَّاقِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعَ أَهْوَجُ مِنْعَبِ (٢)
وَأَنشَدَهَا عِلْقَمَةُ قَوْلَهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

* ذَهَبَتْ مِنْ الْمَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَدَّهَبٍ *

حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَنِي ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ بِمَرٍّ كَغَيْثٍ رَاحٍ مُنْجَلِبٍ
فَقَالَتْ لَهُ: عِلْقَمَةُ أَشْمَرِ مِنْكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّكَ زَجَرْتَ فَرْسَكَ
وَحَرَكْتَهُ بِسَاقِكَ وَضَرَبْتَهُ بِسُوطِكَ ، وَإِنَّهُ جَاءَ هَذَا لِلصَّيْدِ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ ،
فَنُضِبَ أَمْرُ الْقَيْسِ وَقَالَ: لَيْسَ كَمَا قُلْتَ ، وَلَكِنَّكَ هَوَيْتَهُ ، فَطَلَقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا
عِلْقَمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَسَمِيَ عِلْقَمَةُ الْفَعْلُ ، وَمَا زَالَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيَهُ بِذَلِكَ ، قَالَ
الْفَرَزْدَقُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَالْفَعْلُ عِلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلُّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ يَتَنَحَّلُ (٣)

وعن حماد الراوية قال : كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِضُ أَشْعَارَهَا عَلَى قَرِيْشٍ ، فَاقْبَلُوا

(١) يروى « لنقضى حاجات الفؤاد » ويروى « نقض لبانات الفؤاد »
وكلاهما خير مما هنا ، والظاهر أنهما هنا تلفيق من الرايتين ويروى « لنقضى
لبانات » ببناء نقضى للمجهول

(٢) فى الأصول « أهوج متعب » بالياء ، وهو تحريف ، وما أثبتناه عن
اللسان (ن ع ب) وعن ديوان امرئ القيس ، وعن الخزانة ، والمنعَب - بزنة
المنبر - الأحمق المصوت . وفى الشعراء « وقع أخرج مهذب » والأخرج :
ذكر النعام ، والمهذب كالمرع وإنما ومعنى

(٣) يروى « كلامه يتنحل » برفع كلامه وبناء يتنحل للمجهول

منه كان مقبولا وما ردوا منه كان ردوداً ، قدم عليهم علقمة بن عبدة ، فأنشدهم قصيدته التي أولها [من البسيط] :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلى إذ نأثك اليوم مصروم
فقالوا : هذا سمط الدهر . ثم عاد إليهم في العام القابل فأنشدهم قوله [من الطويل] :

ملحاً بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب
فقالوا : هذان سمط الدهر

وعن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذوالرمة قوله [من البسيط] :

* يطفو إذا ما تلقتُهُ الجرائيم^(١) *

من قول المعجاج [من الرجز] :

* إذا تلقتُهُ العقابيلُ طفناً *

وسرقه المعجاج أيضاً من علقمة بن عبدة حيث يقول [من البسيط] :

* يطفو إذا ما تلقتُهُ العرائينُ^(٢) *

وحدث العمري عن لقيط قال : تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان ابن بدر السعدي والمخبل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن جذان الأسدي فقال : أما أنت يا زبرقان فشعرك كالحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فشعرك كبيرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكأما أعدته نقص ، وأما أنت

(١) يطفو : يمدو ويسرع ، وأراد بالجرائم أصول الرمل والتراب المجتمعمة ، يصف ثوراً وحشياً ، وصدر البيت قوله :

* ذو سفمة كشهاب القذف منصلت *

(٢) الذي في ديوان عاقمة وفي عدة مصادر رواية هذا المعجز هكذا :
* يطفو إذا ما تلقتُهُ العقابيلُ * والعقابيل : جمع عقنقل ، وهو ما عظم وأنعم من الأودية

يلغبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تترك الاسلام ، وأما أنت يا علقمة فان
شعوك كغزاة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .

٣٩ — وَمَعَهُ مَنُوبَةٌ أَرْجَلُوهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاءُوهُ

قواعد القلب

البيت لرؤبة بن المعجاج ، من الرجز .

والهمزة : المغازاة البسيطة والبلد المقفر ، والجمع مهملة . والمفعلة : المتلوثة بالغبرة .

والأرجاء : الأطراف والنواحي ، جمع رَجًا مقصوراً .

والشاهد فيه : القلب ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر
والآخر مكانه ، وهو هنا في المصراع الثاني ، ومثناه كأن لون سمائه لغبرتها لون
أرضه ، وفيه من الاستعارة ما ليس في تركه ، لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من
الغبرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها .

ومن القلب قول الشاعر [من الكامل] : ^(١)

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزُّنَاهُ فَرِيضَةً الرَّجْمِ

ومنه قول أبي تمام يصف قلم الممنوح [من الطويل] :

لُمَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُمَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أُيْدُ عَوَاسِلُ

وقول الآخر [من الوافر] :

* فَدَيْتَ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي *

وقول الآخر [من الكامل] :

* بِمَشَى فَيُقْعَسُ أَوْ يُكَبُّ فَيَعْتَرُ *

ورؤبة بن المعجاج تقدم ذكره في شواهد المقدمة .

(١) نسبه في اللسان (زن أ) للجمدي

٣٢ - • كَاطِنَتْ بِالْفَدَنِ السَّيَا •

قائله التقطاعى من قصيدة^(١)، من الوافر، يمدح بها زفر بن الحارث الكلبي
حين أحاطت به قيس بنواحي الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه وبينهم وحام
ومنه، وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلق سبيله، فقال يمدحه، وأول القصيدة:
فَقِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعُ وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعُ
فَقِي فَاغْدَى أُسِيرُكَ إِنْ قَوِي وَقَوْمُكَ لَا أَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعُ^(٢)
إلى أن قال يمدح زفر بن الحارث:

وَمِنْ يَسْكُنِ اسْتَلَامَ إِلَى قَوِي قَدْ أَحْسَنْتَ يَا زُفَرُ النَّمَاعُ^(٣)
أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرَّمَاعُ^(٤)
فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَيْنٌ عَلَيْهَا كَمَا طِينَتْ بِالْفَدَنِ السَّيَا^(٥)
أُثِرْتُ بِهَا الرِّجَالُ لِأَخْذُوهَا وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ لَنْ تُسْتَطَاعَا
فَلَأَيَّامًا بَعْدَ لَايٍ أَدْرَكُوهَا عَلَى مَا كَانَ إِذْ طَرَحُوا الرَّمَاعَا
فَلَوْ بِيَدَيَّ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ بِي الْقِدَمَانِ لَمْ أَرْجُ اطَّلَاعَا^(٦)

(١) انظرها في الديوان (٣٧ ليدن)

(٢) في الديوان « قفى قاذى »

(٣) استلام: فعل ما يوجب اللوم، والثوى: الضعيف، والمتاع: الزاد

(٤) الرتاع: التى ترتع وترعى، ويروى « الرباعا » وهي التى تنتج فى زمن الربيع. وبين هذا البيت وما ذكره المؤلف بعده ثمانية عشر بيتا

(٥) فى الديوان « كما بطنت »

(٦) فى الديوان « فلو بيدى سواك وجهوها » وهذا البيت والثلاثة بعده تقع فى الديوان تالية لقوله « أكفرا »

إِنْ لَمْ تَكُنْ لَوْ كَانَتْ صَغَارًا
فَلَمْ أَرْ مُنْعِمِينَ أَقْلًا مِنَّا
وَأَكْرَمَ عِنْدَمَا صَطْنَعُوا صَطْنَاعًا
مِنَ الْبَيْضِ الْوَجُودِ بَنَى نُفَيْلٍ
أَبَتْ أَخْلَاقَهُمْ إِلَّا انْسَاعًا
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

والفدن محرّكة : القَصْرُ المشيد ، والسياع بفتح السين المهملة : الطين .
بالتين ، يُطِينُ بِهِ .

والشاهد فيه : القلب أيضاً ، ومعناه كما طينت الفدن بالسياع ، وهذا من
قبيل القلب المردود ، لأن المدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه
خروجٌ عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال .

والقطامي^(٢) بفتح القاف وضما — اسمه عُمَيْرُ بْنُ شُعَيْمٍ ، والقطامي : لقب
غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم ، قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وهو
شاعر إسلامي مقل فخل مجيد .

وعن الشعبي رحمه الله قال : قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل : يَا أَبَا
مَالِكٍ ، أَتَجِبُ أَنْ لَكَ بِشِعْرِكَ شِعْرَ شَاعِرٍ مِنَ الْعَرَبِ ؟ قال : اللَّهُمَّ لَا إِلَّا شَاعِرًا
مَدْنًا ، مغدّف القناع ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن في أحد خير فسيكون
فيه ، وَلَوْ دِدْتُ أَنْى سَبَقْتَهُ إِلَى قَوْلِهِ^(٣) [من البسيط] :

(١) في الأصول « من الأخلاف » مكان « من الأخلاق » وما أثبتناه عن
الديوان والأغاني ، وفي الأغاني « تنزع انتراما » وأحسبه محرفاً عما هنا ،
مماثلاً لما في الديوان

(٢) تحيد ترجمة القطامي في الأغاني (٢٠ - ١١٨) وفي خزانة الأدب
(١ - ٣٩٢)

(٣) انظرهما في الديوان (٨)

يقتلنى بجديثٍ ليسَ يعلمهُ مَنْ يَتَقِينُ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي^(١)
 فَنُ بَنِينٍ مَنْ قَوْلُ يُصْبَنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الثَّلَّةِ الصَّادِي
 وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ النُّطَاحِ قَالَ : الْقَطَامِيُّ أَوَّلُ مَنْ لَقِبَ صَرِيحَ
 النُّوَائِي بِقَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِعٌ وَرَقْنُهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَائِبِ
 وَنَزَلَ الْقَطَامِيُّ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ مُحَارِبٍ قَيْسٍ فَنَسَبَهَا ، فَقَالَتْ :
 أَنَا مِنْ قَوْمٍ يَشْتَوُونَ الْقَدَمَ مِنَ الْجُوعِ ، قَالَ : وَمَنْ هَؤُلَاءِ وَيَحْكُ ؟ قَالَتْ : مُحَارِبٌ
 وَلَمْ تَقْرَهُ ، فَبَاتَ عِنْدَهَا بِأَسْوَى لَيْلَةٍ ، فَقَالَ فِيهَا قَصِيدَةً ، أَوَّلُهَا^(٢) [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 تَأَنَّنْكَ بَلِيلِي نَيْةٌ لَمْ تَقَارِبِ وَمَا حُبُّ لَيْلِي مِنْ فُؤَادِي بِذَاهِبِ
 إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

وَلَا بَدَأَ الْضَيْفُ يُخْبِرُ مَا رَأَى مُخْبِرُ أَهْلٍ أَوْ مُخْبِرُ صَاحِبِ^(٣)
 سَاخِرُكَ الْأَنْبَاءِ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ تَضَيَّفَتْهَا بَيْنَ الْعُدُوبِ فَرَأْسِيبِ^(٤)
 تَلَفَعْتُ فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تَلْفَنِي وَفِي طَرَفِ مَسَاءٍ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِيبِ^(٥)
 إِلَى حَبَرٍ بَوْنٍ تَوْقَدُ النَّارَ بَعْدَمَا تَلَفَعْتَ الظُّلُمَاءَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 تَصَلِّيَ بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ تَخَالُ وَمِضُّ النَّارِ يَدُولُ رَاكِبِ^(٦)

(١) في الديوان « يقتلننا »

(٢) انظرها في الديوان (٤٩)

(٣) في الديوان « مخبر رأي »

(٤) في الديوان « ساخير بالأنباء »

(٥) في الديوان « تلفعت في ظل » والطر مساء : الليلة المظلمة

(٦) في الديوان « ويبص النار » وويص النار : ضوءها

فَمَا رَاعِيهَا إِلَّا بُنَامُ مَطْبِئَةٍ تَرْجِيحُ مَحْسُودٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبٍ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُنُودِي وَنَاقِي إِلَيْكَ فَلَا تَذْعَرُ عَلَى رِكَائِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُمَا مِنَ الْحَيِّ قَالَتْ «مَشَرٌّ مِنْ مَحَارِبِ
مِنْ الْمَشْتَوِينَ الْقِدْءُ مَا تَرَاهُمْ رَجِيحًا وَرِفٌّ النَّاسِ لَيْسَ بِمَارِبِ» (١)
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ عَلَى «مَنْحِ السَّوْءِ ضَرْبَةٍ لِأَزْبِ
أَلَا إِيْمَانِيْرَانُ قَيْسٌ إِذَا اشْتَرَوْا لِطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَاجِبِ» (٢)
وَأِلَى هَذِهِ الْمَجُوزِ ، أَشَارَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْنَلِ فِي هِجَاؤِ أَخِيهِ أَحْمَدَ ،
إِذْ يَقُولُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَلِيفِ] :

لَيْتَ لِي مِنْكَ يَا أَخِي جَارَةً مِنْ مَحَارِبِ
نَارُهَا كُلُّ شَتْوَةٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَاجِبِ

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْنَلِ وَأَخِيهِ عِنْدَ تَرْجُمَةِ أُبَيِّهِمَا الْمَعْنَلِ فِي
شَوَاهِدِ الْأَطْنَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ : أَوَّلُ مَا حَرَكَ مِنَ الْقَطْلِيِّ فَرَفَعَ ذِكْرَهُ ، أَنَّهُ قَدِمَ
فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَمَشْقَ لِيَمْسَحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يَخْجَلُ لَا يَعْطَى
الشُّعْرَاءُ ، وَقِيلَ : بَلْ قَدِمْنَا فِي خِلَافَةِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الشُّعْرَاءُ
لَا يَنْفَعُ عِنْدَ هَذَا وَلَا يَعْطَى عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَهَذَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَا مَسَحَهُ ،

(١) طَازِبُ : بَعِيدٌ ، يَعْنِي أَنَّهُمْ مَعْدُومُونَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ ، وَإِلَّا يَكُنْ
الرِّيفُ قَرِيبًا مِنْهُمْ . وَفِي الدِّيْوَانِ « وَرِفٌّ النَّاسِ لَيْسَ بِمَنْصُوبٍ »
(٢) فِي الدِّيْوَانِ « إِذَا شَتَّوَا » أَيْ صَارُوا فِي الشِّتَاءِ ، وَهُوَ أَوْفَقُ بِمَا قَالَهُ
ابْنُ الْمَعْنَلِ

فدحه فميدته التي أولها^(١) [من البسيط] :
 إنا عيونك فاسلم أيها الطلل^٢ وإن بايت^٣ وإن طالت بك الطيل^٤
 فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يطحن ثلاثين
 ناقة ، قال : قد أملت لك ثلاثين ناقة موقودة بآ وتبراً وثياباً ، ثم أمر برفع
 ذلك إليه .

وقال أبو عمرو الشيباني : لو قال القطامي بيته [من البسيط] :
 بمشين زهواً فلا الأعجاز خاذلة^٥ ولا الصدور على الأعجاز تتكل^(٦)
 في صفة النساء^(٧) لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير عزة [من الطويل] :
 فقات لها بأعز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذات^٨
 في مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس .
 وقال رجل كان يدمي الأسفار : سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ،
 فجمعت أتمثل بقول القطامي [من البسيط] :

قد يدرك الثاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعمل الزلل
 ومضى أعرابي قد استأجرت منه مركبي ، فقال : ما زاد قاتل هذا لشعر
 على أن يبط الناس عن الحزم ، فها قال بعد قوله هذا :
 وربما ضرب بعض الناس حزمهم^٩ وكان خيماً لهم لو أنهم عجلوا

- (١) انظرها في مطلع ديوانه ، وفي جبهة أشعار العرب (١٥١)
 (٢) في الديوان والجمهرة « بمشين رهوا » بالراء المهملة ، ومعناه أنهم
 بمشين في سكون يتبع بعضهم بعضاً . ويروى « بمشين هونا » وهو بمعناه ، ولما
 هنا وجه صحيح
 (٣) البيت في وصف النوق

والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبدي
[من السريع]:

قد يدركُ المبغى من حُطِّهِ والخير قد يسبق جهد الحريص (١)
وعدى نظر إلى قول جانة الجعفي [من الطويل]:

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدِهِ ولم يدْرِ في استعجاله ما يبادرُ
وما أحسن قولَ ابن هند [و] رحمه الله [من مَخْلَع البسيط]:

تأنَّ فالمرء إن تأنَّى أذكركَ لاشكَّ ما تمنى
وما لمستوفزٍ عَجُولٍ حَظَّ سوى أنه تمنى

ومن أحسن ما قيل في عيب الأناة قولُ ابن أرومي [من البسيط]:

عيبُ الأناة وإن سرَّت عواقبُها أن لا خلودَ وأن ليس الفنى حجراً

وللقطامي عنة قصائد في مدح زفر بن الحرث الكلابي، سيأتي منها شيء
في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب، وفي الشعراء لابن قتيبة (١١٦).

والذي أحفظه « والحين قد يسبق جهد الحريص »

شواهد المسند

٣٣ - * فاني وقيارٌ بها لغريب * *

شاهد ترك
المسند

قائله ضابىء بن الحارث البرنجى ، وهو من قصيدة من الطويل ، قالها وهو
محبوس فى المدينة المنورة ، فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهى (١) :
ومن يك أُمسى بالمدينة رحلُهُ فاني وقيارٌ بها لغريبُ
وربُّ أمورٍ لا تُضيرُكَ ضيرةٌ وللقلب من تخشباتٍ ورجيب
وما عاجلاتُ الطير تُدنى من الفتى نجاحاً ، ولا عن ريشين يخيب
ولا خيرَ فيمن لا يُوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
وفى الشك تفرط وفى الحزم فقرةٌ ويخطئ فى الحُدس الفتى ويصيب (٢)
ولست بمسبقتي صديقاً ولا أخاً إذا لم تُعدَّ الشئ وهو مُريب (٣)
ومعنى البيت : التحسر على الغربة . والرحل : السكن وما يستصعبه من
الأمثا . وقيار : جل ضابىء أو فرسه .

والشاهد فيه : ترك المسند وهو « غريب » - والمعنى : إني لغريب وقيار
أيضاً - لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب
التحسر ومحافظة الوزن .

ولا يجوز أن يكون « غريب » خبراً عنهما بانفراده ، لامتناع العطف على

(١) روى هذه الآيات كلها البغدادى فى الخزانة (٤ - ٢٢٧) والبيت
الاول منها وهو بيت الشاهد من شواهد سيويه ، وروى الثلاثة بعده
بتقديم ثانياها المبرد فى الكامل ، وروى ابن قتيبة فى الشعراء ماعدا الاخيرينها
(٢) فى الخزانة نقلا عن الشعراء « وفى الحزم قوة » و « يخطئ الفتى
فى حدسه »

(٣) فى الخزانة نقلا عن أبى تمام فى مختار أشعار القبائل « وهو يريب »

محل اسم إن قبل مضى الخبر، وقيار: مرفوع إما عطفاً على محل اسم (١) إن، أو بالابتداء والخنوف خبره، والسر في تقديم «قيار» على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب، كأنه أثرفي غير ذوى العقول أيضاً، إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه في التأثر عن الغربة، لأن ثبوت الحكم أولاً أقوى وضائياً - بالضاد المعجمة، وبعد الألف باء موحدة ثم همزة - ابن الحرث

البرجي (٢) ينتهي نسبه إلى عيم، وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إنه جنى جنابة في زمن عثمان رضى الله عنه، فحبسه، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه، ثم جبن عنه، وفي ذلك يقول [من الطويل]:

هَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً (٣)
ويقول فيها أيضاً:

وَقَائِلَةٌ لَا يُعَدِّ اللَّهُ ضَائِبًا وَلَا تَبَعْدَنَ أَخْلَاقَهُ وَشِمَائِلَهُ (٤)
إلى أن يقول فيها أيضاً:

(١) هذا هو الذي قرر امتناعه من قبل، وخلاصة القول في تخريج هذا البيت عربية، أن الفراء والكسائي جعلاه «وقيار» معطوفاً على اسم إن، وأجازا أن يعطف المرفوع على المنصوب بأن باعتبار أن أصله مبتدأ، وأطلق هذا الجواز فلم يقيده، وأن سيبويه والمبرد أجازا أن تعطف المرفوع على المنصوب بأن بشرط أن تكون إن قد استكملت خبرها قبل العطف، وروى هذا البيت بنصب قيار، ويخرج على مذهبهما في رواية الرفع بأنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر إن الآتي بعده.

(٢) روى له الأصمعي قصيدة لامية في الأصمعيات (ص ٥٦) وسمها ضائياً بن الحارث بن أرطاة البرجي

(٣) هكذا في الأصول وكامل المبرد (١-٢٢٩) وفي حماسة البحرى (١١ بيروت) «فعلت فكان المعولات حلالة» وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى في شرح الشاهد (رقم ٦٣)

(٤) في الكامل للمبرد «وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى»

ولا تَقَرَّبَنَّ أَمْرَ الصَّرِيحَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَأَى أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَاقِلُهُ (١)
 فَلَا فَتْكَ مَا أَمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تَحَدَّثُ مِنْ لَاقِيَتِ أَنْكَ قَاتِلُهُ
 وَمَا فَتْكَ إِلَّا لَأَمْرِي ذِي حَفِيطَةٍ إِذَا هُمْ لَمْ تُرْعِدْ عَلَيْهِ مَفَاصِلُهُ
 ثُمَّ لَمْ يَقْتُلْ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَثَبَّ عَلَيْهِ عِمْرُ الْمَذْكُورِ فَكَسَّرَ ضُلَمِينَ
 مِنْ أَضْلَاعِهِ، ثُمَّ إِنَّ الْحَبَاجَ قَتَلَهُ كَمَا سَيَأْتِي مَشْرُوحًا فِي شَوَاهِدِ الْإِيجَازِ عِنْدَ قَوْلِهِ
 «أَنَا ابْنُ جَلَا» إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَانَ السَّبَبُ فِي حَبْسِ عُثْمَانَ لِضَائِيٍّ أَنَّهُ كَانَ اسْتِعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنِي حَنْظَلَةَ
 كَلْبًا يَصِيدُ بِهِ، فَطَالَبُوهُ بِهِ، فَامْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهِ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ قَهْرًا، فَغَضِبَ
 وَرَمَى أُمَّهُم بِالْكَلْبِ وَهَجَاهُمْ بِقَوْلِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] : (٢)

تَجَشَّمَ نَحْوِي وَفَدُّ فُرْحَانَ شَقَّةٍ تَطَّلُ بِهِ الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ (٣)
 فَأَرَدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَنَاجُ الْهَرُمَزَانِ أَمِيرُ
 وَقَلَّدْتُهُمْ مَا لَوْ رَمَيْتَ مُتَالِمًا بِهِ وَهَوَّ مُقْبِرَ لِكَادٍ يَطِيرُ
 فَيَارَا كَبًّا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَعْنَ أَسَامَةَ عَنَى وَالْأُمُورُ تَدُورُ
 فَأَمْكُمُ لَا تَنْتَرُكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَانْ عَقُوقِ الْوَالِدِينَ كَبِيرُ (٤)
 فَانْكَ كَابٌ قَدْ صَرَّيْتَ بِمَا تَرَى تَمِيعُ بِمَا فَوْقَ الْفِرَاشِ بِصِيرُ
 إِذَا عَبَقْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنُهُ يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ الْفِرَاشِ هَرِيرُ

فَاسْتَعْدَدُوا عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَخَبَسَهُ، وَقَالَ :
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا لَنَزَلَتْ فِيكَ آيَةٌ، وَمَا رَأَيْتُ
 أَحَدًا رَمَى قَوْمًا بِكَلْبٍ قَبْلَكَ.

- (١) فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ «فَمَا الْقَتْلُ مَا شَاوَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي * تَخْبِرُ - الْحَجَّ»
- (٢) أُنْشِدَ هَذِهِ الْآيَاتُ ابْنَ قَتِيْبَةَ فِي الشُّعْرَاءِ (٢٠٣)
- (٣) فِي الْأَصُولِ «سَرَبْحَا» مَكَانٌ «شَقَّةٌ» وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الشُّعْرَاءِ
- (٤) رَوَى هَذَا الْبَيْتَ الْمُبَرَّدُ فِي الْكَامِلِ (١ - ٢٣٨)

وحدث أبو بكر بن عياش قال : كان عثمان رضى الله عنه يجلس فى الهجاء
فهبها ضابئاً قوماً فحبسه عثمان رضى الله عنه ، ثم استمرضه ، فأخذ سكيناً فجعلها
فى أسفل نعله ، فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس .

٣٤ — تَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
من شواهد تركه المسند

البيت لقيس بن الخطيم ، من قصيدة (١) من المنسرح ، أولها :
رَدَّ الخَلِيطُ الجَلَالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
لو وقفوا ساعةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضْحِي جِجَالَهُ السَّلَفُ
فيهم أعوبٌ لَنَسَاهُ آكْسَةُ السَّدَلِ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا أَتْلُفُ (٢)
بين شكولِ النساءِ خَلَقْتُهَا قَصْدٌ فَلَا جُنْثَةَ وَلَا قَصْفُ (٣)
تَنَامُ عَنْ كُذْبٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رُويْدًا تَكَادُ تَنَمَطُفُ (٤)

(١) قد خلط المؤلف فى هذه الآيات بين ثلاث كلمات على هذا الروى :
إحداها المالك بن العجلان ، وثانيتها لدرهم بن زيد الأرمسى ، وثالثتها لقيس بن
الخطيم ، وهذه الكلمات قيلت فى حادث واحد وإن يكن قيس قال كلمته بعد
الحادث بزمان ولم يكن حاضره ، فانظر الأغاني (٢ - ١٦٨) يظهر لك هذا الخلط
وقد روى أبو زيد فى جهرة أشعار العرب (ص ١٢٧) قصيدة فيها بيت الشاهد
وكثير من الآيات التى رواها المؤلف هاهنا ونسبها إلى عمرو بن امرئ
القيس . وخمسة الآيات الأولى من مطلع قصيدة فى ديوان قيس بن الخطيم
برواية وشرح ابن السكيت (١٦) وهى الأول والثانى والثالث والرابع والسابع
منها ، وفيها من الآيات التى بعدها الثلاثة الأول منها على غير ترتيبها هنا ،
وألحق ناشره من الآيات الأخيرة زيادات الديوان على نحو ما يروى هنا
(٢) فى الأغاني « فيهم لعوب المشاء »

(٣) شكول النساء : ضروبها ، وفى الأصول « خلقها خدوا » محرفا ، وما
أنتهنا من الأغاني والديوان واللسان ، والجثلة - بالمثلثة - الصخمة الغليظة ، وفى
الأغاني « فلاجيلة » بالباء الموحدة - وهى الغليظة . والقصف : الدقة وقلة اللحم
(٤) حفظى « تكاد تنقص » وفى الأغاني والديوان « تكاد تنفر »

إلى أن قال منها أيضا :

أَبْلَغُ بَنِي مَذْحِجٍ وَقَوْمُهُمْ خَطِيمٌ أَنَا وَرَأَاهُمْ أَتَفُ^(١)
 إِنَا وَإِنْ قَلُّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَحِفُ^(٢)
 وَإِنَّا دُونَ مَا يَسُومُهُمُ الْـ أَعْدَاءُهُ مِنْ ضِيمٍ خُطَّةٍ نَكْفُ
 الْحَافِظُو عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ يَوْرَانِنَا وَكَفُ
 يَامَالِ وَالسَّيِّدِ الْمَعْمَمِ قَدْ يَطْرَأُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ السَّرَفُ
 نَحْنُ الْمَكِينُونَ حَيْثُ يُحَمَّدُ بِالْمُسْكَثِ وَنَحْنُ الْمَصَالِتُ الْأَتَفُ
 يَا مَالِ وَالْحَقُّ إِنِّ قَنَعْتُ بِهِ فَطَلَقَ فِيهِ لِأَمْرِنَا نَصَفُ
 خَالَفْتُ فِي الرَّأْيِ كُلَّ ذِي فَخْرٍ وَالْبَيْتُ يَا مَالِ غَيْرَ مَا تَصِفُ
 إِنَّ بُجَيْرًا مَوْتَى لِقَوْمِكُمْ وَالْحَقُّ نَوْفَى بِهِ وَلَنَعْتَرِفُ^(٣)
 وَالرَّأْيُ : الاعتقاد ، ويجمع على آراء وأراء.

والشاهد فيه : ترك المسند — وهو راضون — فقوله « راض » خبر المبتدأ
 الثاني ، وخبر الأول محذوف ، على عكس البيت السابق.

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

رَمَانِي بِأَمْرِكُنْتَ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا ، وَمِنْ أَجْلِ الْغَوَى رَمَانِي
 وَقَوْلِ الْمُنْبِيِّ [من الكامل] :

قَالَتِ وَقَدْ رَأَتْ أَصْفَرَارِي مَنْ بِهِ وَتَنَهَيْتِ ، فَأَجَبَتْهَا الْمُنْتَهَدُ

- (١) في الأغاني « بنى جحججي وإخوتهم زيد » وفي الخزانة (٢-١٩٢)
 « أبلغ بنى جحججي وقومهم خطمة » وكذلك هو في الديوان
 (٢) صدر هذا البيت في الديوان * إنا ولو قدموا التي علموا *
 (٣) في الأغاني « إن بجيرا عبد نخذمتنا » وفيه في عجزه « يوفى به ويعترف »
 على البناء للجوهول ، والبيت فيه من كلمة درهم بن زيد

أى : المتنهد هو المطالب به .

وقيس بن الخطيم ^(١) بالغناء المجعة شاعر جاهلي ، وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور في الصحابة رضى الله عنهم ، وشهد مع على كرم الله وجهه صفين والجل والنهروان .

وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير ، فلما بلغ قتل قاتل أبيه ، ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج ، في خبر يطول ذكره .

وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، يراق الشيايا كأن بينها برقاً ، مارأته حليمة رجل قط إلا ذهب عقلها .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء : اهجمي قيس بن الخطيم ، فقالت : لا أهجمو أحداً حتى أراه ، فجاءته يوماً فرأته في مشربة ملتقاً بكساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم ، فقام ، فقالت : أقبل ، فأقبل ، ثم قالت : أدبر ، فادبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لساكنها والية تعترض عبداً تشريه ، ثم عاد إلى حاله ناعماً ، فقلت ، وقالت : والله لا أهجمو هذا أبداً وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدم النابغة السوق ، فنزل عن راحلته ثم جئنا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

عرَفْتُ منازلًا بعُرَيْتَنِي فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمُبِينِ ^(٢)

فقلت : هلك الشيخ ، ورأيت به تبع فافية منكورة ، قال : ويقال : إنه

(١) اقرأ ترجمة قيس بن الخطيم في الأغاني (٢ - ١٥٩)

(٢) وقع في الأصول « بمرتنات » محرفاً ، ووقع فيها « للحي المبين » محرفاً أيضاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (٢ - ١٦٢) وديوان النابغة ، وعريتات : موضع ، والمبين : المقيم ، وفلمه ابن على مثال أكرم ، والبيت مطلع قصيدة رواها الطوسي ولم يروها الأصمعي في شعر النابغة

أسفاره ، وكانوا يواصلونه وَيَصِلُونَهُ . قال : وأنشدني دعبل لنفسه في
بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقْصُرُ البرقُ دُونَهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجسَّسًا

وحدث محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبلُ الرى في أيام الربيع ، فجاهم
بلج لم ير مثله في الشتاء ، فجاه شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه في رقعة
وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعْبِلٌ بلج من الشعر فجادت سماءنا بالنلوج

نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروج

فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ مخلوج

وألقي الرقعة في دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوماً عند دار رجل ، يقال له صالح
[ابن علي] ^(١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة
في سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال
صالح: ما نضع به ؟ قلنا: نذبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن
الديك ، فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فوجدناه ، وشربنا يومنا ،
فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصرى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ،
وكان ذلك المسجد مجمع للناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونهباء الناس ،
فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسْرَ المؤذَنَ صالحٌ وضِيؤُهُ أَسْرَ الكميَّ هفاً خلالَ المآط

(١) زيادة عن الأغاني (١٨ - ٣٣) وقال في رواية أخرى لهذا الخبر :
وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِمْ وَبَنِيهِمْ مَا بَيْنَ نَاتِفَةٍ وَآخِرِ سَامِطٍ
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْقَعُوا خَافَانِ أَوْ هَزَمُوا كَتَاتِبَ نَاعِطٍ
نَهْشَوْهُ فَأَنْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ وَتَهَشَّمَتْ أَفْهَافُهُمْ بِالْحَائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت :
ويحك ! ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل
نم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت
ذلك لدعبل وبعثت به إليه ، وإلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلت ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان :
شديد البخل ، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بفداء له ، فأتى
بقصة فيها ديك جاسر هريم ، لا تحرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر ، فأخذ كسرة
خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة
ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال :
ظننتك لا تأكله ، قال : بتس ما ظننت ! والله إني لأموت من يرى برجليه ،
فكيف من يرى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصيح
ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب
بهما المثل ، فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكليتين ،
ولم ير عظم قط أهدس من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن
الساق ، ومن العنق ، فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا تأكله] ^(١) ،
فانظر أين هو ؟ قال : لا أدري والله أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدري أين
هو ، رميت به فى بطنك فאלله حسبيك .

وحدث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن على ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لا بد منها .

غناه النفس ما عمرت غنائه وفقر النفس ما عمرت شقائه
 وليس ينافع ذا البخل مال ولا مزرٍ بصاحبه السخائه
 وبعض القول ليس له عناج كمخض الماء ليس له إتناه (١)
 وبعض الداء ملتئم شقائه وداء التوك ليس له دواء

٣٥ - * إن محلاً وإن مراً محلاً *

شاهد حذف
السند

قائله الأعشى الأكبر ، من قصيدة من المنسرح (٢) يمدح بها سلامة ذا
 فائش ، واسمه : سلامة بن يزيد اليحصبي ، وكان يظهر للناس في العام
 مرة مبرقما (٣)

حدث سماك بن حرب قال : قال الأعشى : أتيت سلامة ذا فائش ،
 فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه بعد مدة طويلة ، فأنشدته :

إن محلاً وإن مراً محلاً وإن في شعرٍ من مضى مثلاً (٤)

(١) في المطبوعتين « ليس له عياج » وأثبتنا ما أنشده في اللسان عن الليث
 ويقال : ليس لهذا القول عناج ، والمراد أنه أرسل على غير روية ، ويقال :
 ليس لعهد هؤلاء القوم عناج ، والمعنى أنه لا وفاء لعهدهم ، والأصل في هذا
 عناج الدلو - بكسر العين - وهو عروة تجمل في أسفل الدلو من باطن تشد
 بوثاق إلى أعلى الكرب فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر
 وفي اللسان مرة « كسيل الماء » ومرة كما هنا ، والمراد بالاماء الزبد

(٢) انظرها في ديوان الأعشى (ص ١٥٥ طبع بيانه)

(٣) في شرح ديوان الأعشى لثعلب « وكان يظهر لقومه في كل سنة
 مترقما ، وأحسبه محرقا عما هنا

(٤) رواية سيبويه « وإن في السفر إذ مضوا مهلا » ورواية الديوان
 « وإن في السفر إذ مضى مهلا »

استأنز الله بالوفاء وبالمسئل وأولى الملامة الرجل (١)
والأرض حاملة لما حل الله وما إن يُرد ما فعلا (٢)
يوماً تراها كشه أودية السَّصب ويوماً أديمها تَفلا (٣)
الشمرُ قلدهُ سلامة ذَا فائشَ والشئ حينما جُملا (٤)

فقال : صدقت الشئ حينما جمل ، وأمر لي بمائة من الابل ، وكسائي
حللا ، وأعطاني كرشاً مدبوغاً مملوءة عنبراً ، وقال لي : إياك أن تخدع عما فيها ،
قال : فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء .

والحل - بفتح الحاء المهملة : المنزل (٥) ، والمرتحل - بالفتح أيضا : المكان
المرتحل عنه .

والشاهد فيه : حذف المسند الذي هو هنا ظرف .

والمعنى : إن لنا في الدنيا حلولا ، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالا .

وقد اختلف في حذف خبر إن ، فأجازه سديويه إذا علم ، سواء كان
الاسم معرفة أو نكرة ، وهو الصحيح ، وأجازه السكوفيون إن كان الاسم
نكرة . وقال الفراء : لا يجوز ، معرفة كان أو نكرة ، إلا إذا كان بالتسكير
كهذا البيت .

(١) في الديوان « وولى الملامة »

(٢) في الديوان « وما إن ترد »

(٣) في الديوان « أودية الخس » وذكري شرحه عن أبي عبيدة « القصب »

(٤) بين هذا البيت والذي قبله في الديوان ثلاثة عشر بيتا ، ورواية هذا
البيت هناك :

قلدتك الشمر بإسلامة ذا التـ... فضال والشئ حينما جعلنا

(٥) لا يتفق هذا مع ما يذكره في بيان معنى البيت ، والصواب أن المحل
مصدر ميمي بمعنى الحلول والترحال مصدر بمعنى الارتحال

ولأعشى (١) سمع ميون بن قيس بن جندب بن شرحبيل ، يقضى به
 حرم ، وكان يقول فيه قيس الشعر ، سمى بذلك لأنه شعر عوا ليستل
 فيه من الشعر ، فقصت صخرة من جبال فقلت قد قصرت فيه جوعاً .
 وبه يقول جده ، وصح عرو ، وكان ينسب هو ولأعشى [من الضويل] :
 نبت قيل الشعر قيس بن جندب . وذلك عهد من حلة راضع
 وكان الأعشى يكنى بأبي بصير ، وهو : أحد الأعلام من شعراء
 البادية وقومها .

وسئل يونس (٢) النحوي : من أشعر قيس ؟ قال : لا أنوي إلى
 رجل بينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا ركب (٣) ، والناطقة إذا رعب ،
 وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وقال أبو عبيدة : من قَمَّ الأعشى احتج بكثرة طوله الجياد ، وتصرفه في
 المديح والمجيلة ، وسرقون الشعر ، وليس ذلك لغيره ، ويقول (٤) : هو أول
 من سأل بشعره ، واتبع به أغنى البلاد ، وكان يفتي بشعره ، فكانت العرب
 تسميه صنّاجة العرب (٥) .

(١) نجد ترجمة الأعشى ميمون في الأغاني (٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن
 قتيبة (١٣٥) وخزانة الأدب (١ - ٨٣)

(٢) يونس بن حبيب شيخ سيوفه

(٣) « في الأغاني » امرؤ القيس إذا غضب ، والمفوظ هو ما هنا . ويروى
 بهذا الكلام أن امرأ القيس أجود الشعراء شعراً في وصف الخيل والعبيد ،
 وأن الناقة أشعرهم في الاعتذار ، وأن زهيراً أجودهم شعراً في المديح ، وأن
 الأعشى أشعرهم في وصف الطير

(٤) في الأغاني « وقال ،

(٥) في اللسان : « وكان أعشى بكر يسمى صنّاجة العرب لجودة شعره »

وحث يحيى بن سليم الكاتب قال : بشئ أبو جعفر المنصور بالكوفة
 في هذه الزاوية أنه من أشعر الناس؟ قال : فأتيت حلالاً ، فاستأذنت وقلت :
 بقدارة ، فاجابني إنسان من أقصى بيتي في الدار ، قال : من أنت؟ قلت : يحيى
 بن سليم رسول أمير المؤمنين ، قال : ادخل رحلك الله ، فدخلت أنست الصوت
 حتى وقفت على باب البيت ، فإذا حماد عريان وعلى سوء تبه شاهسفرم^(١) - قلت :
 وهو الزبحان - قلت له : إن أمير المؤمنين يسألك من أشعر الناس ، قال : نعم
 ذلك لأعشو صججا .

وحث رجل من أهل البصرة أنه حجَّ قال : إني لأسور في ليلة أضحياء
 إذ فُتحت إني رجل شلب راكب على ظليم^(٢) قد زمه وخطمه^(٣) ، وهو يذهب
 عبه ويحيى ، قال : وهو مع فلك يرئز ويقول [من الرجز] :

هل يُبْلَغْتُم إلى الصَّبْحِ هَلْ^(٤) كَأَنَّ رَأْسَهُ جُلُجَح

قلت أنه ليس بانسى ، فاستوحشت منه ، فتردد على ذاهباً وراجباً حتى
 أت به ، قلت : من أشعر الناس؟ قال : ألقى يقول^(٥) [من الطويل] :

= اه ، وذلك مأخوذ من الصنح - بفتح الصاد وسكون النون - وهو
 آلة من آلات اقهو ذات قطعتين تتخذان من صفر تضرب إحداهما بالأخرى
 (١) في الأغاني (على فرجه دستجة شاهسفره »

(٢) الظليم : ذكر النعام

(٣) في الأغاني « قد زمه بخطامه »

(٤) البيت في اللسان (ج م ح) وفيه « هيق » مكان « هقل » والمقل
 - بكسر الهاء وسكون القاف - التقي من النعام ، وقيل : هو الظليم ، والجهاح
 بضم الجيم وتشديد الميم - سهم صغير بلا فصل ، مدور الرأس ، يتعلم به
 الصياد الرمي . ويقال له جباح أيضا . والمهيق - بفتح الهاء - الظلم أيضا
 حتى بذلك لطوله

(٥) البيت لامرئ القيس بن حجر ، من قصيدته المطلقة

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَ بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ
 قُلْتَ : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس ، قلت : ومن الثاني ؟ قال : الذي
 يقول [من الرمل] :
 تَعْرُدُ الْقَرْبُ بِحَجَرٍ سَاخِنٍ وَعَمَّكَ الْقَبْطُ إِنْ جَاءَ يَقْرُ^(١)
 قلت : ومن يقوله ؟ قال [طَرْفَةٌ ، قلت : ومن الثالث ؟ قال الذي يقول
 [من المتقارب] :

وَتَبْرُدُ بَرْدَ زِدَاءِ الْعُرُو مِ بِالصَّيْفِ رَقَرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرَا
 قلت : ومن يقوله ؟ قال [(٢) : الْأَعْشَى ، ثُمَّ ذَهَبَ .
 وقال الشعبي رحمه الله : الْأَعْشَى أَغْرَلَ النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَخْنَثَ
 النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَشْجَعَ النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ : فَأَمَّا أَغْرَلَ بَيْتَ قَوْلِهِ
 [من البسيط] :

غَرَّمَهُ قَرْعَاهُ مَصْقُولٌ عَوَارِضَهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجَلُ^(٣)
 وَأَمَّا أَخْنَثَ بَيْتَ قَوْلِهِ [من البسيط] :
 قَالَتْ هُرَيْرَةٌ لَمَّا رَجَعَتْ زَائِرَهَا وَيْلَى عَلَيْكَ وَيْلَى مِنْكَ يَارَاجُلُ
 وَأَمَّا أَشْجَعَ بَيْتَ قَوْلِهِ [من البسيط] :
 قَالُوا الطَّرَادُ قَتَلْنَا تِلْكَ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزَلُونَ فَا نَا مَمَّشِرُ زُلُ

- (١) القبط : شدة الحر ، ويقال : حر عكيك ، أي شديد ، والببت في
 الهذلي (عكك) مندوبا إلى طرفة بن العبد
 (٢) هذه الزيادة عن الأغاني الذي نقل عنه المؤلف هنا كل ما ذكره عن
 الأعشى ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة
 (٣) في شرح القصائد العشر للتبريزي « كما يمشي الوجي الوحل » بالخاء
 المهملة في « الوحل » وقد التبهرزي في شرحه « والوجي : الذي يشككي حافره
 ولم يحف وهو — على ذلك — وحل فهو أشد عليه » اهـ .

وهذه الأبيات من قصيدة للأعشى طنانة مطلعها :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلُ وهل تُطِيقُ وداعاً أَيُّهَا الرِّجْلُ
وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق (١) مداعباً لشخص يدعى النجم
وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن
عثمان ، فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الأول [من البسيط] :

ذَابَتْ رُبَيْدَةً مِنْ شَوْقٍ لِسَيِّدِهَا عثمانَ وَالنَّجْمَ بِالنِّيرانِ مُشْتَعِلُ
وما تَلَامُ وَنَيْلُ الْفَخْرِ يُعْجِبُهَا وبالزَّيَارَةِ لَمْ يَبْرَحْ لَهَا شَفْلُ
قَلْبُ لَطَائِرِ عَقْلٍ قَدْ أَتَاهُ بِهَا وَيَلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَارْجُلُ
لَوْ كُنْتُ يَاسَطُلُ ذَا أُذُنٍ تُصَيِّخُ إِلَى عَدْلٍ عَدْلُكَ لَوْ يَجِدِي لَكَ الْعَدْلُ
تَقُودُ ظَلِيمَةَ آرَامٍ إِلَى أُسْدٍ لَوِ التَّقَى لَمْضَتْ أَنْيَابُهُ الْعُصْلُ
ومن يَرَى ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ وَلَا يَوَدُّ مِنْ قُبْحِكَ الْمَشْهُورُ يَنْفُصْلُ
هَدَى بُنَيْنَةً وَالْجَنُونَ قَائِدُهَا إِلَى الْجَمِيلِ أَجَادِ الْمَحْ يَجْمَلُ
وَهُبُّ عَفٍّ أَمَا تَبْقَى مَحَاسِنُهَا فِي قَلْبِهِ يَا سَكَاعَ الْوَقْتِ يَارْحَلُ
أَفِّ لِعَلْمِكَ يَا مَتَّبِعُ إِنْكَ ذُو رَأْسٍ خَفِيفٍ وَذَاكَ الطَّوْدُ وَالْجَبَلُ
وَالْوَيْلُ وَيْلَكَ إِنْ ذَاقْتَ عُسَيْلَتَهُ وَبَاتَ يَجْتَمِعَانِ الزَّبْدُ وَالْعَسْلُ
لَأَنْشِدُكَ إِنْ وَدَعْتَهَا سَفْهًا وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلُ
وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ أَعْشَى كُنْتُ أَنْتَ إِذَا أَعْمَى فَلَا أَتَضَعْتُ يَوْمَئِذٍ السَّيْلُ
رجع إلى أخبار الأعشى :

قدم الأخطل الكوفة ، فأناه الشعبي يسمع من شعره ، قال : فوجدته يتغدى

(١) لسراج الدين الوراق ترجمة في فوات الوفيات (٢-١٤٥) وصف فيها ديوان شعره بأنه في سبعة أجزاء كبار ضخمة .

فدعاني إلى الفداء فأبيت ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك
فأنشدني [من الكامل] :

• صرمت أمانة جبلها ورعوم • ^(١) .

فلما انتهى إلى قوله :

وإذا تماوّرت الأكفّ خنّاءها نفحت فنّالَ رياحها المزكوم ^(٢)
قال لي : يا شعبي ، ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت ، فقلت : الأعشى
في هذا أشعر منك يا أبا مالك ، قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال [من الكامل] :
من حمر عانة قد أتى لختامه حوّل تَسْلُ غمامة المزكوم ^(٣)
فقال ، وضرب بالكأس الأرض : هو والمسيح أشعر مني ، ناك والله
أمهات الشعراء إلا أنا .

وحدث هشام بن القاسم الغزي ^(٤) ، وكان علامة بأمر الأعشى ، أنه وفد

(١) هذا صدر مطلع قصيدة الأخطل (الديوان - ٨٢) وعجزه قوله :

• وبدا المجمع منها المكتوم •

ويروى الصدر :

• صرمت حبالك زنب ورعوم •

و « رعوم » - بالراء المهملة - كما في الديوان ، ويروى بإزاي - وهو
اسم امرأة .

(٢) أنشد في الأغاني هذا البيت :

فاذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم
وكذلك هو في الديوان . وقد أخذ ابن الفارض معنى هذا البيت
في قوله :

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيها وفي الغرب مزكوم لمادله الشم
(٣) في الأغاني وشرح ديوان الأخطل « قد أتى لختامها » والبيت ثاني
بيتين في فائت شعر الأعشى (٢٥٨) .

(٤) في الأغاني « هشام بن القاسم الغزوي » .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :
 أَلَمْ تَسْكُنْ عَيْنَكَ لَيْلَةً أَرْمَدًا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّيِّمُ الْمَهْدَا
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مَهْدَا
 وفيها أيضا يقول لنافقه :

فَأَلَيْتُ لَا أَرَى لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَيٍّ حَتَّى تَزُورَ عَمَّا
 نَبِيٍّ بَرَى مَا لَا تَزُونُ وَذَكَرُهُ أَغَارَ لِعَمْرَى فِي الْبِلَادِ وَأَتَمَّهَا
 مَقَى مَا تُتَاخَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تَرَا حِيٍّ وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى^(١)

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما يدح
 أحداً قط إلا رفع من قدره^(٢) فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير ؟
 قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها
 عليك ، وكلها بك رافق^(٣) ولك موافق ، قال : وما هن ؟ قال أبو سفيان بن
 حرب : الزنى ، قال : لقد تركنى الزنى وما تركته ، قال : ثم ماذا ؟ قال : القمار ،
 قال : لعلني إن لقيته أصبت منه عوضاً من القمار ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الربا ،
 قال : ما دنت وما أدنت قط ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه أرجع إلى
 صُبابَة بقيت لي في المهراس فأشربها ، فقال له أبو سفيان : فهل لك في شيء خير
 لك مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من
 الأبل وترجع إلى بلدك سننك هذه حتى تنظر ما يصير إليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه
 كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيت ، قال : ما أكره ذاك ، قال :

(١) رواية الأغاني « تراحي وتلقى من فواضله يدا » ورواية الديوان
 (١٠٣) « تريحي وتلقى » .

(٢) في الأغاني « إلا رفع في قدره »

(٣) في الأغاني « وكلها بك رفق » .

أبو سفيان : بامشرق قرش ، هذا الأعشى ، فوالله لئن آتى عداوتبعه ليُضْرَمَ
عليك نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، فاعملوا ، فأخذها وانطلق
إلى بلده ، فلما كان بقاء منفوحة رماه ببعره فقتله .

وحدث محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال : قبر الأعشى بمنفوحة
وأنا رأيته ، فإذا أراد القتيان أن يشرىوا خرجوا إلى قبره فشرىوا عنده وصبروا
عليه فضلات الأكل ، انتهى والله أعلم .

٣٦ - * لِيَبْكُ يَزِيدُ ضَارِعُ خُصُومَةٍ *

قائله ضَرَارُ بْنُ نَهْشَلٍ ^(١) يرى أخاه يزيد ، من قصيدة من الطويل ، أولها :
لَعَمْرِي لَنْ أَمْسَى يَزِيدُ بْنُ نَهْشَلٍ حَسَا أَجَدْتُ نَسْفِي عَلَيْهِ الرُّوَاخُ
لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ يَبْسُطُ الْكَفَّ بِالْأَنْدَى إِذَا حَصَّنَ بِالطَّيْرِ الْأَكْفُ الشُّعَاخُ
فَبَعْدَكَ أَبْدَى ذُو الضَّغِينَةِ ضِفْنَهُ وَسَدَّ دَلِي الطَّرْفَ الْعَيُونَ الْكُوشَاخُ ^(٢)
ذَكَرْتُ الَّذِي مَاتَ النَّدَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِعَاقِبَةٍ إِذْ صَالَحُ الْقَوْمِ صَالِحُ ^(٣)

شاهد حذف
المند لوقوع
الكلام بعد
استقام

(١) نسبت بعض هذه الأبيات إلى الحارث بن نهيك ، وإلى ليبد بن
ربيعة ، وإلى مزرد بن ضرار ، وإلى الحارث بن ضرار ، وإلى نهشل بن حري ،
وانظر شرحنا على الأشموني (٢ - ١٥٥)
وسنة الأبيات الأولى في الخزانة (١ - ١٥٠) بترتيبها هنا ، وهناك سابع
غير سابع هذه الأبيات ونسبه إلى نهشل بن حري

(٢) في الخزانة « وسد » بدال واحدة ، وفي مطبوعتي هذا الكتاب
« وشد » بالشين معجمة ، وما أثبتناه أدق ، وهو رواية ذكرها صاحب
الخزانة .

(٣) في الخزانة « بعاقبة » بضم العين طالع »

إِذَا أَرَقِيَ أَقَى مِنَ اللَّيْلِ مَا مَضَى تَمَحَّى بِهِ نَيْتٌ مِنَ اللَّيْلِ رَاحِحٌ^(١)
 لَيْبِكَ بَرِيدُ ضَارِعٌ مُلْصُومَةٌ وَخَنْبِطٌ مَا تُطْبِخُ الطَّوْأُفُخُ
 عَرَى بَدَّ مَا جَفَّ الْتَرَى عَنْ نِقَابِهِ بِعَمَاءَ تَدْرَى كَيْفَ تَمَشَّى الْمَتَمَحَّى

والضارع : الخاضع المستكن^(٢) من الضراعة وهي الخضوع والتذلل، والجار والمجرور متعلق بضارع، وإن لم يعتمد على شيء لأن الجار والمجرور تكفيه راحة الفعل^(٣) أي يبيكه من يدل لأجل خصومة لأنه كان ملجأ وظهيراً للأذلاء والضعفاء، وتعليقه بيبكى ليس بقوى . والخنبط : الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة، وأصله من الخبط، وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل . والطوائخ : جمع مطيخة^(٤) وهي القواذف^(٥) على غير قياس كلوا قح جمع مُلقحة، يقال : طوحته الطوائخ : أي نزلت به المهالك، ولا يقال المطوحات وهو نادر .

والشاهد فيه : وقوع الكلام جواباً لسؤال مقدر مشتمل على المسند، وعدل عن بنائه للمفعول لتكرير الاسناد إجمالاً وتفصيلاً، إذ هو أوكذب وأقوى في النفس، والله أعلم .

(١) في الخزانة « إذا أرق » بدون ياء المتكلم

(٢) هكذا في المطبوعتين ، وأحسبه « المستكن »

(٣) إنما يشترط اعتماد اسم الفاعل على نفي أو استفهام عند جمهور النحاة لأجل نصبه المفعول به ، أما رفعه الفاعل وتعليق الجار والمجرور والظرف به فلا يشترط له شيء من ذلك باجماع النحاة ، وهذا ما يشير إليه المؤلف

(٤) هذا قول أبي على الفارسي . ونقل ابن خلف عن الأصمعي أنه يقال : طاح الشيء ، وطاحه غيره ، وعلى هذا يكون الطوائخ جمع طائخة من المتمدى ويكون الوصف والجمع جاريتين على القياس ولا شذوذ فيهما .

(٥) في المطبوعتين « وهي القواذف »

شاهد محم
المند صلا
ليفيد التحد

٣٧ - أَوْ كَمَا وَرَدَتْ عِكَاظُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَى غَرِيفَتِهِمْ يَتَوَسَّمُونَ

البيت لطريف بن نمير العنبري^(١) من أبيات من الكامل ، وبعده :

وَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَأْنِي سَلَاخِي فِي الْحَوَادِثِ مَعْلَمٌ
نَحْتِي الْأَغْرَءَ وَفَوْقَ جَنْبَيْ نَثْرَةٍ رَغْفٌ تَرْدُ السَّيْفِ وَهُوَ مُنْثَمٌ^(٢)
حَوْلِي أَسِيدُ وَالْمَجِيمُ وَمَازَنٌ وَإِذَا حَلَّتْ لُحُولَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٣)

وعكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة
وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب ، فيتماكطون : أى يتفاحرون
ويتشائمون ، ومنه الاديم العكاظي . والقبيلة : بنو أب واحد ، والعريف :
رئيس القوم ، لأنه عرف بذلك ، أو النقيب وهو دون الرئيس ، والنوسم :
التخيل والتفريس .

والمنى : إن لى على كل قبيلة جنازة ، ففى وردوا عكاظ طلبنى النهم بأمرهم .
وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمين بعضهم

(١) سماء فى اللسان عن ابن برى (خ ض م) طريف بن مالك العنبري
وقال مرة أخرى (ع رف) : « وقال طريف بن مالك العنبري ، وقيل : طريف
ابن عمرو * أوكما وردت عكاظ ... البيت » وقد روى الأصمعي هذه الآيات
الأربعة وزاد خامسا (أنظر الأصمعيات ٦٧) .

(٢) الأغر : اسم فرس له ، والنثرة : الدرع ، وزغف : لينة واسعة محكمة ،
أو دقيقة حسنة اللالسل .

(٣) يروى صدر هذا البيت :

* حولي فوارس من أسيد شجعة *

ويروى فى عجزه « وإذا غضبت » كما يروى « وإذا نزلت » ويروى البيت

حولى فوارس من أسيد جة وبني المجيم حول بيتي خضم
وانظر لسان العرب (خ ض م) .

بعضاً تَنَمَّوْا ، حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريق هذا - وكان من الشجعان أنه كان لا يتنقع كما يتنعمون ، فوافى عكاظ سنة ، وقد حشدت بكر بن وائل ، وكان طريق هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيباني ، فقال حمصبة^(١) بن شراحيل : أروني طريقاً ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به طريق تأمله ونظر إليه ، حتى فطن له طريق ، فقال له : مالك تنظر إلى مرة بعد مرة ؟ قال : أتوسمك لأعرفك فله على ابن لقينك في حرب لأقتلك أو لتقاني ، فقتل طريق عند ذلك الأبيات المارة والشاهد فيه : بحجى المسند فعلاً ليفيد حدوث التجدد حالاً بعد حال ، وهو هنا « يتوسم » أى يتفرس الوجوه ويتصفحها ، يحدث منه ذلك شيئاً فشيئاً ولمحة فلهظة .

ثم إن بنى عائلة خلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان ، خرج منها رجلان مقتل طريق
الغصبري يصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان فدعّر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلها ، فأبى بنو ربيعة عليهم ذلك قال هاني بن مسعود وهو رئيسهم : يا بنى ربيعة ، إن إخوانكم قد أراحوا ظلمكم فأنحازوا عنهم ، فثار قوم ، فساروا حتى نزلوا بمبايض^(٢) ، فأتى عبدلرجل من بنى ربيعة وسار إلى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على مبايض وهم بنو ربيعة ، والحقى الجريد : المنتقى من قومه ، فقتل طريق بن

(١) في معجم البكرى « حمصبة » بزيادة ميم بعد الحاء .

(٢) مبايض : ماء من مياه بنى تميم ، وانظر حديثه في كامل ابن الأثير (١-٣١٨) وفي العقد الفريد وفي معجم البكرى ومعجم ياقوت وكان في الأصول « مبايض » محرفة عما ذكرناه ، قال يلقوت في ترجمة « مبايض » مانسه « مبايض بالضم وآخره معجمة : موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريق بن تميم فارس بنى تميم ، قتله حمصبة بن جندل ، وقتل فيه أبو جلداء الطهوى وكان من فرسان تميم » اهـ

المنبري : هؤلاء نرى يأكل نعيم ، إننا هم أكلة رأس ، وأقبل في بنى عمرو بن نعيم
فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فأنحاز بهم هانيء بن مسعود رئيسهم إلى علم مبايض ،
وثقوا عليه وسرحوا بالأموال والدرح وصحبهم نعيم ، فقال لهم طريف : افرغوا
من هؤلاء الأكلاب يصف لكم ما وراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : أقاتل
أكلبا أحرزوا أنفسهم وتركوا أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبوا عليه ، وقال هانيء
لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، فليحت نعيم بالنم والعيال فأغاروا عليهما ، فلما
ملأوا أيديهم من الغنيمة ، قال هانيء لأصحابه : احملوا : أيهم ، فهزمهم ، وقتل
يومئذ طريف بن المنبري ، قتله حصيصة الشيباني بن شراحيل ، وقال
في ذلك (١)

وَلَقَدْ دَعَوْتَ طَرِيفٌ دُعَاةَ جَاهِلٍ سَعَهَا وَأَنْتَ بِمَعْلَمٍ قَدْ تَعْلَمُ
وَأَتَيْتَ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مَحْلَمُ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ (٢)
فَوَجِئْتَ قَوْمًا يَمْنَعُونَ ذِمَارَهُمْ بُسْلًا إِذَا هَابَ الْفَوَارِسُ أَقْدَمُوا
وَإِذَا دَعَا رَبِّي رِبِيعَةً شَمَرُوا بِكَتَائِبِ دُونَ النَّسَاءِ تَلَمَّ (٣)
حَسَدُوا عَلَيْكَ وَعَجَلُوا بِقِرَامُ وَحَمُوا ذِمَارَ أَبِيهِمْ أَنْ يُسْتَمُوا
سَكْبُوكَ دِرْعَكَ وَالْأَغْرَ كُلَّيْهَا وَبَنُو أَسِيدِ أَسْلَمُوكَ وَخَصِمُ

(١) نسبها الأصمعي في الأصمعيات (٦٨) إلى عمرو بن حبي التغلبي ورواها
خمس أبيات تنفق في أربعة من هذه الستة .

(٢) في الأصمعيات « ولقيت حيا في الحروب »

(٣) في الأصمعيات « وإذا دعوا بأبي ربيعة » وفي أصول هذا الكتاب
« دور النساء تللم » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما في الأصمعيات
وأصل تللم تللم خفف إحدى التاء بن تخفيفا

شاهد مجيء
المند المأ
لفيد للثبوت

٣٨ - لَا يَأْتِ الدَّرْزَمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْنَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ

البيت للنضر بن جؤية [أوجؤية] ^(١) بن النضر، من أبيات من البسيط، وقوله:
قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبَقِيَ ذَرَاهِمَنَا وَمَا بَنَّا سَرَفُ فِيهَا وَلَا خُرُقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ يَوْمًا ذَرَاهِمَنَا ظَلَمْتُ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
وبعدهما البيت، وبعده:

حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرْوٍ إِلَيْهِ يَنْزِقُ
ونسبه صاحب المغرب للملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي
والشاهد فيه: مجيء المسد اسمًا لأفادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجديد،
يعنى أن الانطلاق ^(٢) ثابت له من غير اعتبار تجديد.

وفي معنى البيت قول المتنبي ^(٣) [من البسيط]:
وَكَلَّا لَنَلْقَى الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مِلْكِهِ افْتِرَاقًا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكَلِمًا قَلِيلَ هَذَا مَجْتَدٍ نَعْبَا
وما أحسن قول ابن النقيب في معناه [من الطويل]:

وَمَا بَيْنَ كُنَى وَالْدِرْهَمِ عَامِرٌ وَلَسْتُ لَهَا دُونَ الْوَرَى بِخَلِيلٍ
وَمَا اسْتَوْطَنْتَهَا قَطُّ يَوْمًا وَإِنَّمَا تَمُرُّ عَلَيْهَا عَابِرَاتُ سَبِيلٍ

(١) هذه الزيادة في أوحدها وقد دخلت منها جميع النسخ، ويؤيد هذه
الزيادة أن العكبري روى في شرح ديوان المتنبي قوله «إنا إذا اجتمعنا —
البيت» ونسبه إلى جؤية بن النضر! وذكر بيت الشاهد غير منسوب
انظره ١١٦-١.

(٢) في المطبوعين «يعنى أن الانطلاق» وليس بشيء، إنما الانطلاق
الذي أخذ منه قول الشاعر «منطلق»

(٣) من قصيدة له بمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجلي (الديوان ١ -
١٠٩ - بشرح العكبري).

وما ألفَ قولَ السراجِ الوراقِ [من مجزوء الكامل] :

لَمَّا يَشُقُّ عَلَى الْكَرَامِ
الضَرْبُ أَوَّلُ أَمْرَهَا
وَالْحَبْسُ فِي أَيْدِي النَّاسِ
مَاذَا عَلَى شَوْمِ الدَّرَا
وَلَوْ أَنَّهَا مِنْ ذَا وَذَا
لَكُنْتُ مِنْ أَيْدِي الْكَرَامِ

ولطيفٌ قولٌ بعضهم [من المتقارب] :

رَأَيْتُ الدَّرَاهِمَ أَبْغَضَنِي كَأَنِّي قَتَلْتُ أَبَا الدَّرْهِمِ

٣٩ - * لَهُ هَيْمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا *

شاهد خديم
للشد

قائله حسان بن ثابت الأنصاري^(١) رضي الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، من قصيدة من الطويل ، وتماهه :

* وَهَيْمَةُ الصَّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ *

وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح في أبي دُلْفٍ المعجلى ، ولعل الحامل له على هذا ما حكى أن أبا دُلْفٍ لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله ، وقد أُرْدِفَ فارسٌ منهم رفيقاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً ، فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أخذ بطئته واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح ، فأشبهه قوله فيه^(٢) [من الكامل] :

فَلَاوَا وَيَنْظُمُ فَارِسِينَ بِطْنَةٍ يَوْمَ الْفَقَاءِ وَلَا يَرَاهُ جَلِيلًا
لَا تَعْجِبُوا فَلَوْ أَنَّ طَوْلَ قَتَاتِهِ مِثْلُ إِذْنِ نَظْمِ الْفَوَارِسِ مِثْلًا

(١) لا يوجد في ديوان حسان ، ولعله كلمة على هذا الروي .

(٢) انظر هذه القصة والآيات التي رواها المؤلف في الأغاني

فأمر له أبو دلفٍ بمشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه أيضاً [من الطويل]:
 له راحةٌ لو أن معشارَ جودِها على البر كل البر أندى من البحر
 ولو أن خاق الله في جسمه فارسٍ وبارزَهُ كان الخلى من الغر
 أبا دلفٍ بوركتَ في كل بلدةٍ كما بوركتَ في شهرها ليلةَ القدر
 فلما كانت هذه الآيات موازنةً لذلك البيت في الوزن والقافية، نسب
 لبكر بن النطاح المذكور، والذي يقوى أنه ليس لبكر بن النطاح أنه لم يوجد
 في أخباره إلا الآيات الثلاثة المذكورة، وهذا البيت جليل بالنسبة إليها،
 فلو كان منها نص عليه بالذكر. وقتل بعضهم أن أعراياً دخل على أمير
 فقال يمدحه [من الطويل]:

ففي ترُبِّ الأموال من جود كَفِّه كما يربُّ الشيطانُ من ليلةِ القدرِ
 له هِمَمٌ لا مُنتهى لكبارها وهَمَّتْهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
 له راحةٌ لو أن معشار جودِها على البر كان البر أندى من البحرِ
 فقال له الأمير: احتكم، أو فوض إلى الحكم، فقال الأعرابي: بل
 أحتكم بكل بيت ألف درهم، فقال الممدوح: لو فوضت إلينا الحكم لكان
 خيراً لك، قال: لم يكن في الدنيا ما يسع حكمك، قال: أنت في كلامك
 أشعر من شعرك، وأمر مكان كل ألف بأربعة آلاف.

والهمم: واحدها همة، بالكسر وتفتح، وهى مام به من أمر ليفعل.
 والشاهد فيه: تقديم المسند، وهو «له» للتنبيه من أول وهلة على أنه
 خير لهم، لانت له، إذ لو تأخر لتوهم أنه نمت له لا خبره.

وخهان^(١) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي رضى الله عنه، وأمه

ترجمة حسان
ابن عتبة

(١) تحيد ترجمة حسان بن ثابت في الأغاني (٢: ٢-١٧) وفي تاريخ
دمشق (٤: ١٢٥).

الفريرة^(١) . ويكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدن^(٢) ، وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عُمُرُ مائة وعشرين سنة : منها ستون في الجاهلية ، وستون في الاسلام .

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وله ناصية قد سدّها بين عينيه .

وعن محمد التوفلى رحمه الله قال : كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لجنته ، فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت لم تفعل هذا ؟ قال : لا كون كاثي أسد ولع في دم .

وعن أبي عبادة قال : فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : جاء حسان رضى الله عنه إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك الله أمّعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عني ، ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ! قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وحدث سماك بن حرب قال : قام حسان فقال : يا رسول الله ، إني نل فيهِ ، يعني أبا سفيان بن حرب^(٣) . وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرج له لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ؛ لو شئت لفريت به المزداد ؛

(١) هي الفريرة بنت خالد بن قيس بن لؤذان ، خزرجية أيضاً .
(٢) في الأغاني « وقد قيل إنه أشعر أهل المدر » . وما هنا في جملة مقول عنه .

(٣) الذي كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي صلوات الله وسلامه عليه

ابنن لى فيه ، قال : اذهب إلى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم ، وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل مملك ، فأتى أبابكر ، فأعلمه بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كف عن فلانة ، واذكر فلانة ، وكف عن فلان ، واذكر فلانا ، فقال [من الوافر] :

هجوتَ حملاً فأجبتُ عنه^١ وعند الله فى ذاكَ الجزاء

فإن أبى ووالدنى وعرضى لعرضٍ عهدي منكم وقاه^(١)

أنهجه^٢ ولست له بُد فشركا لخيركما الفداء

وحدث جويرية بن أسماء قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشقى وأشقى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَخْصِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله ابن رواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس .

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : قد جاء اللعين حسان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلين ، لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان ، وهو يقول [من الطويل] :

حصانُ رزانُ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصَبِّحُ غرَّتى من لحومِ الغوافِلِ

(١) فى الأغاني والديوان وتاريخ دمشق « فان أبى ووالده » .

قالت له عائشة رضي الله عنها : لكن أنت لست كذلك ، فقلت لها :
أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)
قالت : أما تراه في عذاب عظيم وقد ذهب بصره .

وحدث مالك بن عامر قال : بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان
مضطجع مسند رجله إلى فارع^(١) قد رفعهما عليه إذ قال : مه ، ما رأيتم ؟ ما مر
بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاخنة^(٢)
مرت بكم الساعة بيني وبين فارع ، فصدمتني ، أو قال فزحمتني ، قال : قلنا
وما هي ؟ قال^(٣) [من الطويل] :

ستأتيكم غداً أجاديثُ جمةٌ فأصفوا لها آذانكم وتسمموا
قال مالك بن عامر : فصبحنا من الغد حديثُ صفين .

وحدث العلاء بن جزء العبدي قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف ، وهو
مكفوف إذ زفر زفرةً ، ثم قال [من الكامل] :

وكان حافرها بكل خميلة صاع يكيل به شحيج معدم
عارى الأشاجع من ثقيف أصله عبدٌ ويزعم أنه من يقدم
قال : والمغيرة بن شعبة الثقفي جالس قريباً ، فسمع ما يقول ، فبعث إليه

(١) فارع : حصن حسان .

(٢) الفاخنة : طائر .

(٣) وقع هذا في المطبوعتين كأنه كلام منشور ، وهو بيت من الشعر من
الطويل . وفي الأغاني « ستأتيكم غدواً » وهو الأصل في غدا ، ومنه
قول الراجز :

* إن مع اليوم أخاه غدوا *

وقول لبيد بن ربيعة العامري :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بجئة آلاف درهم ، فقال : من بعث إلى يهذه ؟ فقالوا : المنيرة بن شعبة مع ماقلت ، فقال : واسواتاه ، وقبلها .

وحدث الأصمعي قال : جاء الحارث بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخرجني من شعر حسان ، فلو مزج البحر بشعره لمزجه ، وكان السبب في ذلك أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ابعث معي من يدعو إلى دينك فأني له جار ، فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الأنصار فقدرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا الأنصارى ، فقدم الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب أحدا في وجهه ، فقال : ادعوا لي حسان ، فلما رأى الحارث أنشده [من الكامل] :

يا حارث من يقدّر بنمعة جاره منكم فإن محمدا لم يقدّر
إن تقدروا فالتدروا منكم شيعة والتدروا تنبت في أصول السحجر

فقال الحارث : اكفنه عني يا محمد وأودى إليك دية الخفارة ، فأدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عثمراء ، وكذلك كانت دية الخفارة ، وقال : يا محمد إنني عائد بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه .

وحدث يوسف بن ماهك عن أمه قالت : كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها ، فذكرت حسان فسيبته ، فقالت : بغس ما قلت تسبيته وهو الذي يقول [من الوافر] :

فإن أبي ووالدني وعرضي لعرضي محمدا منكم وقاه
فقلت : أليس من لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا ولكنه الذي قال [من الصويل] :

حصان رزان ما تزن برية وتصبح غري من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد جاء عن قلته فلا رفعت سوطي إلى أنامل
وكان حسان رضي الله عنه جبانا ، حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، فربنا رجل من اليهود، فجعل يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، إن أنا أت، قالت ققلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزل إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت إليه من الحصن فضربت به العمود حتى قتلت، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، ققلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالى إلى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب.

وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم [من البسيط]:
لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ مُنْتَطِقًا بِصَارِمٍ مِثْلُ لَوْنِ الْمِلْحِ قِطَاعٍ (١)
تَحْفَزُ عَنِ نَجَادِ السِّيفِ سَابِقَةً فَضْمَاةٌ مِثْلُ لَوْنِ النَّهْيِ بِالقَاعِ (٢)
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه.

(١) «منتطقا بصارم» أراد أنه شد سيفه إلى وسطه مكان النطاق وأراد أنه أبيض كلون الملح
(٢) تحفز: تدفع، ونجاد السيف: جمائله، وأراد بالسابقة الدرع، والضمضاة: الواسعة، والنهي - بكسر النون وسكون الهاء - الغدير، ووقع في المطبوعتين «مثل لون النهر» وأثبتنا ما في الديوان والأغاني، وفي تاريخ دمشق «مثل لون الهى» محرفا

وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة، رضى الله عنه ١

٤ - ثلاثة تشرق الدنيا ببيجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر شامد قديم السند فتشوي

البيت لمحمد بن وهيب ، من البسيط يمدح المعتصم ، وأبو إسحاق :
كُنيتُه ، واسمه محمد .

حدث أبو محم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم ، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحن أن يقول مثل قول النخري في الرشيد [من البسيط] :

خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بنى العباس معتصما فليس بالصاوات الحسن ينفع (١)
إن أخلف القطر لم تخاف مخايله أو ضاق أمر ذكرته فيتسع
فليدخل وإلا فليصرف ، فقام محمد بن وهيب ، فقال : فينا من يقول
مثله ، قال : وأى شئ قلت ؟ فقال [من البسيط] :

ثلاثة تشرق الدنيا ببيجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
فالشمس تحكي في الاشراق طالمة إذا تقطع عن إدراكها النظر
والدبر يحكي في الظلماء منبلجا إذا استنارت لياليه به الغرر
يحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصمة الذكركر
فالغيث يحكي ندى كفيه منبراً إذا استهل بصوب الديمة المطر
وربما صال أحيانا على حق شبه صولته الضرغامه المهر
والهندوانى يحكى من عزائه صريمة الراى منه النقض والمرر

(١) في الأغاني (١٧ - ١٤٢) « من لم يكن بأمين الله معتصما »

وكلها مشبه شيتاً على حدة
وأنت جامع مافيهن من حسن
فالخلق جسم له رأس يدبره
وأنت جارجحاه السمع والبصر
فأمر بادخاله وأحسن جائزته .

ومما يشبه ذلك قول القاسم بن هاني، يمدح جعفرًا صاحب (١) المسيلة
[من الكامل] :

المدنفان من البرية كلها جسي وطرف بابل أخور
والمشركات النبرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر
ومثله في الحسن قول محمد بن شمس الخليفة [من الكامل] :
شيثان حدث بالقساوة عنهما قلب الفتى يهواه قلبى والحجر
وثلاثة بالجرود حدث عنهم البحر والملك المعظم والمطر
ويقرب منه قول ابن مطروح في الناصر داود [من السريع] :
ثلاثة ليس لهم رابع عليهم معتمد الجود
الغيث والبحر وعززها بالملك الناصر داود

وقول أبي محمد الباقى [من المنسرح] :
ثلاثة ما اجتمعن فى رجل إلا وأسلمنه إلى الأجل
ذاك اغتراب وفاقة وهوى وكلها سائق على عجل

(١) ذكرنا فى الديوان (٦١ بولاق) وذكر أنها فى وصف سيف يحيى بن على
ولا يظهر ذلك فيها ، وقد أنشدها ابن خلكان فى ترجمة أبى على جعفر بن على
ابن أحمد بن حمدان الأندلسى صاحب المسيلة وأمر الزاب من أعمال إفريقية
(١٩٩ - ١٩٩ النيل)

يا عاذِلَ العاشِقِينَ إِنَّكَ لَوْ عَذَرْتَهُمْ كُنْتَ تَبْتَ مِنْ عَدَلٍ
وقول ابن سكرة [من المنسرح] :

فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلِّفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ
الْوَجْهُ بَدْرٌ وَالصَّدُغُ غَالِيَةٌ وَالرُّيُّ خَيْرٌ وَالشَّرُّ مِنْ بَرْدٍ

وما أصدق قول السراج الوراق [من الرجز] :

ثَلَاثَةٌ إِنْ صَحَّيْتُ ثَلَاثَةً أُعَيْتُ عِلَاجَ يَدَوَّهَا وَالْحَضَرَ
عِدَاوَةً مَعَ حَسَدٍ ، وَفَاقَةً مَعَ كَسَلٍ ، وَعِلَةً مَعَ كِبَرٍ
وبدع قول ابن نباتة المصري [من السريع] :

تَنَاسَبَتْ فِيمَنْ تَعَشَّقَتْهُ ثَلَاثَةٌ تَعْجَبُ كُلُّ الْبَشَرِ
مِنْ مُقَلَّةِ سَهْمٍ وَمِنْ حَاجِبِ قَوْسٍ وَمِنْ نَفْعَةِ صَوْتٍ وَزَرْ

وما يناسب هذا المقام ما حكاه المدايني قال : بينا سَكِينَةُ بنت الحسين
رضي الله عنهما تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحذو ويقول [من الرجز] :

* لَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ عَيْشُ الدَّهْرِ *

فكانت لقائد قطارها (١) : الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه
الثلاثة ، فطالبه لذلك حتى أتبعها ، فقالت للغلام لها : سر أنت حتى نسمع
منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

* الْمَاءُ وَالنُّومُ وَأُمُّ عَمْرٍو *

فكانت : قبحه الله ! أتبعني منذ الليلة .

(١) القطار - بكسر القاف - الجماعة من الابل على نسق واحد ، ويجمع
على قطر ، بزنة كتاب وكتب ، وقد تجمع القطر على قطرات

وما يجري من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل في كتاب المين ، وهو
[من الخفيف] :

إن في دارنا ثلاث حَبَالِي فَوَدِدْنَا لَوْ قَدْ وَضَعْنَ جَمِيعَا
جَارَتِي ، ثُمَّ هِرَّتِي ، ثُمَّ شَانِي فَإِذَا مَا وَلَدَنَ كُنَّ رَيْبَا
جَارِي لِلرَّضَاعِ ، وَالْهَرِثُ لِلْفَا رِ ، وَشَانِي إِذَا اشْتَهَيْنَا تَجَمِيعَا^(١)
ومن هذا الباب قول جرجيس بن جوحو طبيباً [من السريع] :

عَلَيْهِ الْمُسْكِينُ مِنْ شُؤْمِهِ فِي بَحْرِ هُلْكَ مَا لَهُ سَاحِلُ
ثَلَاثَةٌ تَدْخُلُ فِي دَفْعَةٍ طَلَعَتْهُ وَالنَّعْشُ وَالْفَاسِيلُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ طَابَ بِهَا الْمَجْلِسُ الْوَرْدُ وَالتَّفَاحُ وَالتَّرْجِسُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ طَابَ بِهَا الْعَمْرُ وَجْهُكَ وَالْبَسْتَانُ وَالْخَرُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ مِنْ غَيْرِهَا كَافِيَةٌ هِيَ الْمُنَا وَالْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ^(٢)
وقول أبي بكر البلخي [من مخلم البسيط] :

ثَلَاثَةٌ فَقَدْهَا كَبِيرُ الْخُبْرُ وَاللَّخْمُ وَالشَّعِيرُ
وَالْبَيْتُ مِنْ كُلِّهَا خَلَا فَجَدَ بِهَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) الجميع : الترميজন بالابن ، أو الابن يشرب على التمر
(٢) في هامش مطبوعة بولاق ما نصه « قوله هي المنى إلخ هكذا في النسخ
والمحفوظ • الأمن والسلام والعافية • » ١٤

وقول الآخر [من الرجز]:

ثلاثة ليسَ بها اشتراكُ المشطِ والمرأةِ والسَّوَاكِ

وقول أبي الحسن الملعوى [من الرجز]:

ثلاثة مَوْصُوفَةٌ تجلو البَصَرَ الماءُ والوجهُ الجميلُ والخُفَرُ

وقول الآخر [من الرجز]:

ثلاثة تذهبُ عن قايِ الحزنِ الماءُ والخُفَرُ والوجهُ الحسنِ

وقول ابن لنكك بديع هنا [من الطويل]:

أعدُّ الورى للبردِ جنداً من الصَّلَا ولأقْبَتُهُ من بينهمُ مجنودُ

ثلاثة نيرانٍ فسارُ مُدَامَةٍ ونارُ صَبَابَاتٍ ونارُ وَقُودِ

وفي مناه قول الصنوبري [من الخفيف]:

نار راحٍ ونار خَدَّ ونار لحسا الصَّبَّ يَنْبُهْنَ استِغَارُ

ما بَلَى ما كادَ الصَّيْفُ عِنْدِي كَيْفَ كُنَ الشَّتَاءُ وَالْأَمطارُ

وظريف قول بعضهم [من مخلم البسيط]:

ثلاثة يَمْنَةٌ تدورُ الطَّسْتُ والكأسُ والبَحُورُ

وقول غانم المالكى [من السريع]:

ثلاثة يُجْهَلُ مقدارُها الأَمْنُ والصَّحَّةُ والقوتُ

فلا تَتَّقِ بالمالِ من غيرِها لو أَنَّهُ دَرٌّ وِياقوتُ

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي [من الكامل]:

ما العيشُ إلا خمسةٌ لا سادسُ لهمُ وإن قَصُرَتْ بها الأعمارُ

زَمَنُ الرَّبِيعِ وَشَرخُ أَيامِ الصِّبا والكأسُ والمعشوقُ والدينارُ

وأنشد نعلب النحوى [من الطويل]:

ثلاث خلال للصدق جعلتها مضارعة للصوم والصلوات
ومواساته والصفح عن كل ذلة وترك ابتذال السرفى الخلوات
والشاهد في البيت : تقديم المسند وهو « ثلاثة » للتشويق إلى ذكر المسند
إليه ، وهو « شمس الضحى » وما عطف عليه .

ومثله قول أبي العلاء المعرى [من الوافر] :

وكالنار الحياةُ فمن رَمَادٍ أواخرها وأولها دُخانُ
فتقديم « كالنار » و « من رَمَادٍ » كلاهما للتشويق .

ومجد بن وهيب ^(١) حميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية
وأصله من البصرة ، وكان يستمع الناس بشعره ويتكسب بالمديح ، ثم توصل
إلى الحسن بن سهل برجاه بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب
به واقطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ، ثم لم يزل
منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مراثي في أهل البيت رضوان الله عليهم
وهو متوسط بين شعراء طبقة .

ترجمة مجد بن
هيب الحميري

حدث عن نفسه قال : لما تولى الحسن بن رجاه بن أبي الضحاك الجبل قلت
فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبيل بن علي الخزاعي وأبا سعيد الخزوعي وأبا تمام الطائي
فاستحسنوا الشعر ، وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تلقى بها الملوك ، فخرجت
إلى الجبل فلما صرت إلى همدان أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر
فاستحسن منه قولي [من الطويل] :

أجارتنا إنَّ التعفَّ بالباسِ وصبراً على استندارِ دُنْيَا بالباسِ ^(٢)

(١) له ترجمة في الأغانى (١٧ - ١٤٢)

(٢) في المطبوعتين « وصبراً على استندار دُنْيَا بالباس » وقد أثبتنا ما في
الأغانى إذ كان لا يتجه لما في الأصل معنى مستقيم ، والابساس : أن تدهو
الناقة للحلب

حَرَيَاتُ أَنْ لَا يَقْدَحَ بِمَنْعَةٍ كَرِيمًا وَأَنْ لَا يُجَوَّاهُ إِلَى النَّاسِ (١)
 أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِرِ
 فأمر حاجبه بإضافتي ، فأقمت بمحضرتي ، كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا
 بجميلان وخلمة وجائزة حتى انصرف الصيف فقال لي : يا محمد ، إن الشتاء عندما
 عليح فأعد يوماً للوداع ، فقلت : خدمة الأمير أحب إلي ، فلما كاد الشتاء أن
 يشتد قال لي : هذا يوم الوداع ، فأنشدني الثلاثة الأبيات فلقد فهمت الشعر كله
 فلما أنشدته :

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِرِ
 قال : صدقت ، ثم قال : عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف
 درهم ، فملت فكانت اثنتين وسبعين بيتاً فأمر لي باثنتين وسبعين ألف درهم ،
 وكان فيما أنشدته في مقامى واستحسنه قولي [من المتقارب] :

دِمَاهُ الْحَيِّينَ مَا تَقْلُ أَمَا فِي الْهَوَى حَكْمٌ يَمْدُلُ
 تَمْبِدُنِي حَوْرُ الْغَانِيَاتِ وَدَانَ الشَّبَابُ لَهُ الْأَخْضَلُ
 وَلِنَظَرَةِ عَيْنٍ تَمَلَّهَا غِرَارًا كَمَا يَنْظُرُ الْأَحُولُ
 مُسَسَّةَ بَيْنَ وَجْهِ الْحَبِيبِ وَطَرْفِ الرَّقِيبِ مَتَى يَنْفُلُ

وحدث خال أبي هفان قال : كنت عند أبي دلف فدخل عليه محمد بن وهيب
 الشاعر فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال مقل أخوه : يا أخي ، فملت بهذا ما لم
 يستأله ، ما هو في بيت من الشرف ولا في كمال من الأدب ولا بموضع من
 السلطان ، فقال : بلى يا أخي إنه لحقيق بذلك ، أولاً يستنجه وهو القائل
 [من المتقارب] :

(١) في الأغاني «حريان ألا يقديا»

يَدُنْ عَلَى أَنَّهُ عَاشِقُ مِنْ الدَّمْعِ مُسْتَشْهِدُ نَاطِقُ
 وَلِيَّ مَالِكُ أَنَا عَبْدُ لَهُ مُؤَرِّبُ بَاقِي لَهُ وَامِقُ
 إِذَا مَا سَمَوْتُ إِلَى وَصَلِهِ تَعَرَّضَ لِي دُونَهُ عَاقِقُ
 وَحَارِبِي فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ عَاشِقُ

وحدث الحسن بن رجاء قال : كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعفا مطرحا إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمدح ويسترفهم ويحظى باليسير، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوتقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنه، فنول إليه محمد بن وهيب بآبي حتى أوصله إليه مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذنه في الانشاد، فأذن له، فأنشد قصيدته التي أولها [من الطويل]:

وَدَائِعُ أَسْرَارِ طَوْتِهَا السَّرَائِرُ وَبَاحَتْ بِمَكْنُومَاتِهَا التَّوَاظِرُ
 تَمَكَّنَ فِي طَيِّ الضَّمِيرِ وَنَحْنَهُ شَبَابُ لَوْعَةِ عَضْبِ الْفِرَارِ بْنِ بَاتِرُ^(١)
 فَأَعْجِمَ عَنْهَا نَاطِقُ وَهُوَ مُعَرَّبُ وَأَعْرَبَتِ الْعَجَمُ الْجَلْفُونُ التَّوَاظِرُ

إلى أن قال فيها :

تُعْطُهُ الْآوَاهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَصْدُرُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَالطَّرْفُ حَاسِرُ^(٢)
 بِهِ تَجْنَدِي الثَّمَا وَيَسْتَدْرِكُ الْمُنَى وَتَسْتَكَلُّ الْحُسْنَى وَتَرْغَى الْآوَاصِرُ
 أَصَاتُ بِنَا دَاعَى نَوَالِكَ مُؤَذِّنَا بِجُودِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُجَاوِرُ^(٣)

(١) في الأغاني «ملكت لها طي الضمير»

(٢) في الأغاني «تعطفه الآوَاهَام» وما هنا أثم معنى

(٣) في الأغاني «أهاب بنا» وفيه «بدونك» مكان «بجودك» وهو محرف

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأَمَّا وَبَأَثَلًا فَالْتِ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ وَاتَرُ
إلى أن قال في آخرها :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِنَفْسِكَ فَآخِرًا لَمَا انْتَسَبْتَ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَفَاخِرُ
قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال أحسنت : والله
وأجملت ، ولو لم تغل قط ولا قلت في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول
وأمر له. بخمسة آلاف دينار ، فأحضرت ، واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في كنفه
أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره .

وحدث ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح
على بن هشام وتردد إلى بابہ دفعات ، فحجبه ، ولقيه يوماً في طريق فلم عليه فلم
يرجع إليه طرفه ، وكان فيه تيه شديد ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها ، فلما وصلت
إليه مزقها وقال : أى شئ يزيده هذا القليل السيئ الأدب ، فقبل له ذلك ،
فاضمر فمغضبا وقال : والله ما أردت ماله ، وإنما أردت التوسل بجاهه وسيفنى
الله عنه ، والله لينمّن مغبة فعله ، وقال يرحموه [من البسيط] :

أُزِرْتُ عَلَيْهِ لَجُودُ خِيْفَةِ الْعَدَمِ فَصَدٌّ مِنْ زَمٍّ عَنْ شَأْوِ ذِي الْمَهْمِ (١)
لو كان من فارس في بيت مكرمة أو كان من ولد الأملك والمعجم
أو كان أوله أهل البطاح أو السركب الملبيين إهلالا إلى الحرم
أيام تتخذ الأضنام آلهة فلا ترى عاكفا إلا على صنم
لشجنته على فعل الملوك لهم طبايع لم ترعها خيفة العدم
لم تند كفاك من بنلي التوال كما لم يند سيفك منذ قلدهته بهم
كنت امرأ رفعته فتنة فعلا أيامها غادرا بالعهد والقيم

(١) في الاغانى وأزرت بمجود على .

حتى إذا انكشفت عنا غمايتها ورتب الناس بالأحساب والقدم (١)
 مات التخلق وارتادتك مرتجماً طبيعة نثله الأخلاق والشيم (٢)
 كذلك من كان لا رأساً ولا ذنباً كدّ اليدين حديث العهد بالنعم (٣)
 هيئات ليس بحمال الديار ولا معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النعم (٤)
 فلما بلغت الآيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها ، وقال :
 لمن الله اللجاج فانه شر خلق تخلفه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام
 وقال : الله يعلم إنى لأدخل على الخليفة وعلى السيف وأنا مستحي منه أذكر
 قول محمد بن وهيب في :

لم تندكفك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم
 ومع ابن الأعرابي وهو يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد
 ابن وهيب ، وأنشد البيت .

وحدث الحسن بن رجاء عن أبيه قال : لما قدم المأمون ، ولقيه أبو محمد
 الحسن [ابن سهل] (٥) دخلاً جيماً فإرضهما ابن وهيب فقال [من البسيط] :
 اليوم جددت النماء والمين فالحمد لله حلّ المقدّة الزمن (٦)

-
- (١) في الأغاني «حتى إذا انكشفت عنا غمايتها»
 (٢) في الأغاني «وارتادتك مرتجماً» وهو خير مما هنا
 (٣) في المطبوعتين «لا رأس ولا ذنب» وأثبتنا الصواب والموافق لما
 في الأغاني
 (٤) في المطبوعتين «ولا الموهوب ذى النعم» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما
 في الأغاني
 (٥) زيادة عن الأغاني ، والخبر منقول عنه
 (٦) في الأغاني «اليوم جددت النماء»

اليومَ أظهرتِ الدنيا محاسنها للناس لما التقى المأمونُ والحسنُ
قال : فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال : هذا رجل من خير شاعر طبع
اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نظرائه ، فأمر المأمون
بإيصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له في الانشاد أنشد قوله
[من الكامل] :

طللانٍ طالَ عليهما الأمدُ دُفَرًا فلا عَلمٌ ولا نضدُ
لبسا البلى فكأنما وجدًا بعدَ الأَجبةِ مثلَ ما أُجدُ
حيثُما طَلَلينِ حالُهما بعدَ الأَجبةِ غيرُ ما عهدوا
إِما طواكَ سَلَوُ غانيةٍ فهوَاكَ لا مَلَلٌ ولا فَنَدُ (١)
إِنْ كُنْتَ صادقةَ الهوى فَرِدِي في الحبِّ منبَهْلُ الذي أَرُدُ
أدعى أرقَتِ وأذتِ أَمَنَةً أَنْ لَيْسَ لِي عَقْلٌ ولا قودُ (٢)
إِنْ كُنْتَ فَتٌ وخائِنٌ نَشَبَ فلربما لم يحِظَ بجَنَهِدُ (٣)
حتى انتهى إلى مدح المأمون ، فقال :

يا خيرَ منتسبٍ لِمَكْرَمَةٍ في المجدِ حيثَ تنحَنجُ العُدُ (٤)
في كلِّ أَمَلَةٍ لِرَاحَتِهِ نوًءٌ يَسُحُّ وعارضٌ حَشْدُ

(١) في الأصول « إن ما طواك » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
(٢) في الأغاني « أدعى هرقت » ببدال الهمزة هاء ، والعقل هاهنا : الدية
وهي الابل التي يأخذها أهل القتيل ، سميت بذلك لأنهم كانوا يعلقون الابل
بساحة أهل القتيل

(٣) في الأغاني « وخائني سبب » وفيه « فلربما يخطئ » مجتهد .
(٤) في الأغاني « حتى تنتج العدد »

وإذا القنا رَعَفْتْ أَسْنُهَا عَلَقًا وَصَمُّ كُوبِهَا قِمَدٌ (١)
فَكَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ قَرُّ وَكَانَهُ فِي صَوْلَةِ أَسَدٍ
وَكَانَهُ رُوحٌ تُدَبِّرُنَا حَرَكَاتُهُ وَكَانُنَا جَدُّ

فَنَحْنُهَا الْأَمُونُ ، وَقَالَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ : احْكَمْ لَهُ ، قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَوَّلِي بِالْحُكْمِ ، وَلَكِنْ إِنْ أَفْزَنَ لِي فِي الْمَسْأَلَةِ سَأَلْتُ ، فَأَمَّا الْحُكْمُ فَلَا ، قَالَ :
سَلْ ، قَالَ : تَلَحَّهْ بِجِوَارِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، قَالَ : ذَلِكَ وَاللَّهِ أَرْضَتْ ،
وَأَمَرَ أَنْ تَدَا الْإِلَيْتَ ، فَكَانَتْ خَمِينَ ، فَأَعْطَاهُ خَمِينَ أَلْفَ دَرَمٍ .

وَعَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي كَامِلٍ ، قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ تِيْهًا شَدِيدَ الْإِهَاءِ
بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْأَفْشِينَ ، وَقَدْ قَتَلَ بَابَكَ ، مَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَاهُ ،
[مِنْ الْمَرْجِجِ] :

طُلُولٌ وَمِفَانِيهَا تَنَاجِيهَا وَتَبْكِيهَا

يَقُولُ فِيهَا :

بَعَثْتُ الْخَلِيلَ وَالْخَيْرُ عَقِيدُ بِنَوَاصِيهَا (٢)

وَمِنْ مِنْ جِيدِ شَعْرِهِ ، فَأَنْشَدَنَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُمَا
لَا أُخْتُ لَهَا ، قَالَ : وَأَمَرَ الْمُتَعَمِّمَ لِلشُّرَاءِ الَّذِينَ مَدَحُوا الْأَفْشِينَ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ
دَرَمٍ جَرَّتْ قَرَقِهَا عَلَى يَدِ ابْنِ أَبِي دَوَادِرٍ ، فَأَعْطَى مِنْهَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ ثَلَاثِينَ
أَلْفًا ، وَأَعْطَى أَبَا تَمَامٍ عَشْرَةَ أَلْفٍ ، قَالَ ابْنُ أَبِي كَامِلٍ : قُلْتُ لِمَى بْنِ يَحْيَى
ابْنَ الْمُنَجَّمِ : أَوْ لَا تَعْجِبْ مِنْ هَذَا الْخَطِّ ، يُعْطَى أَبُو تَمَامٍ عَشْرَةَ أَلْفِ دَرَمٍ
وَإِبْنُ وَهَبٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَيُنْبَهِيهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ : لَئِكَ عِلَّةُ

(١) فِي الْإِفْخَانِي «رَعَفَتْ أَسْنَتُهُ» وَفِيهِ «وَصَمُّ كُوبِهَا»

(٢) مَا أَخُوذُ مِنَ الْحَدِيثِ «الْخَلِيلُ مَعْقُودُ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ»

لا تعرفها . كانت ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان ، فاذلك وصل إلى هذا الحال .

وحدث أحمد بن أبي كامل أيضاً قال : كنا في مجلس ومعا أبو يوسف الكندي ، وأحمد بن أبي قنن ، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب ، فظن عليه ابن أبي قنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أشد شمرأ لنفسه قرأه ووصفه في نصف يوم ، وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ ، وأنه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال ، وإذا أشد شعر غيره حسد ، وإن كان على نبذ عربد عليه ، وإن كان صاحباً عاداه واعتقد فيه كل مكروه ، فقلت له : كلا كما لي صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرني عما أسألك عنه إخباراً منصف ، أيعد متكلفاً من يقول [من الطويل] :

أبى لى إغضاء الجفون على القدى يقينى أن لا عمر إلا مفرج
الأرباب ضائق الفضاء بأهله فيظهر ما بين الأسنه مخرج

أويعد متكلفاً من يقول [من الطويل] :

رأت واضحا في فراق الرأس راعها شريحين مبيض به وبهم
فأمسك ابن أبي قنن ، واندفع الكندي فقال : كان ابن وهيب ثورياً ، فقلت له : من أين علمت ذلك ؟ أكلك على منذهب الثنويه قط ؟ قال : لا ، ولكنى استدلت من شعره على مذهبه ، فقلت : ما ذا ؟ قال : حيث يقول :

* طللان طال عليهما الأمد *

وحيث يقول :

* تفر عن محطين من ذهب *

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره ، من ذكر الاثنين ، فشغلى والله

الضحك عن جوابه ، وقلت له : يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم
ينفذ فيه علمه .

ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين
يديه غلمانا روقة مرذا ، وخدما بيضا فُرَّها ، في غاية الحسن والجمال والنظافة ،
فدهش لما رأى وبقي متحيرا متبلا لا ينطق حرفا واحدا ، فضحك أحمد
منه ، وقال له : ويحك ! مالك ؟ تكلم بما تريد ، فقال [من الكامل] :

قد كانت الأصنامُ وهي قديمةٌ كسرتُ وجَدَعْنِ إبراهيمُ
ولديكَ أصنامُ سُلنَ من الأذى وَصَفَتْ لَهْنُ نَصَارَةٍ ونعيمُ
وَبَنَّا إلى صنمٍ نلوذُ بركنِهِ فقرُّ وأنتَ إذا هُرُزْتَ كرمُ

فقال له : اختر من شئتَ ، فاختر واحدًا منهم ، فأعطاه إياه ، وقال
يمدحه [من الكامل] :

فصَلَّتْ مَكَارِمُهُ عَلَى الْأَقْوَامِ وَعَلَا فَخَارَ مَكَارِمِ الْأَيَّامِ
وَعَلَنَتْ أُمَّهُ الْجَمَالَ كَأَنَّهُ قَرُّ بَدَا لَكَ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
إِنَّ الْأَمِيرَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ أَحَدُ بْنُ هُشَامِ

وحدث محمد بن وهيب ، قال : جلستُ بالبصرة إلى عطار ، فاذا
أعرابية سوداء قد جاءت ، فاشتريتُ من المطار^(١) خلوقا ، فقلت له : تهبها
اشترته لابنتها ، وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت إلى متضاحكة وقالت :
لا ، والله إلا مهابةٌ جيّدا ، إن قامتَ فَنَنَاءٌ ، وإن قَمَدَتْ فَحَصَاةٌ ،

(١) الخلق - بفتح الخاء يزنة صبور - ضرب من الطيب

وإن مَسَّتْ قَطَّاءَةً ، أسفلها كتيب ، وأعلها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتي
تسمون بالقتوت^(١) ، ثم انصرفت وهي تقول [من الرجز] :

إِنَّ الْقَتُوتَ لِلْفَنَاءِ مَضْرُطَّةٌ يَكْرَهُهَا فِي الْبَطْنِ حَتَّى تُثْلِطَهُ^(٢)
فَلَا أَعْلَمُ أَنَّى ذَكَرْتَهَا إِلَّا أَضْحَكُنِي ذِكْرُهَا .

وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلاً الخزاعي قال : أنا ابن قولي [من الكامل] :
لَا تَجْعَلِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَتِ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَأَنْ أَبَا تَمَامٍ قَالَ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي [من الكامل] :

نَقُلُ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتُ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَا لَقْنَهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
فَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ : وَأَنَا ابْنُ قَوْلِي [من المديد] :

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسَنُهُ أَنْ يَعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لَكَ أَنْ تُبْذَى لَنَا حُسْنًا وَلَنَا أَنْ نُعْمَلَ الْحَدَقَا

وحدث أبو ذكوان قال : حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يموده وهو
عليل ، قال : فسألته عن خبره ، فتشكى ما به ثم قال [من الطويل] :

نَفُوسُ الْمَنَآيَا بِالنَّفُوسِ تَشَعَّبَتْ وَكُلٌّ لِمَنْ مَذْهَبِ الْمَوْتِ مَذْهَبُ
نُزَاعٍ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةً ذَكَرِهِ وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعُبُ
وَأَجَالُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْنَا عَلَى غَرَاتِنَا تَتَقَرَّبُ

(١) القتوت : الأفاويه

(٢) في الأغاني « يكرها في البطن حتى تثلطها »

أَتَقِنَ أَنَّ الشَّيْبَ يَنْقَى حَيَاتَهُ وَهُوَ لِأَخْلَاقِ الْخَلْطِيطَةِ يَنْهَبُ (١)
يَقِينُ كَأَنَّ الشُّكَّ أَغْلَبَ أَمْرَهُ عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسِبُ
وَقَدْ دَمَّتِ الدُّنْيَا إِلَى نَعِيمِهَا وَخَاطِبُنِي إِعْجَامُهَا وَهُوَ مُعْرِبُ
وَلَكِنِّي مِنْهَا خُلِقْتُ لَغَيْرِهَا وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهُوَ عِنْدِي مُحَبَّبُ
وَسَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ حَاجَةً فَأَبْطَأَ فِيهَا ، فَوَقَفَ
عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

طُبِعَ الْكَرِيمُ عَلَى وَفَائِهِ وَعَلَى التَّفَضُّلِ فِي إِحَائِهِ
تَغْنَى عَنَائَتُهُ الصَّدِيقَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِاقْتِضَائِهِ
حَسَبُ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ فَكَيْلُ الْكَرِيمِ إِلَى حَيَاتِهِ
فَقَالَ لَهُ : حَسْبُكَ قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مَا أُحِبُّتِ وَالْحَاجَةُ تَسْبِقُكَ إِلَى مِثْلِكَ .
وَمِنْ شِعْرِهِ الْجَيِّدِ قَوْلُهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَيُّ خَيْرٍ يَرْجُو بَنُو الدَّهْرِ فِي الدَّهْرِ وَمَا زَالَ قَاتِلًا لِبَنِيهِ
مَنْ يُعَمَّرُ يُفْجِعُ بِفَقْدِ الْأَحْبَا وَمَنْ مَاتَ فَالْمَصِيبَةُ فِيهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ [مِنَ السَّرِيعِ] :

مَنْ يَتَمَنَّى الْعُمَرَ فَلْيَدْرَعْ صَبْرًا عَلَى . فَقَدْ أَحْبَبَائِهِ
وَمَنْ يُعَمَّرُ يَلْقَى فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ

(١) أَتَى بِالْوَاوِ مِنْ « هُوَ » مُشَدَّدَةً كَمَا جَاءَ بِهَا الَّذِي يَقُولُ :
وَإِنْ لَمَانِي شَهْدَةٌ يَشْتَفِي بِهَا . وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عَلَقَمَ
وَهُوَ مِمَّا يَجِيءُ فِي ضَرُورَاتِ الشَّعْرِ .

شواهد أحوال متعلقات الفعل

شاهد تنزيل
الفعل المتعدي
منزلة اللازم

٤١ - شَجَوْ حُسَّاءَهُ وَغَيِظُ عِدَّاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاغِي

البيت للبحترى ، من قصيدة (١) من الخفيف ، يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ، ويعرض بالمستعين بالله أحمد بن المعتصم ، أولها [من الخفيف] :

لَكَ عَهْدٌ لَدَى غَيْرِ مُضَاعِ بَاتَ شَوْقِي طَوْعاً لَهُ وَنَزَاعِي (٢)
وَهَوًى كَلَّا جَرَى مِنْهُ دَمْعٌ أَيْسَ الْعَاذِلُونَ مِنْ إِقْلَاعِي (٣)
لَوْ تَوَلَّيْتُ عَنْهُ خَيْفَ رُجُوعِي أَوْ تَجَوَّزْتُ فِيهِ خَيْفَ ارْتِجَاعِي
إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي مَدِيحِي :

يهت الوفدُ في أسرة وَجْهِه ساطع الضوء مُسْتَنِيرِ الشَّعَاعِ
من جَهْرِ الْخَطَابِ يُضَعِفُ فُضْلًا عِنْدَ حَالِي تَأْمَلِي وَاسْتِمَاعِ
وبعد البيت ، وهي طويلة .

والشاهد فيه : جمل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص ، وهو هنا « يرى ويسمع » فانه كما قال التفتازاني رحمه الله تعالى نزلها منزلة اللازم : أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تملق بمفعول مخصوص ، ثم جعلهما كنايةتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص ، هو محاسنه وأخباره ، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره ، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يتمتع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعا كل واع ، بل لا يبصر الراى

(١) انظرها في الديوان (٢ : ٨٠ - ٨٢ طبع هندية)

(٢) في الأصول « بات شوقي طوعاً له ويراعى » وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٣) في الديوان « جرى عنه دمع آيس العاذلين »

بلا آثاره ، ولا يسمع الواعى إلا أخباره ، فذكر المزموم وأراد اللزم ، على ما هو طريق الكناية ، ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره ، لما في التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الانبئان بأن فضائله يكفى فيها أن يكون ذو بصرو سمع حتى يعلم أنه أكثفهم بالفضل .

ومثله قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي (١) [من الطويل] :
فلو أن قومى أنطقنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت
يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجماعاً وحسب للألسن عن النطق بمدحهم
والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه ، وهى أنها أجرت أى
شقت لسانه .

ومثله قول طفيل الغنوى (٢) [من الطويل] :
جزى الله خير أجريرة حين أزلت بنا نملنا فى الواطنين فزكت (٣)
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجأوا إلى حجرات أدفات وأظلمت (٤)

(١) استشهد بهذا البيت الشيخ عبد القاهر الجرجاني فى دلائل الإعجاز (١٢٢) ونسبه أيضاً إلى عمرو بن معدى كرب ، ومثل هذا البيت والآيات التى بعده قول جرير بن عطية بن الخطمي :

أمنيت المنى وخلبت حتى تركت ضمير قلبى مستهما

(٢) فى الأصول « المعزى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى دلائل الإعجاز والآيات لطفيل الغنوى يقولها فى بنى جعفر بن كلاب

(٣) فى دلائل الإعجاز « جزى الله عنا جعفرأ حين أزلت » وهو الموافق للفرض الذى قيلت فيه الآيات

(٤) بروى « أدفات وأكنت »

أراد ملتنا وأدفتنا وأظلتنا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مقلوبه بطريق السكتانية .

ترجمة البحري والبحري (١) هو الوليد بن عبيد (٢) بن يحيى ، ينتهي نسبه إلى طيية ، ويكنى أبا عبادة ، وهو شاعر فصيح فاضل ، حسن المشرب والمذهب ، نقي الكلام مطبوع ، وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة ، وجيده منه قليل . وكان ابنه أبو الفوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن ، أنه لما حضره الموت دعا به وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، ففعل ، فأمره بإحراقه . (٣)

وكان البحري يتشبه بأبي تمام في شعره ، ويحذو حذو مذهبه ، وينحور نحوه في البدائع التي كان أبو تمام يستعملها ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويقدمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف : إن جيد أبي تمام خير من جيده ووسطه ورديته خير من وسط أبي تمام ورديته ، وكذا هو حكم لنفسه .
وسئل أبو العلاء الممرى : أي الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحري أم المتنبي ؟
قال : هما حكيمان ، والشاعر البحري .

(١) البحري ترجمة في الأغاني (١٨ - ١٦٧ - ١٧٥) وفي تاريخ ابن خلكان (٣ - ١٦)

(٢) في الأغاني «بن عبيد الله»

(٣) في الأغاني زيادة على ذلك ومم قال له : يابني ، هذا شيء قلته في وقت فشيت به غيظي ، وكافأت به فيجاء فعل بي ، وقد انقضى أربي في ذلك ، وإن بقي وروى ولناس أعقاب يؤرثونهم العداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو مماشك ، لا قائد لك ولا لى فيه . قال : فعلت أنه قد نصحتني واشفق على ، فأحرقته»

وقد شرح الممرى^(١) دواوين الثلاثة ، فسمى شرح ديوان أبي تمام «ذكر»^(٢) حبيب» وشرح ديوان البحتري «عبث الوليد» وشرح ديوان المتنبي «معجز أحمد» وحدث محمد بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحتري — وقد اجتمعا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد ، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله — : أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر ، قال : كلا والله ، إن أبا تمام الرئيس والاساذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن — وكان يكتب به أيضاً — فانك تأتي إلا شرفاً من جميع جوانبك .

وحدث البحتري قال : كان أول أمرى في الشعر ونباهتى أن صرت إلى أبي تمام ، وهو بمحصر ، ففرضت عليه شعري ، وكان الشعراء يمرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي : أنت أشعر من أنشدني ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خلّة ، فكتب إلى أهل معرفة النعمان ، وشهد لي بالخلق في الشعر ، وشفع لي إليهم ، وقال : امتدحهم ، ففرت إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحتري قال : أول ما رأيت أبا تمام أتى دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتي التي مطلعها^(٣)

(١) لم يشرح أبو العلاء ثلاثة الدواوين ، وإنما اختار من كل ديوان منها كلمات أو أبياتاً من كلمات وتكلم عنها ، وقد ينقدها ، وقد طبع من هذه الكتب الثلاثة بكتابه عن البحتري المسمى «عبث الوليد»

(٢) المعروف أن اسم الكتاب «ذكرى حبيب»

(٣) انظرها في الديوان (٢ - ١٤٥) ثم انظر هذه القصّة في الأغاني أثناء ترجمته وفي الموازنة (٦ بتحقيقنا) وفي ابن خلكان (٣ - ٩٧)

أُتِفِقَ صَبٌّ مِنْ هَوَى فَأُفِيقَا أَوْخَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا

فسر بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى ! وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر في مجلسه ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يا فتى ، أما تستحي منى ؟ هذا شعري وتنتحله وتشد بحضرتى ، فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى فسبقنى به إليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأشده أكثر القصيدة حتى شككتى علم الله فى نفسى وبقيت متحيراً ، فأقبل على أبو سعيد فقال لى : يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا ما يفنيك عن هذا ، فجعلت أحلف بكل محرّجة من الإيمان ، أن الشعر لى ، وما سبقنى إليه أحد ، ولا سمعته ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئاً وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقامت منكسر البال أجزّ رجلى ، فخرجت ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل على الرجل ، فقال : الشعر لك يا بنى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعت به إلا منك ، ولكننى ظننت أنك تهاونت بموضى ، فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى ، حتى عرقتى الأمير نسبك وموضعك ، ولوددت أن لاتلد طائفة إلا منك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يقرظنى ، ولزمته بعد ذلك ، وأخذت عنه ، واقتديت به .

ثم إن البحرى اختص بأبى سعيد ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه من بعده ، وراثهما بعد مقتلها وأجاد ، ومراثيه فيها أجود من مدائحه . وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال : من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح ، لا كما قال الآخر .. وقد سئل عن ضعف مراثيه - فقال : كنا نعمل للرجاء ، ونحن الآن نعمل

للوفاء ، وبينما بعد ^(١) .

وكان البحرى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبخلهم على كل شيء .
وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلها جوعاً ، فاذا بلغ منهما الجوع
أتياه يبكيان ، فيرى إليهما بشمن أقواتهما مضيقاً مقترأ ، ويقول : كُلاً ،
أجاع الله أكبادكما ، وأعزى أجلاكما ، وأطال اجتبادكما .

وحدث محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب ، قال : دخلت على البحرى يوماً
فاحتسنى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ
شامي لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام فتقدم ، فأكل معه أكلاً عفيفاً ، فغاضه
ذلك ، ثم إنه التفّت إلى ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هذا
شيخ من بنى المهجم الذين يقول فيهم الشاعر [من الكامل] :

وَبَنُو الْمُهْجِمِ قَبِيلَةٌ مَلْعُونَةٌ حُرُّ الْإِخَى مُتَنَاسِبُ الْأَلْوَانِ ^(٢)
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بَعَانُ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعَانُ
قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ومن شعره يهجو إنساناً في لسانه حبة [من المنسرح] :
أَنْتَ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ مُضْطَرِبُ السَّهْبَةِ وَالْقَدْ ظَاهَرُ الْخَلْفِ ^(٣)

(١) روى أن محمد بن يوسف سأل الخريجي أما يعقوب الشاعر : ما بال
مدائحك في منصور بن زياد خيراً من مراثيه ؟ فقال الخريجي : لأن المدح للرجاء
والمراثي للوفاء ، وبينهما بون بعيد (انظر الوزراء والكتاب للجهمي ٢٦٨)
وستأتى هذه القصة في ترجمة الخريجي صاحب الشاهد رقم ٤٢ الذى بلى هذا

(٢) فى الأغاني « حص اللحي »

(٣) فى الديوان (٢ - ١١٩) « ظاهر الجلف »

ورنة نحت غنة قدرت من هالك البراء ذامر الآلف
 كأن في فيه لقمة عقلت لسانه فالتوى على حنف
 بحريك رأسه تومعه قد قام من عطسة على شرف
 وهو بليغ التشبيه في معناه .

وأشد البحترى شيئاً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه ،
 فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ليس ب طعم ولا معنى .

وقد نظمت هذا لغرض عرض لى فقلت [من المديد] :

رب خذ الشعر من زمر أسمعونا منه ما أضى

مثل طعم الماء ليس له في فم طعم ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتاً آخر في المعنى ، وهو [من الوافر] :

حديث مثل لعق الماء بحتاً وليس للعق بحت الماء طعم
 والبحت - بالثناة فوق - الصرف .

وذكرت بأبيات البحترى في الحبسة ما نظمته قديماً ، وهو [من الرجز] :

إن قال شعراً خلته علكاً قوياً يملك

وإن شدا فصوته صوت دجاج يمك

واجتازت جاريةً بالتموكل معها كوز ماء ، وهي أحسن من القمر ، فقال :
 ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولن هذا الماء ؟ قالت : لستى قبيحة ، قال : صبيه
 في حلتي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترى : قل في هذا شيئاً ، فقال
 [من البسيط] .

ماتورة من رحيق كأسماء ذهب جاءت بها الخور من جنات رضوان

يوماً بأطيب من ماء بلا عطش شربته عبثاً من كف برهان

وحدث أبو الفوث ابن البحرى قال : كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبأً ، فبست إلى بنصف قينة دردى وكتب إلى : دونكها يا بنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط .

وحدث جحظة قال : سمعت البحرى يقول : كنت أتمشق غلاماً من أهل منبج ، يقال له شقران ، فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى ، فقلت فيه - وكان أول شعر قلته - [من مجزوء الرمل] :

نبئت لحية شقرًا ن شقيق النفس بَعْدِي

حللت كيف أتته قبل أن ينجز وعدى

وحدث جحظة قال : كان نسيمٌ غلامٌ البحرى الذى يقول فيه :
[من الطويل] :

دعا غبرني تجرى على الجور والقصد أظن نسياً فارقَ الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه فوا عجباً للدهر فقداً على قد (١)

غلاماً رومياً (٢) ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكنى الناس أمره .

وقد قال ابن نباتة المصرى مشيراً إلى ذلك [من الوافر] :

وغانيةٍ توافقت إذا ما صَبَّوتُ لها بِذا العَقلِ السليمِ

وأعذرُ إن بَسَكَيْتُ على رياضِ بكاءِ البُحرى على نَسيمِ

(١) فى الأغاني « فقد على فقد »

(٢) « غلاماً رومياً » هذا خبر كان فى قوله « كان نسيم الخ »

وحدث الأخص قال : كتب البحرى إلى محمد بن القاسم (١) القمى يستديه
 نبينا ، فبعث إليه مع غلام له أمرد ، فحمله البحرى ، فغضب الغلام غضبا شديدا
 فزن البحرى أنه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه [من المتقارب] :

أبا جعفر كن تحميشنا غلامك إحدى الهنات الدنية
 بعثت إلينا بشمس المدام تضي لنا مع شمس البرية
 فبئت الهدية كن الرسول وليت الرسول إلينا الهدية

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هدية ، فاقطع البحرى بعد ذلك عنه مدة
 خجلا مما جرى ، فكتب إليه محمد بن القاسم [من الطويل] :

هجرت كأن اليرأعقب حشمة ولم أر يرأ قبل ذا أعقب الهجرا
 فقال فيه قصيدة يمدحه [من الكامل] :

إني هجرتك إذ هجرتك حشمة لا الدود يدهيها ولا الإبداء
 أنجلتني بندق يدك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
 وقطعتنى بالبر حتى إننى متوهم أن لا يكون لقائه
 صيلة غدت في الناس وهي قطعة عجب وبر راح وهو جفائه (٢)
 ليواصلنك ركب شعري سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء (٣)

(١) في المطبوعتين « البقى » وكتب بهامش مطبوعة بولاق « في نسخة
 القمرى ، وكلامها تسخيف ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، وهو فيه
 » محمد بن علي القمى « وهو الموافق لما في الديوان (١-٦)
 (٢) في الأغاني « عجا » وهي في الديوان بالرفع كما هنا ، وكلامها صحيح
 في العربية

(٣) في المطبوعتين « يرويك فيه » وأثبتنا ما يوافق الديوان ، ووقع في
 الأغاني رواية البيت هكذا :

لاوصينك ركب شعري سائر نهذى به في مدحك الأعداء

حتى يتم لك الشئاء مُخْلِياً أبداً كما تحت لك النماء^(١)
 فضل تحمدك الملوك الصيدي وأغل تحمدني من الشعراء
 وحدث البحري قال : أنشئت أباً علم شيئاً من شئى فمثل بيت أوس
 ابن حجر [من الطويل] :

إذا مَقْرِمٌ منا ذَرَى حَدَّ نَابِهِ نَحْطُ منا نَلْبُ آخِرَ مُقْرِمٍ^(٢)
 ثم قال لى : نمت والله إلى قصى ، قلت : أعينك بالله من هذا القول ،
 قال : إن عرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيئ منلك ، أما علمت أن خلفه من
 عنوان رأى شبيب بن شيبه وهو بين رهط يتكلم ، قال : يا بنى لقد نعى إلى قصى
 إحسانك فى كلامك ، لانا أهل بيت ما نشأ فىنا خطيب قط إلا ملت القى من
 قبله ، قلت : بل يقيق الله ويحلى فداك قال : وملت أبو علم رجلاً بعد سنة
 وحدث أبو عنبس^(٣) الصيمرى قال : كنت عند المتوكل والبخري
 يشده قوله [من مجزوء الكامل] :

عن أى نفر تَبَنَسِمٍ وبأى طرف تَحْنَمِ
 حتى بلغ إلى قوله فيه :

قل للخليفة جعفر السموكل بن المنعم
 والمجتدى ابن المجتدى والمنعم ابن المنعم
 اسلم لدين محمد فاذا سلمت قد سلم

(١) فى الديوان « كما تحت لى النماء »

(٢) وقع هذا البيت فى المطبوعتين :

إذا مقدم منا ذوى حد نابه نَحْطُ منا ناب آخر مقدم
 وهو تحريف فى عدة مواضع ، وفى الأغاني « مقدم » فى الموضعين

(٣) فى الأغاني « أبو العنبس » بالآلف واللام

قال : وكلن الحترى من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في شينه
 مرة جاثيا ، ومرة القهقري ، و بهز رأسه مرة ، ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه
 ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول :
 مالكم لاتقولون لى أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر
 المتوكل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمع ما يقول يا صيمرى ؟ قلت :
 بلنى ياسيدى ، فرنى فيه بما أحببت ، قال : بحيانى أهجه على هذا الروى الذى
 أنشدنيه ، قلت : تأمر ابن حدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس
 وحضرنى على البديهة [من مجزوه الكامل] :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الرَّحِمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ (١)
 يَابْجَثْرِي حَنَارَ وَيَحْمُكَ مِنْ قَضَاقِضَةٍ ضَغَمَ
 فَلَقَدْ أُمَلَّتَ بِوَالِدَتَيْكَ مِنَ الْمِجَابِ سَيْلَ الْعَرَمِ
 فَبَأَى عَرِضِي لَتَمْتَصِمَ وَبِهِنَّكَ جَفَّ الْقَلَمُ
 وَاللَّهُ حَلْفَةَ صَاحِقِي وَبَقِيرِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمِ
 وَبِحَقِّ جَعْفَرِي الْأَمَا مِ ابْنِ الْأَنَامِ الْمُتَعَصِّمِ
 لِأَصِيرِنِكَ شَهْرَةَ بَيْنِ الْمَسِيلِ إِلَى الْعَلَمِ

في أبيات أخر من هذا النمط (٢) ، قال : فخرج مغضباً يعدو ، وجعلت
 أصبح به :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الرَّحِمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ

(١) في المطبوعتين «أدخلت رأسك في الرحم» محرفاً ، وما أثبتناه موافق
 لمسا في الأغاني

(٢) اقرأ تمامها في الأغاني (١٨ - ١٧٣)

والتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غلب عنه ، وأمر لي بالصلاة التي أعت

البحترى .

وقال أحمد بن يزيد ^(١) : حدثني أبي ، قال : جاءني البحترى فقال لي : يا أبا خالد ، أنت عشيري وابن عمي وصديقي ، وقد رأيت ما جرى علي ، أفترى أني أخرج إلى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، قلت له : لا تفعل من هذا شيئاً فإن لي علماً بأن الملوك تمنح بأكثر من هذا ، ووضبت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك ، فقال له نمحو من قولي ، ووصله وخلع عليه ، وسكن منه ، فسكن إلى ذلك .

وقد ذكرت بحال البحترى في إنشاده فصلاً ذكره صاحب بن عباد في وصف أبي الحسن المنجم الشاعر فأحببت إثباته وهو ^(٢) .

لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمري يرثيه [من السريع] :
يا وَحْشَةَ الدنيا على جعفر على الهمام الملك الأزهر
على قاتل من بني هاشم بين سرير الملك والمنبر
والله رب البيت والشعر والله لو أن قتل البحترى
لثار بالهشم له ثائر في ألف بقل من بني عض خرى ^(٣)
يقدمهم كل أخى ذلة على حمار دبر أعور

(١) في الأغاني «أحمد بن زياد»

(٢) سقط هذا الفصل من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) في المطبوعتين « من بني عصخر » وقال مصحح مطبوعة بولاق في هامش النسخة : « قوله عصخر كذا في النسخ التي بأيدينا ولم أقف عليه ، وقد أثبتنا ما في الأغاني »

سنة ثلاث - وقيل : سنة أربع ، وقيل : خمس - وثمانين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! .

٤٢ - ولوشئتُ أن أبكى دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ
البيت للخريجي^(١) من قصيدة من الطويل يرى بها أبا الهيثم ، وأولها :
قضى وطراً منك الحبيب المودعُ وحلّ الذي لا يستطاع فيدفعُ
إلى أن قال فيها :

عامد ذكر
مفعول فعل
الشبهة

وأعددتُهُ ذخراً لكل ملّةٍ وسهمُ الرزايا بالذخائر مؤلّم^(٢)
وإنّ وإن أظهرتُ منى جلادة وصانمتُ أعدائى عليه لموجعُ
ملككتُ دموع العين حتى رددتها إلى ناظرى إذ أعينُ القلب تدمعُ
وبعد البيت .

والساحة : الفضاء بين الدور .

والشاهد فيه : ذكرُ المفعول - وهو « دماً » - لكون تعلق فعل المشبهة به غريباً .

وقد تقنّن الشعراء في بكاء الدم ، وتشعبت مسالكهم في إيراد ، فن
ذلك قول أبى القاسم بن كيكس [من الطويل] :
بكيتُ دماً حتى بقيتُ بلا دمٍ بكاء فتى فردٍ على سكنٍ فردٍ

إشارة إلى بكاء
الدم

(١) وهو من شواهد دلائل الاعجاز (ص ١٢٦) وفي الأصول « الخريجي »

بالزاي محرفاً

(٢) هذا البيت وحده في الأغاني (١٨ - ١١٤) منسوباً للخريجي في رثاء أبى الهيثم

أَبْكَى الَّذِي أَهْوَاهُ بِالْدمْعِ وَحْدَهُ لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الدَّمْعِ فِيهِ إِذَا عَيْنِي
 وَقَوْلُ الشَّرِيفِ الرُّضَى [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 وَيَوْمَ وَقَضَا لِلْوَدَاعِ فَكَلْنَا يَمُدُّ مَطِيعُ الشَّوْقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمًا
 فَصَرَتْ قَلْبَ لَا يَنْفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنِي مَتَى اسْتَمَطَرَتْهَا أَمْطَرَتْ كَمَا
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ مِهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 بَكَيْتُ عَلَى الْوَادِي غَرُمْتُ مَاهَهُ وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمَاهُ أَكْثَرُهُ دُمٌّ
 وَقَوْلُ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَاخِرَزِيِّ [مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ] :
 عَجِبْتُ مَنْ دَمَعَتْهُ وَعَيْنِي مِنْ قَبْلِ بَيْنٍ وَبَعْدِ بَيْنٍ
 قَدْ كَانَ عَيْنِي بِغَيْرِ دَمْعٍ فَصَارَ دَمْعِي بِغَيْرِ عَيْنٍ
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُؤَلِّفِهِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ [مِنْ السَّرِيعِ] :
 أَوَاهُ مَنْ دَمَعَ بِلا عَيْنٍ يَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ مِنْ عَيْنِي
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 وَلَمَّا التَّقِينَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً وَقَدَرَا عَاصِرِي لَدَى مَوْقِفِ الْبَيْنِ
 أَنْتَ بَصِيحَاحُ الْجَوْهَرِيِّ دَمُوعُهَا نَمَارَضَتْ مِنْ دَمْعِي بِمَخْتَصَرِ الْعَيْنِ^(١)
 وَلِأَبِي الْفَتْحِ الْبَكْتَمَرِيِّ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :
 قَالُوا بَكَيْتَ دَمًّا فَقُلْتُ مَسَحَتْ مِنْ خَدَيَّ خُلُوقًا
 أَبْصَرْتُ لَوْ لَوْ ثَغْرِهِ فَتَنَرْتُ مِنْ جَنَى عَقِيقًا
 لَوْ لَا التَّمَسَّكَ بِالْهَوَى لَحَلْتُ مِنْ دَمْعِي غَرِيقًا
 وَلِأَبْنِ حَمْدِيسٍ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

(١) صحاح الجوهري: فيه تشبيه الدمع بالؤلؤ، والتورية بكتاب الصحاح الذي ألّفه الجوهري، كما أن في قوله «مختصر العين» تورية أخرى بمؤلفه يزيد بن مختصر فيه كتاب العين للخليل بن أحمد

غَشِيَتْ جِجَرَها دُمُوعِي حُجْرًا وَهِيَ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى تَتَحَدَّرُ
فَاتَزَوَتْ بِالشَّبِيقِ خَوْفًا وَظَنَّتْ حَبًّا رَمَانٍ صَدْرِها قَدْ تَنْثُرُ
قَلْتُ عِنْدَ اخْتِبَارِها بِيَدِها نَمْرًا صَانِعَ جِيبِ مَهْدُرُ
لَمْ يَكُنْ مَا ظَنَنْتُ حَقًّا وَلَكِنْ صِبْغَةَ الْوَجْدِ صَبِغَ دُمُوعِي أَحْمَرُ
وهو ينظر إلى قول المنازى يصف وادياً [من الوافر]:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مَضَاعِفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حَنُوءَ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَقْنَا عَلَى ظِلِّ زَلَالٍ أَرْقَى مِنَ الْمَدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصَدُّ الشَّمْسَ أَتَى وَاجِهَتُنَا فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ
يُرْوِعُ حَصَاكَ حَالِيَةِ الْمَذَارَى فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النُّظُمِ
أَرَدْتُ الْبَيْتَ الْآخِرَ .

وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الأبيات هجواً في حمام
هَلَّ [من الوافر]:

وَحَمَامٌ قَلِيلُ الْمَاءِ دَاجٍ وَفِيهِ أَلْفُ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
وَلَا غَيْرَ الْمَرْأَمِ مِنْ رَفِيقٍ وَلَا غَيْرَ الْمُدَافِعِ مِنْ حَجِيمِ
طَلَبْنَا مَاءَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حَنُوءَ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَقَطَّنَا بَرَشْشِجٍ بَعْدَ رَشْجٍ كَصَرَ مِنْ أَبَارِيقِ النَّدِيمِ
يَصَدُّ الْحَرَّ عَنَّا فِي شَتَاءٍ فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ
يُرْوِعُ بَهْلُولَهُ مَنْ حَلَّ فِيهِ فَيَحْسِبُ أَنَّهُ هَوْلُ الْجَحِيمِ
رجع إلى وصف النعم .

ولأبي بكر الخلالدي فيه [من البسيط]:

بكى إلى غداةَ البين حين رأى دمعى يفيض وحالى حالُ مبهوت
فدمعتى دُوبُ ياقوت على ذهب ودمعه دُوبُ دُرٌّ فوق ياقوتِ
وللأواءِ الدمشقى فى ممناه [من الخفيف] :

كلُّ دمع فبالتكافِ يَجْزِى غيرُ دمع الحبِّ والمهجور
وَرَدَّ البينُ دمع عيني فأضحى كعقيق أذيب فى بلُور
وله أيضاً فى مثل ذلك [من الكامل] :
فامزج بمائك ناركاً سَكَّ وأسقى فلقد مزجتُ مدامعى بدمائى
ولابن نباتةَ المصرى [من الخفيف] :

يا غزالاً رنا وغصناً تنى وهلالاً سما وصباحاً أنارا
كان دمعى على هواك جليناً فأحالتُهُ نارُ قلبى نُضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين :

حليّة لا أعيرُها للحبِّ شغلَ الحلى أهله أن يعارا
ولا بن قلاقس [من الطويل] :

مضى مهم قلبى فله دَرُّهُ لقد سرّنى إذ مر مع من يَسْرُهُ
وأطولُ من هجر الحبيبِ وصَبُونى ويوم النوى لىلى وهمى وشعرُهُ
وليس دماً ماء الجُفونِ وإنما فوادى بماء الدمع قذابَ جَرُّهُ
وما أحسن قول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من المنسرح] :

ظَلْتُ به والدموعُ جاريةً أَقْبَلُ اخذُ منه والليثا
تقطرُ ذراً حتى إذا وَرَدَتْ روضة خديه عُدْنَ ياقوتا
وقوله أيضاً [من السريع] :

ليس ليوم البينِ عندى سوى مدامعٍ تجميعها سَكْبُ

كأَنَّمَا فَضَّ بِأَجْنَتِهَا رُمَانَةً فَأَنْتَرَّ الْحَبَّ
وَالْمَطْوَعَى أَيْضاً [من البسيط] :
لَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ عَيْرُ النُّوَى أَصْلًا وَشَقَّتْهُمْ صُرُوفُ الْبَيْنِ تَشْتِيْنَا
جَلَلْتُ أَنْظِيفِي وَصْفَ النُّوَى دُرًّا وَالْعَيْنُ تَنْتَرُّ مِنْ دُمْعَى يَوَاقِيْنَا
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمَسْعُودَى [من المجث] :

قَالَتْ عَهْدُكَ تَبْكِي دَمًّا حِذَارَ التَّنَائِي
فَالْعَيْنُكَ جَلَدَتْ بَعْدَ السَّمَاءِ بِمَاءِ
قَلَّتْ : مَا ذَاكَ مِنِّي لَسَاوِيَّةٍ وَعَزَاءِ
لَكِنْ دُمُوعِي شَابَتْ مِنْ طُولِ عُمُرِي بِكَأَيِّ
وَهُوَ يَشَبُّ قَوْلَ الْقَاتِلِ أَيْضاً [من الكامل] :

قَالُوا وَدُمْعَى قَدْ صَفَا لِفِرَاقِهِمْ إِنَّا عَيْدَنَا مِنْكَ دَمًّا أَحْمَرًا
فَأَجَبْتَهُمْ إِنْ الصَّبَابَةُ عُمُرَتْ فَيَكُمُ وَشَابَ السَّمْعُ لَمَّا عُمُرًا
وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ [من الطويل] :

وَقَاتِلِي مَا بَالُ دُمُوعِكَ أَيْضًا قَلَّتْ لَهَا يَأْمِي هَذَا الَّذِي بَقِيَ
أَلَمْ تَمْلِي أَنْ النُّوَى طَالَ عُمُرُهُ فَشَابَتْ دُمُوعِي مِثْلَ مَا شَابَ مَقَرِّي
وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ ابْنِ الْغَوِيَّةِ [من البسيط] :

كَانَتْ دُمُوعِي حَرًّا قَبْلَ بَيْنِهِمْ فَذَنَّاؤًا قَصَّرَتْهَا لَوْعَةُ الْحَرِّ
قَطَفْتُ لِلْحَظِّ وَرَدًّا مِنْ خُدُودِهِ فَاسْتَقَطَرَ الْبَعْدُ مَاءَ الْوَرْدِ مِنْ حَدَقِي

وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الشَّهْرِذِيِّ بِأَبِي دَلْفِ الْكَاتِبِ وَيُرْوَى لِعَبْدِ الْكَافِي
الْبَهْدِيِّ الْمَارُونِيِّ [من البسيط] :

يَا مَنْ يَقْرُبُ وَصَلِي مِنْهُ مَوْعِدُهُ لَوْلَا عَوَاقِقُ مِنْ خُلْفٍ تُبَاعِدُهُ

لأنه بن دموعي البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعد
وقول أبي القاسم بن العطار بديع ، وهو [من الكامل] :
ما أدمى تنبل سحاً إنما هي مهجتي سالت من الآفاق
وهذا الباب واسع جداً ، وفيما أوردناه مقنع .

وأبو الهيثم ^(١) المرنئ هنا : هو عامر بن عمارة بن خريم ، وهو والد المحدث ترجمة أبي الهيثم
موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوى كنيته ، وكان أمير عرب الشام وزعيم
قيس وفارسها المشهور ، وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى السكائنة بدمشق
بين القيسية والنجانية في دولة الرشيد ، وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن
يحيى البرمكي : ليس لهذا الأمر إلا أنا وأنت ، فإما أن تتوجه أو أتوجه أنا ، ففضى
جعفر إلى الشام ، وأخذ القن ، وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه ،
فظربه وحمل إليه مقيلاً ، فلما مثل بين يديه أنشده أبياتاً يستعطفه بها ، منها
[من الطويل] :

فأحسن أمير المؤمنين فأنه أبي الله إلا أن يكون لك الفضل
فن عليه وعفا عنه .

ومن شعره في أخيه [من الطويل] :

سأبكك بالبيض الرقاق وبالقنا فان بها ما يطلب الماجد الوترا ^(٢)
ولست كمن يبكي أخاً بعيرة يعصرها في جفن مقلته عصراً ^(٣)

(١) لأبي الهيثم عامر بن عمارة بن خريم الناعم ترجمة في تاريخ دمشق
(٧-١٧٦) وفيها الآيات التي يذكرها المؤلف هنا ، وفيه حديث الفتنة مفصلاً

(٢) في تاريخ دمشق * فان بها ما يدرك الطالب الوترا *

(٣) في تاريخ دمشق * يعصرها من ماء مقلته عصراً * وذكر بيتا بين
هذا والذي بعده ، وهو :

ولكنني أشفي القواد بغارة ألهب في قطري كتابها جراً

وإن أناساً ما تفيض دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظهرا
وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .

ترجمة الخريبي قناع
وانخريبي هو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبي يعقوب ، وهو من المعجم ، وكان
مولى ابن خزيمة^(١) ، الذي يقال لأبيه خريم الناعم ، وهو خريم بن عمرو بن بني
مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان ، وكان لخريم ابن يقال له عمارة ، ولعمارة ابنان
يقال لهما عثمان وأبو الهيثام ، وفي عثمان هذا يقول الخريبي [من الطويل] :
جَزَى اللهُ عَثْمَانَ الْخُرَيْبِيَّ خَيْرَ مَا جَزَى صَاحِبًا جَزَلَ الْمَوَاهِبَ مُفْضِلًا
كَفَى جَعْوَةَ الْأَخْوَانِ طُولَ حَيَاتِهِ وَأَوْرَثَ مِمَّا كَانَ أُعْطِيَ وَأَخْوَلَا
وكان عظيم القدر ، وأحد القواد . وعنى الخريبي بعدما أسن ، وكان يقول في
ذلك ، فنه قوله [من المتقارب] :

فَإِنْ تَكُ عَيْنِي خَبَا نَوْرُهَا فَكَمْ قَبْلَهَا نَوْرُ عَيْنٍ خَبَا^(٢)
فَلَمْ يَلَمْ يَلَمْ قَلْبِي وَلَكِنَّمَا أَرَى نَوْرَ عَيْنِي إِلَيْهِ سَرَى
فَأَسْرِجْ فِيهِ إِلَى نَوْرِهِ مِرَاجًا مِنَ الْعِلْمِ يَشْفِي الْعَمَى
وأخذ هذا من قول جبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان
عنى فقال [من البسيط] :

إِنْ يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرُهَا فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نَوْرُ
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي صَدْرِي كَالسَّيْفِ مَانُورُ

(١) ابن خريم هذا هو عمارة والد أبي الهيثام ، وخريم الناعم جد أبي
الهيثام المزي ، والخريبي منسوب إليه . وفي الأصول «خريم» بالزاي في جميع
المواضع ، وهو تحريف

(٢) في الأصول «نور عيني خبا» محرفاً بزيادة الياء

وكن أبو يعقوب الخريزي متصلاً بمحمد بن منصور بن زيد كاتب البرامكة ،
وله فيه مدائح جواد ، ثم رثاه بعد موته ، قيل له : يا أبا يعقوب ، مرأيتك لآل
منصور بن زيد أحسن من مدائحك وأجود ، قال : كنا يومئذ نعمل على الرجل^(١)
ونحن الآن نعمل على الوفاء ، وبينهما يوم بعيد .

وهو القائل في عمى عينيه [من المنسرح] :

أضنى إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عن مجيبي
أريد أن أعذل السلام وأن أفضل بين الشريف والهون
أسمع مالا أرى فأكره أن أخطئ والسمع غير مأمن
لله عيني التي تجعت بها لو أن دهرًا بها بواتني
لو كنت خبرت ما أخت بها تعمير نوح في ملك قارون
حق أخلأ أن يعودوني وأن يمزوا عيني ويكوني
وهو القائل أيضاً [من الوافر] :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فانَّ البعض من بعض قريب
يمتني الطبيب شفاء عيني وهل غير الله لها طبيب
ومن جيد شعره قوله [من البسيط] :

الناس أحلامهم شتى وإن جيلوا على تشابه أرواح وأجساد
للخير والشر أهل وكلوا بهما كل له من دواعي نفسه هادي
منهم خليل صفاء ذو محافظة أرمى الوفاء أواخيه بأوتاد
ومثمر الغدير محنى آزاله على سريرة غمر غلها بادي
مساكن خدع جم غوائله يبدى الصفاء ويخفى ضربة الهادي
يأتيك بالبغي في أهل الصفاء ولا ينفك يسمى بأصلاح لافساد

(١) أحسب في العبارة قلباً

ومن جِدِّ شعره أيضاً قوله [من الطويل] :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رحله وَبُحْبُوبُ عِنْدِي وَالْحُلُّ جَدِيدُ
وَمَا تَلْصَبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ
وهو القائل [من الطويل] :

وَلِنْ أَشَدُّ الدُّسِّ فِي الْحَشْرِ حَمْرَةً لِمُورَثُ مَالٍ غَيْرُهُ وَهُوَ كَاسِيُهُ
كَفَى سَهْمًا بِالْكَهْلِ أَنْ يَنْتَبِعَ الصَّبَا وَأَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ عَائِيهِ
وهو القائل أيضاً [من السريع] :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْهُمَا عَرْسُهُ مَنَاصِبًا فِيهَا لِرَيْبِ الظُّنُونِ
أَوْشَكَ أَنْ يُغْرِبَهَا بِالَّذِي يَخَافُ أَنْ يُبْرِزَهَا لِلْعَيْنِ
حَسْبَكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا مِنْكَ إِلَى عَرَضٍ صَحِيحٍ وَدَيْنِ
لَا تَطْلُعُ مِنْكَ عَلَى رَيْبَةٍ فَيَتْبَعُ الْقُرُونُ حَبْلَ الْقَرْنِ

٤٣ — وَلَمْ يَبْقَ مِثْلُ الشُّوقِ غَيْرَ تَفَكُّرِي

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُبْكِي بَكَيْتُ تَفَكُّرًا

مد فحصر
ال المتبنة
ال القرينة

البيت لأبي الحسن علي بن أحمد الجوهري ، من قصيدة من الطويل .

والشوق : نزاع النفس وحركة الهوى

والشاهد فيه : أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول ،

لأن المراد بالبكاء الأول في البيت البكاء الحقيقي ، لا الفكري ، فكأنه يقول :

أفنانِي الشوق فلم يبق مني غير التفكير ، فلو شئت بالبكاء وعصرت عيني ليسيل

دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكير ، فالبكاء الذي أراد إيقاع المشينة عليه

بكاء مطلق مبهم غير مُعَدَّى إلى الفكر البتة ، والبكاء الثاني مقيد مُعَدَّى إلى

النفسك فلا يصاح تفسيره الأول وبياناً ، كذا قاله التفنازاني نقلاً عن
دلائل الإعجاز^(١) .
والجوهري هو^(٢) .

شاهد حذف
الفعول لدفع
توهم غير المراد

٤٤ - وَكَمْ ذُذَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَدِيثٍ
وَسَوْرَةٍ أَيَّامٍ حَزَزَنْ إِلَى الْعَظَمِ
البيت للبحترى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح أبا الصقر^(٣) ، وأولها :
أَعْنِ سَفْعِ يَوْمَ الْأَيْبَرِ أَمْ حَلِمَ
وَمَا يُتَذَرُ الْمَوْسُومُ بِالسَّيْبِ أَنْ بُرَى
تَحْتَبِرُ أَيَّامِي الْحَدِيثَاتُ أَنِّي
وَأَوْلَمْتُ بِالْكَتَائِنِ حَتَّى كَأَنِّي
فَأَنْ تَلْقَى نِصْوَ الْعِظَامِ فَأَمَّا
وهي طويلة ، فمنها في المديح :
كَأَنَّكَ مِنْ جِذَمٍ مِنَ النَّاسِ مُفَرَّدٍ
كَأَنَّكَ عَدُوٌّ مُلْتَقَى مَا تَقَارَبَتْ
وبعد البيت ، وبعده :
أَحَارِبُ قَوْمًا لَا أَسْرُ بِسُوءِهِمْ
وَلَكِنِّي أَرْمِي مَنْ النَّاسِ مِنْ تَرْمِي

(١) اقرأ عبارة الشيخ في دلائل الإعجاز (١٢٨) عن بيت الشاهد

(٢) سقطت ترجمة الجوهري من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) ارجع إليها في الديوان (٢ - ٣٣٦ مصر)

(٤) في الديوان • تحبرني أيامي الحديث •

والذود : الطرد والدفع . والتحمل : تكليف الأمر المشق^(١) ، يقال :
تحمل على فلان ، إذا كلفه مالا يطاق . وسورة الأيام : شدتها وصولتها
واعتداؤها . والحز : القطع
، الشاهد فيه : حنف المفعول لدفع توم إرادة غير المراد من الكلام ابتداء
وهو هنا « اللحم » إذ لو ذكر لتوم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته إليه ،
فترك دفعا لهذا الوهم .
وتقدم ذكر البحترى قريباً .

٤٥ — قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّؤِّ دَدٍ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا
البيت للبحترى ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها المعتز لدين الله^(٢) وأولها:
إن سير الخليلِ حين استَقَلَّ كَانَ عَوْنًا لِلدِّمْعِ لَمَّا اسْتَهْلَا
فَالنَّوَى خُطَّةً مِنَ الْهَجْرِ مَا يَنْسِفُكَ يَشْجِي بِهَا الْحُبُّ وَيَبْلَى^(٣)
فَأَقْلًا فِي غُلُوةِ الْيَوْمِ إِنِّي زَائِدٌ فِي الْغَرَامِ إِنْ لَمْ تُقِلَّا
وهي طويلة ، فيها في المديح :
لَمْ يَزَلْ حَقُّكَ الْمُقَدَّمُ يَمْحُو بِاطِلَ الْمُسْتَعَارِ حَتَّى اضْمَحَلَا
وبعد البيت ، وبعده :
أَنْتَ أَنْدَى كَفَاءً ، وَأَشْرَفُ أَخْلَا قَا ، وَأَزْكَى قَوْلَا ، وَأَكْرَمُ فِعْلَا
يمرض بدم المستعين .

(١) الصواب أن يقول « تكليف الأمر الشاق »

(٢) أقرأها في الديوان (٢ - ١٧٩ مصر)

(٣) في الديوان « والنوى خطة »

والسودد، بالهمز : السيادة . والمجد : نيل الشرف والكرم ، أولاً يكون إلا
بالآباء ، والمكارم : فعل الكرم ، والمثل : الشبه .
والشاهد فيه : حذف المفعول لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع
الفعل على صريح لفظ المفعول ، إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعاً
عن إيقاعه على ضميره ، وإن كان كناية عنه ، لأنه لو قال « قد طلبنا لك مثلاً »
لناسب أن يقول فلم نجده ، وفيه تنويع غرض إيقاع نفي الوجدان على صريح
لفظ المثل ، لكمال العناية بعدم وجدانه ، ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة في
قوله [من الوافر] :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا
فانه أعمل الفعل الأول الذي هو « أمدح » في صريح لفظ اللثيم ، لا الثاني
الذي هو « أرضى » ، إذ كان غرضه إيقاع نفي المدح على اللثيم صريحاً ،
دون الارضاء

ويموز أن يكون سبب حذف المفعول : ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له
مبالغة في التأدب ، إذ التصريح بطلب المثل يُجَوِّز وجوده ، لأن طاب العاقل
مبني عليه .



شواهد القصر

٤٥ — أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَّارُ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

البيت للفردق ، من قصيدة من الطويل ، وسببها أن نساء بني مجاشع بلغن حُشْ جريرين ، فَأَتَيْنَ الفردق وهو مقيد ، وقد تقدم في ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جرير عورات نسائك فلجبت شاعر قوم ، فأحفظنه ، فك القيد ، وقال ^(١) :

أَلَا اسْتَهْزَأْتُ مَنِي سُوَيْدَةَ إِذْ رَأَيْتُ أُسِيرًا يَدَانِي خَطُوهُ حَلَقُ الْجَهْلِ ^(٢)
وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْوَسْكَاقَ أَشَدُّهُ إِلَى النَّارِ قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ
لَعَمْرِي لَنْ قَيَّدْتُ نَفْسِي لِطَالِمَا سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمُطِيَةَ فِي الْجَهْلِ ^(٣)
ثَلَاثِينَ عَامًا مَا أَرَى مِنْ عِمَايَةِ إِذَا بَرَقَتْ إِلَّا أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي ^(٤)
أَتَتْنِي أَحَادِيثُ الْبُعَيْثِ وَدُونَهُ زُرُودُ فَشَامَاتُ الْعَقِيقِ مِنَ الرَّمْلِ ^(٥)
قُلْتُ : أَظُنُّ ابْنَ الْخَلْبِيَّةِ أَتْنِي غَفَلْتُ عَنِ الرَّامِي الْكِنَانَةَ بِالنَّبْلِ ^(٦)
فَأَنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ فَمَا لِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مَن شَغَلِ ^(٧)
وبعد البيت ، وبعده :

(١) اقرأها في الديوان (٧١١ مصر)

(٢) يروى «ألا هزمت منى هنيذة» وهنيذة : اسم امرأة ، وفي الديوان « أن رأيت »

(٣) في الديوان « وأوضعت المطية للجهل »

(٤) في الديوان « إلا شددت لها رحلي »

(٥) في الديوان « فشامات الشقيق إلى الرمل »

(٦) في الديوان « شغلت عن الرامي »

(٧) في الديوان « فما لي عن أحساب قومي »

ولو ضاع ما قالوا ازرع مثلاً وجدتهم شياً حاكاً على القالى من الحسب الجزل
وهى طويلة .

والذمار - بكسر المعجمة - ما يلزمك حفظه وحمايته . والأحساب : جمع
حَسَب ، وهو ما يُعد من مفاخر الآباء ، أو هو المال أو الدين ، أو الكرم أو الشرف
فى الفعل ، أو الشرف الثابت فى الآباء ، وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء
له شرفاء ، بخلاف المجد كما تقدم .

ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب [من السريع] :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قَطَرَ الفارس إلا أنا

والشاهد فيه : صحة انفصال الضمير مع « إنما » إلا أنه لما كان غرضه
أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصل الضمير ، وهو « أنا » ، وأخره إذ لو قال
وإنما أَدافع عن أحسابهم ، لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها ،
وليس هذا معناه ، بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره .

وجري^(١) هو ابن: عطية بن الخطّاف ، وهو لقبه ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة^(٢) بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة ، ينتهي نسبه لنزار ، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبمدها هاء ساكنة ، وهى المرة الواحدة من الحزر وهو والفردق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدرّكوا الجاهلية جميعاً ، وختلف في أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى ، والفردق بزهير ، والأخطل بالنابغة وقد حكم فروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :
 ذهب الفردقُ بالفخار ، وإنما حلّو الكلام ومروه لجري
 ولقد هجأناه ضاً أخطل تغلبير وحوى اللهى بمدحه المشهور^(١)
 كلُّ الثلاثة قد أبرّ بمدحه وهجاؤه قد سار كلّ مسير
 فهو كما نراه حكم للفردق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر لجرير .

وقال أبو العلاء بن جرير العنبري ، وكان شيخاً قد جالس الناس : إذا لم يحمى الأخطل سابقاً فهر سكّيت ، والفردق لا يحمى سابقاً ولا سكتنا ، وجري يحمى سابقاً ومصلياً وسكتنا
 وحدث مولى لبني هاشم قال : امترى أهل المجلس في جرير والفردق أيهما

(١) نجد ترجمة جرير في الأغاني (٧ : ٣٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن قتيبة (٢٨٣)

(٢) في الأصل « بن سلم » وأثبتنا ما في الأغاني
 (٣) اللهبي : المطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألتني عن شيء حتى نادى : يا نَوَّار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابغى بدمهم فاشترى لهماء ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعز ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال : قتله الله فما أحسن نأجيته ^(١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكي المعجوز على شبابه ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرَّوه فوجدوه عند الهراش نابجا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم لقيت القومَ كلهمُ غضابا ^(٢)
وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأصوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آبنا ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، فأقبل جرير علينا ، وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأصوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العينُ قرَّتْ
فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفقر ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأصوص يرمي بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكة

(١) في الأغاني « فما أخشن نأجيته » ولعله محرف عما هنا ، ونأجيته :
مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن
(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

٤٦ - أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي *

قائله امرؤ القيس بن حجرٍ السكندی ، من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة ، وقيله :

وليلٍ كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع المومر لينلى
فقلتُ له لما تَطَطَّى بصلبه وأردفَ أعجازاً وناءً بكل كل
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي بصبح وما الاصباحُ منك بأمثل
فيالك من ليلٍ كأن نجومه بكل مفار القتل شدتْ يذبل
والاصباح : الصبح ، وهو الفجر أو أول النهار . والانجلاء : الانكشاف ، ومعناه أنه تمى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأمثل منك عندى ، لاستوائهما في مقاساة المومر ، أو لأن نهاره يُظلم في عينه لتوارد المومر ، فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، لأنه لا يقدر عليه ، لكنه يتمناه تخلصاً مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلةَ كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقها ، فلها يحمل على التمنى دون الترجى .
والشاهد فيه : استعمال صيغة الأمر للتمنى .

وقد أخذ الطرِّ مآح هذا البيت وغير قافيته ، فقال [من الطويل] :
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبِحْ بيومٍ وما الاصباحُ منك بأزوح
وما أحسن قول أبي العلاء المعرى في طول الليل [من الطويل] :
وليَّيْنِ حالٍ بالكواكب جَوَزُهُ وآخرٌ من حَلَى الكواكب عاطلٌ
كأن دجاءَ الهجر والفجر موعِدُهُ بوصلٍ وضوء الصبح حبٌّ ماملٌ
دطعتُ به بجرّاً يعبُّ عِبابُهُ وليسَ له إلا التبليجُ ساحلٌ
وللؤاء الدمشقى فيه أيضاً [من مِخْلَع البسيط] :

بارى طول
الليل

أَطَالَ لَيْلُ الصُّدُودِ حَتَّى أَيْسْتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّهُ إِذْ دَجَا غَرَابٌ قَدْ حَمَنَ الْأَرْضَ بِالْجَنَاحِ

وما أحسن قول الخطيرى [من البسيط] :

ثَابِتٌ ذَوَائِبُ صَبْرِي يَا مُعَذِّبِي فِي لَيْلَتِي وَعَذَارُ الْأَيْلِ لَمْ يَنْشَبِ
وَدُونَ صُبْحِي سِتْرٌ مِنْ زُمُرَةٍ مُسْمَرٌ بِسَامِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء [من الطويل] :

تَرَاهُ كَلَّكَ الزَّمَجُ مِنْ فُوطٍ كَفَرِهِ إِذَا رَامَ مَشْيًا فِي تَبَخُّرِهِ أَنْطَا
مُطَلًّا عَلَى الْآفَاقِ وَالْبَدْرِ تَاجُهُ وَقَدْ عُلِقَ الْجُوزَاءُ فِي أَذُنِهِ فُوطَا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضاً [من الكامل] :

وَلَرْبُ لَيْلٍ تَاهَ فِيهِ نَجْمُهُ فَتَقَطَعَتْ سَهْرًا فُطَالٌ وَعَسَمَا
وَسَالَتْهُ عَنْ صُبْحِهِ فَأَجَابَنِي لَوْ كَانَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ تَنَفُّسَا

ومثله قول الآخر [من المجث] :

مَاتَ الصَّبَاحُ بِلَيْلٍ أَحْبَبْتُهُ حِينَ عَسَمَسَ
لَوْ كَانَ لِلَّيْلِ صُبْحٌ يَمِيشُ كَانَ تَنَفُّسُ

ولابن منقذ أيضاً [من الكامل] :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاوِ طَرَفُهُ وَالْقَطْبُ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتُ نَفْسِي فِي الْحَدَادِ سَرَاوِرَا أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

وللواواء الدمشقي [من الوافر] :

وَلَيْلٌ مِثْلُ يَوْمِ الْبَيْنِ طَوْلًا إِذَا أَقَلَّتْ كَوَاكِبُهُ تَمُودُ
بِدَائِعِ نَوْمِهَا فِيهِ انْتِبَاهُ فَأَعْيُهَا مُنْتَحَةٌ رُقُودُ

وله أيضاً [من الوافر] :

وليل مثل يوم الحشر طويلاً كأنَّ غلامَهُ لَوْنُ الصَّدُودِ
 بياضُ هلاله فيهِ سوادُ كَثَرِ العلمِ في يَقِي الخُيُودِ
 وما أحسن اعتذار الأراجاني عن طول الليل [من الكامل] :

لا أدعى جُورَ الزَّمانِ ولا أرى ليلي يزيدُ على الليالي طويلاً
 لكنَّ مرَّاةَ الصَّباحِ تنفُسى لهمُّ أصدأ وَجْهَهَا المصقولاً
 وقد أخذته من قول علي بن هشام [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تنورُ
 ليلي كما شامتْ، فان لم تجدْ طالاً، وإن جادتْ فليلى قصيرُ
 وهو من قول علي بن الخليل [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تَزُولُ
 ليلي كما شامتْ قصيرُ إذا جادتْ، فان صدَّتْ فليلى يطولُ
 وأورد ابن الصولي لابن الخليل أيضاً قوله [من الطويل] :

يقولونَ طالَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ لم يَطُلْ وَلَكِنْ مَنْ يَهْوَى مِنَ الشَّوْقِ يَسْهُرُ
 أَنَّهُمْ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَهَّدَ مَضْجِي وَأَقْبَدَ نَوْمِي حِينَ أَجْعَى وَأَهْجُرُ
 فَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَى لِسْدِهَا وَآخَرَى الْأَقْبَا بِوَصْلِ فَتَقْصُرُ

وفي معناه قول الأديب الحراني [من البسيط] :

جاءتْ تُسألُ عَنْ لَيْلِي فَقلتُ لها وَسُورَةُ المِمْ تَمَحُو سِيرَةَ الجَلِيلِ
 لَيْلِي بِكَيْفِيَّتِكَ فَاغْنِي عَنْ سُؤَالِكِ لِي إِنَّ بِنْتَ طَالٍ وَإِنْ وَأَصْلَتْ لَمْ يَطُلِ
 وقول بعض المتأخرين [من البسيط] :

لَيْلِي وَلَيْلِي نَفَى نَوْمِي خِلَافَهُمَا حَتَّى لَقَدْ صَيَّرَ آتِي فِي المَوْسَى مَثَلًا
 يَجُودُ بِالطَّوْلِ لَيْلِي كَمَا بَحَلَتْ بِالطَّوْلِ لَيْلِي وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بَحَلًا

وقول ابن أبي حنينة [من البسيط]:

يَا لَيْلُ مَا طَلْتُ عَمَّا كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَبِمَا طَالَ بِي فِيكَ الْيَقِينُ أَجِدُهُ

وما أحسن قول بعضهم فيه [من البسيط]:

سَهَرْتُ لَيْلَاتٍ وَصَلَى فَرَحَهُ يَتِيمُ وَلَيْلَةُ الْمُهْجِرِ كَمَا فَضَّيْنَاهَا سَهَرًا

إِذَا تَقَفَّتْ رَمَائِي كُلُّهُ سَهَرًا فَمَا أَبْلَى أَطْلَالَ الْيَلِيلُ أَمْ قَصُرًا

ومثله قول الآخر [من المنسرح]:

فِي الْمُهْجِرِ وَالْوَصْلِ مَا تَذُوقُ كَرْزِي عَيْنِي فَمَا يَنْقُضُ تَسْهُدَهَا

فَلَيْلَةُ الْمُهْجِرِ لَا رُقَادَ بِهَا وَلَيْلَةُ الْوَصْلِ كَيْفَ أَرْمَدَهَا

وقول أبي الحسن البصري [من المتقارب]:

وَلَا تَمْرَضَ لِي زَائِرًا وَمَا كَانَ عِنْدِي لَهُ مَوْعِدُ

سَهَرْتُ اغْتِنَلَمًا لَيْلِ الْوَصْلِ لِيْلِي بِهِ أَنَّهُ يَنْفَدُ

صَلَاً وَقَدْ رَقَّ لِي قَلْبُهُ وَأَيْقَنَ أَتَى بِهِ مَكْدُ

إِذَا كُنْتُ تَسْهَرُ لَيْلِ الْوَصْلِ وَلَيْلِ النَّوَى فَتَى نَزْدُ

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى، وفيها أوردته مقنع.

قال : فوثب إلى أبي ليضر بنى ، وعدّوت من بين يديه ، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بهجرين البصرة : اثبتاني بلباس أيبكا في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج وانظر وقعد في قبة ، وشاور جرير ذهبة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لاسر آياتنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لمبا بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ، فقال جرير [من الطويل] :

ليست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرجج وجلجلة (١)

أعد مع الحلى الملبأ فاعسا جرير لكم بعل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق في المربد وأمر الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده ، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ! أنهجو ميتا ؟ أما والله لو دئيتك لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتنمها على فاتها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين في ترجمة الفرزدق في شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجينا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

(١) كرج - بزنة سكر - لعبة كهيئة المهر ، ووقع في الأصل « كرجى وخلاخله » واثبتنا ما في النقااض واللسان (كرج)
(٢) في النقااض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزي : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته بالجملة ، وعمرُ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة في المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .



من شواهد
الاستخدام

١٢٣ — فَسَى الْفَضَا وَالسَّكِينَةِ وَإِنْ مُ

شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

البيت للبحتري ، وهكذا هو في ديوانه — وإن كان في كثير من نسخ التلخيص ، بل وفي كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحي وضلوعي » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كَمَ بِالسَّكِينِ مِنْ اعْتِرَاضِ كَثِيبٍ وَقَوَامِ غَصَنِ فِي الثَّيَلِ رَطِيبِ
تَأْبَى الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ رَمْنِ جَوَى يَوْمَ الدَّيَارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجِيبِ
وبعد البيت ، وهي طويلة

والفضا : شجر معروف ، واحده غصاة ، وأرض غصَيانة : كثيرة والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً ، فإنه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الفضا وهو المجرور في الساكنية المكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد ، وبالأخر وهو المنسوب في شبوه النار أى أوقدوا في جوانحي نار الفضا ، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الفضا ، وخصى الفضا دون غيره لأن جره بطل الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الفضا فقال ابن أبي حصينة [من الطويل] :

(١) وكذلك هو في خزانة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها في ديوان البحتري (١ - ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدتهما المؤلف من أولها في الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت الماتنشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد في الديوان • فسى الفضا والنارلية . . . •

٤٧ - لا والذي هو عالم أن النوى مرُّ وأن أبا الحسين كرمُ
 البيت يُدعى تمام^(١) الطائي، من قصيدة من السكامل، يمدح بها أبا الحسين
 محمد بن المهيم، وأولها^(٢) :

أَسْتَقِي طُلُومُ أَجْنُ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَصْرَةٌ وَلَيْمٍ
 جادت معادتهم عَهَادُ سَحَابَةٍ ما عهدُها عند الديارِ دَمِيمٍ
 سَفَى الْفِرَاقُ عَلَيْكَ يَوْمَ تَحَمَّلُوا رُبَّمَا أَرَاهُ وَهُوَ يَمَنُوكَ حَلِيمٍ^(٣)
 ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةُ الْبَرَىءِ ظُلُومُ وَالظَّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَنْعُومُ
 زَعَمْتَ هَوَاكَ عَنَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا مِنْهَا طُلُوكُ بِاللَّوَى وَرِسُومُ^(٤)
 لا والذي هو عالم البيت ، وبعده :

مَا حَلَّتْ عَنْ سَنَنِ الْوَفَا وَلَا غَتِ نَفْسِي عَلَى الْفَيْ سَوَاكِ تَعُومُ^(٥)
 والنوى : الفراق .

والشاهد فيه : أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة^(٦)
 ولا كذلك في هذا البيت ، إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ،
 سواء كان نواه أو نوى غيره ، فهذا العطف غير مقبول ، سواء جعل عطف مفرد
 على مفرد كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولى العلم
 لأن وجود الجامع شرط فيهما ، ولهذا عيب على أبي تمام كما سيأتى في حسن
 التخلص إن شاء الله تعالى .

(١) وهو من شواهد الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (ص ١٧٣)

(٢) اقرأها في الديوان (٢٩٩)

(٣) في الديوان «يوم رحيلهم» في مكان «يوم تحملوا»

(٤) في الديوان «كما عفت»

(٥) في الديوان «مازلت عن سنن الوداد»

(٦) كذا في الأصول ، ولعل الأحدثين «جهة جامعة»

٤٨ — * وَقَالَ رَأَيْتُمْ أُرْسُوا نَزَاوُلَهَا *

حامد لمتناع
الطيف لاختلف
المجتهد خيرا
وإنشاء

هو من البسيط ، وقائله الأخطل ، كذا ذكره سيبويه ، وليس هو في (١) ديوانه ، وتماثله :

* وَكَلَى حَتَفَ امْرِئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارِ *

وبعده :

إما نموت كراماً أو نفوز بها فواحد الدهر من كدٍ وأسفار
والرائد : المرسلُ في طلب الكلاء . وأرسوا — بقطع الهززة — من
رست السفينة ترسورسوا ورُسُوا إذا وقتت على الأنجر مُرَبَّ لَنَكِرَ ، وهو مِرْسَاة
السفينة ، وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص فتصير كصخرة إذا رست
رست السفينة ، أو هو من «رست أقدامهم في الحرب» فَيُثَبَّت . ونزاوها : من
الزواولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للسفينة ، وقيل :
للحرب ، وقيل : للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده .
والشاهد في قوله « نزاوها » فانه فصله عن قوله « أرسوا » لأن الأول أمر
والثاني خبر ، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً ، لفظاً ومعنى .
ومن هذا الضرب قول الزبيدي أو إبراهيم بن المدير (٢) [من السريع] :
ملكته حبلً ولكنهُ ألقاه من زُهدٍ على غاري

- (١) بحثت ديوان الأخطل المطبوع في بيروت فلم أجد هذين البيتين فيه
(٢) في المطبوعتين «ابن المدائني» وقد نسب الشيخ عبدالقاهر في دلائل
الاعجاز (١٨٣) هذين البيتين إلى الزبيدي ، ويوجد بهامش مطبوعة بولاق
مانصه « قوله إبراهيم بن المدائني ، هكذا في بعض النسخ ، وفي بعضها
إبراهيم ابن المدير ، وفي بعضها المدير بن إبراهيم » اهـ ، وهما في الأغانى
(١٩-١١٩) منسوبان إلى إبراهيم بن المدير في قصة

وقال: إني في الهوى كاذبٌ، انتقمَ الله من الكاذبِ !
وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت ، قال الشيرازي :
وهو أنسب بالمقام .

والأخطل^(١) هو : غياث^(٢) بن غوث بن الصلت^(٣) بن الطارقة ، ينسب
نسبه لتغلب ، ويكنى أبا مالك ، والأخطل لقبه ، عن أبي عبيدة أن السبب
فيه أنه هجار رجلاً من قومه ، فقال له : يا غلام ، إنك لأخطل ، والأخطل :
السفينة ، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة ، ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج
إلى وصف ، وهو جرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات
الاسلام ، ولم يقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلهم ، ولكل واحد منهم عصبية
تفضله على الجماعة .

وقال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ
عليه أحداً .

وقال الأصمى : إنما أدرك جرير الأخطل ، وهو شيخ قد تحطم ، وكان
الأخطل أسن من جرير ، وكان أبو عبيدة يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره ،
وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق : إنما تفضله
لأنه فاسق مثلك ، فقال : لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال الأخطل لعبد الملك
ابن مروان : يا أمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة — يعني جريراً — أنه يبلغ مدحتك
في ثلاثة أيام ، وقد أفت في مدحتك :

-
- (١) تحمد ترجمة الأخطل في الأغاني (٧ - ١٦٩) وفي الشعراء لابن فتيبة
(٣٠١ - ٣١٢) وفي خزانة الأدب للبغدادى
(٢) ويقال : اسمه غويث بن غوث
(٣) قال المدائني : غياث بن غوث بن مسلمة بن طارقة ، وذكره في الأغاني

« خف القطين فراحوا منك أو بكرُوا »^(١)

سنة فسا بلغت ما أردت ، فقال عبد الملك : أسعفها يا أخطل ، فلما أنشدها قال له عبد الملك : أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بمجننة كانت بين يديه ، فقلت له درام ، وألقيت عليه خلع ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه [من الطويل] :

فما تركوها عنوةً عن مودةٍ ولكنَّ بمجدٍ المشرقي استقالها^(٢)

فأعجب به ، فقال له الأخطل : ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُّ

منه ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت [من الطويل] :

أهلُ وامن الشهر الحرام فأصبحوا مَوَّالِيَّكَ لا طَريفَ ولا غصب^(٣)

جملته لك حقاً ، وجمله لك غصباً ، قال : صدقت .

وأصبح عبد الملك يوماً في غداة باردة ، فتمثل بقول الأخطل ،

[من الوافر] :

(١) هذا صدر المطلع ، وعجزه قوله : « وأزعجتهم نوى في صرفها غير »

وعدها أربعة وثمانون بيتاً ، وقرأها ابن شئت في الديوان (٩٨)

(٢) هكذا وقع هذا البيت في أصول السكتاب وفي الأغاني ، ووقع في الديوان (٢ - ٥٣) « فما أسلموها عنوة » وعنوة ههنا بمعنى الطوعية ، قال ابن السكيت : العنوة باغة أهل الحجاز وهم خزاعة وهذا من الطوع . اهـ .

(٣) أهلوا من الشهر الحرام : معناه أنهم خرجوا في استهلاله ، ومسوا إلى ملك : يريد به أنهم يوالونه ، ولا طريف : ليس بمسجد حدث ولكنه مودوث عن الآباء ، ولا غصب : معناه أنه لم يأخذ الخلافة اغتصاباً ، وإنما أخذها بالاستحقاق . وانظر هذا البيت في الديوان (٢٤) أثناء قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتاً ، ومطلعها قوله :

لمعري لقد أسريت لاليل عاجز بساهمة الخدين طساوية الغرب

(١٨ - مائة ١)

إذا اصْطَبَحَ الفَتَى منها ثلاثاً بغير المساء حاولَ أن يطولاً
مضى قرشيّة لا شك فيها وأرْخى من مآزِرِهِ فُضُولاً
ثم قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ محلل الأزار ، مستقبلًا للشمس في حانوت
من حوانيت دمشق ، ثم بعث رجلاً يطلبه ، فوجده كذلك .

وقدم الأخطل مرة على عبد الملك بن مروان ، فتنزل على سرجون^(١) كاتبه ،
فقال له : على من نزلت ؟ فأخبره ، فقال له : قاتلك الله ! ما أخبرك بصالح
النازل ، فسا تريد أن تنزلك ؟ قال : في درمك من درمكم هذا ، ولحم وخمر
من بيت رأس ، فضحك عبد الملك وقال : ويلك ! وعلى أي شيء اقتتلنا إلا على
هذا ؟ ثم قال له : ألا تسلم فنفرض لك ألفين في عطائك وتوصل بمشرة آلان
درم ؟ قال : فكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها وإن أولاً لم^٢ وإن آخرها لسكر ،
قال : أما إن قلت ذاك فإن بينهما لمنزلة ما ملّكك فيها إلا كلمقة من ماء الفرات
بالاصبع ، فضحك عبد الملك ، ثم قال : ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيك ؟
فقال : أطعم أم كاره ؟ قال : بل طاعم ، قال : ما كنت لأختار نواله على نوالك ،
ولا قوبه على قربك ، إني إذاً لكما قال الشاعر [من الوافر] :

كَبُتَّاعٍ لِمُرْكَبِهِ حِمَارًا يَغْيِرُهُ مِنَ الْفَرَسِ الْكَرِيمِ^(٣)
فَأَمَرَهُ بِمِشْرَةِ آلَافِ دَرَمٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْلِحَ الْحِجَاجَ ، فَلَمَحَ قَبْلَهُ
[من الكامل] :

(١) في الأصول « ابن سرجون » وفي الأغاني « ابن سرجون » بالهاء المهملة
والذين عدم الجهبشاري من كتاب عبد الملك : روح بن زنباع ، وربيعة الجرشي ،
وسرجون بن منصور النصراني ، وهذا هو المقصود في القصة ، لا لجرم
أسقطنا كلمة « ابن »

(٢) روى هذا البيت في الأغاني :
كَبُتَّاعٍ لِمُرْكَبِهِ حِمَارًا تَخْيِرُهُ عَنِ الْفَرَسِ الْكَرِيمِ

صَرَمَتْ حَبَالَكَ ذَيْنَبٌ وَرَعُومٌ وَبَدَأَ الْجَمْعُ مِنْهُمَا الْمَكْنُومُ
وَوَجَّهَ بالقصيدة مع ابنه إليه .

ودخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي الشاعر ، فقال له بشر :
أأنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعي : ما تقول ؟ فقال :
أما أشعر مني فمسي ، وأما أكرم مني فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فتم ،
فلما خرج الأخطل قال له رجل : أقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ فقال :
ويحك ! إن أبا نسطوس قد وضع في رأسي كؤوسا ثلثا ، والله لأأقلل معها .
وحدث قحافة المروئي ^(١) قال : دخل الأخطل على عبد الملك ، فاستنشه ،
فقال : قد يبس حلقى فر من يسميني ، فقال : استقوه ماء ، فقال : هو شراب
الحار ، وهو عندنا كثير ، قال : فاستقوه لبنا ، قال : عن اللبن فطِطُ ، قال :
فاستقوه عسلا ، قال : شراب المريض ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : خرا يا أمير
المؤمنين ، قال : أو عهدتني أسقى الخمر ؟ لا أم لك ! لولا حرمتك بنا لفعلت
وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك ، فقال : ويلك ! إن أمير المؤمنين
استنشدني وقد صحل ^(٢) صوتي فاستقي شربة خمر ، فسقا رطلا ، فقال : اعدله
بآخر ، فسقا رطلا آخر ، فقال : تركتهما يعتركان في بطي ، فاستقي ثالثا ،
فسقا ثالثا ، فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، فسقا رابعا ،
فسخل على عبد الملك فأنشده :

* خَفَّ الْقَطِينُ فَرَّاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا *

فقال : لا ، بل منك ، وَطَيَّرَ من قوله ، قال : ومرو في القصيدة حتى بلغ
إلى قوله [من البسيط] :

(١) في الأغاني « أبو قحافة المروئي »

(٢) صحل يصحل — من باب طرب — أي يح

تُحْمَسُ الدَّوَاةُ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسُ أَهْلًا مَا إِذَا قَدَرُوا

قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ: خَذَ بِيَدَيْهِ يَا غُلَامَ فَأَخْرَجَهُ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْعِ مَا يَنْصُرُهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ شَاعِرًا، وَإِنَّ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةِ الْأَخْطَلُ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ: كَانَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا تَشَاجَرَتْ فِي شَيْءٍ رَضِيَتْ بِالْأَخْطَلِ، وَكَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَقُومُونَ إِلَيْهِ، وَرَأَيْتُهُ بِالْجَزِيرَةِ وَقَدْ شَكَى إِلَى الْقِسِّ وَقَدْ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ وَهُوَ يَصِيءُ كَمَا يَصِيءُ الْفَرَخُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِذَا جَاءَ الدِّينَ ذَلَلْنَا

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَطْلَبِيُّ^(١) قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ مَعَ أَبِي فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كُنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا، فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ فَإِذَا الْأَخْطَلُ قِيَا مَحْبُوسٌ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرَ بِنَفْسِي، فَقَالَ: يَافَتَى إِنَّكَ رَجُلٌ شَرِيفٌ وَأَنَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً، فَقُلْتُ: حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ، فَقَالَ: إِنَّ الْقِسَّ قَدِ حَبَسَنِي هُنَا فَكَلِمَةً لِيَخْلِيَ عَنِّي، فَأَتَيْتُ الْقِسَّ فَانْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحِبَ بِي وَعَظَّمُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ فَقُلْتُ: الْأَخْطَلُ تَخْلِي عَنْهُ، فَقَالَ: أَعَيْنَكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا، فَإِنْ مَثَلَ لَا يَنْكَلِمُ فِيهِ فَإِنَّهُ فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ وَيَهْجُوهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَتَكْنًا عَلَى عَصَاهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَدُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ وَتَقْنِفُ الْمُحْصَنَاتِ؟ وَهُوَ يَقُولُ: لَسْتُ بِعَائِدٍ، وَلَا أَفْلٍ، وَتَسْتَحْزِي لِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مَالِكٍ، النَّاسُ يَهَابُونَكَ، وَالْخَلِيفَةُ يَكْرَمُكَ، وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ رَفِيعٌ، وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا الْخَلِصُوعِ وَتَسْتَحْزِي لِي قَالَ: لِفَعْلٍ يَقُولُ لِي: إِنَّهُ الدِّينُ.

وَحَدَّثَ الْهَيْثَمُ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةُ الْأَخْطَلِ حَامِلًا، وَكَانَ مَتَمَسِّكًا بِدِينِهِ، فَمَرَّ

(١) ذَكَرَ فِي الْأَغَانِي نَسَبَهُ وَأَنَّهُ: إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

به الإسف يوماً فقال لها: الحق به فتمسح به ، فمدت وراءه فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ، ورجعت فأخبرته ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

وسمع هشام الأخطل ، وهو يقول [من الكامل] .

وإذا افترت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

فقال له : هنالك يا أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين ،

ما زلت مسلماً في ديني .

وحدث أبو جند اليزيدي قال : خرج الفرزدق يوماً يؤم (١) بعض ملوك بني

أمية ، فرفع له في طريقه بيت أحمر من آدم ، فدنا منه وسأل ، فقيل له : الأخطل ،

فاستقرى (٢) فقيل له : انزل ، فقام إليه الأخطل وهو لا يعرف إلا أنه ضيف ،

فجلسا يتحدثان ، فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : فأنت

إذن من رهط أخي الفرزدق ، فهل تحفظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم كثيراً ، فما

زالا يتحدثان ويستمع الأخطل من حفظه شعر الفرزدق ، إلى أن عمل فيه

الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن

تشرّبوا من شرابنا ، فقال الفرزدق [من المجث] :

خَفَضُ عَلَيْكَ قَلِيلاً وَهَاتِ لِي مِنْ شَرَابِكَ

فلما عملت الزجاج فيه قال : والله أنا الذي أقول في جرير ، وأنشده ، فقام

الأخطل وقبل رأسه وقال : لاجزأك الله عنى خيراً ! لم كنتننى نفسك منذ اليوم ؟

وأخذنا في شرابهما ، وتناشدا إلى أن قال له الأخطل : والله إنك وإياي لأشعر

من جرير ، ولكنه أوتى من سائر الشعر ما لم نُؤتَه ، قلت أنا بيتاً ما أعلم أحداً

(١) في الأصول « مع بعض ملوك بني أمية » وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني ، وبه تستقيم القصة

(٢) استقرى : طلب القرى ، وهو ما يقدم للضيف

قال أحمى منه ، قلت : وما هو ؟ قال الأخطل : قلت [من البسيط] :
 قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْجَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لَا مُمْ بُولَى عَلَى النَّارِ (١)
 فلم يروه إلا حكام أهل الشعر ، وقال هو [من الكامل] :
 وَالتَّغْلِبُ إِذَا تَنَجَّحَ لِلْقَرَى حَكَّ اسْتُهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالُ
 فلم تبق سفة ولا أمثالها إلا رِيْبُهُ ، قال : فقصوا له أنه أُسْتِرَ شعراً منهما .
 وعن محمد بن سلام قال : قيل إنه لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا
 مالك ، ألا توصي ، قال : بلى ، ثم قال [من المتقارب] :

أَوْصَى الْفَرَزْدَقَ عِنْدَ الْمَعَاتِ بِأَمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارِهَا
 وَزَارَ الْقَبْرَ أَبُو مَالِكٍ بِرَغَمِ الْعُدَاةِ وَأَوْتَارِهَا

٤٩ — أقول له ارحل لا تقيم عندنا وإلا فكن في السر والجهر مُسَلِّماً
 شاهد كمال الاحمال
 البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العيني في شواهد .
 ومعناه : إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين في
 السر والجهر .

والشاهد فيه : كون الجملتين بينهما كمال الاتصال ، لكون الثانية أوفى
 بتأدية المراد من الأولى ، فنزلت منزلة بدل الاشتغال فلم تعطف عليها ، وهما هنا
 قوله « ارحل » وقوله « لا تقيم عندنا » لأن في قوله « ارحل » كمال إظهار
 الكراهة لاقامة المخاطب ، وقوله « لا تقيم عندنا » أوفى بتأدية المراد لدلالته
 على إظهار الكراهة لاقامته بالطائفة مع التأكيد الحاصل من اللفظين .

(١) في هذا البيت من أوصاف الهجاء : رميهم بالبخل ، واستصغار نادم
 حتى إنها لتتغاضى ببؤله ، وامتهان أمهم حتى إنهم ليسكتلفونها حقائر الأمور

شاهد
مطف البيان
في المفردات

٥٠ - * أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ *

هو من الرجز، قاله أعرابي^(١)، وبعده:

ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبْرٍ اغفر له اللهم إن كان فَجْرٌ

بروى أن هذا الأعرابي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أهلى ببادية بعيدة، وإنى على ناقة ذُبراء عَجَفَاءَ نَقَبَاءَ، واستحمله^(٢)، فظنه كاذباً، فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فخل^(٣) ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضى الله عنه مُقْبِلٌ من أعلى الوادى، فجعل إذا قال «اغفر له اللهم إن كان فجر» قال: اللهم صدق، حتى التقيا، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فاذا هى كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه والْتَقَبُ: رِقَّةُ الْأَخْفَافِ. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل «عمر» بيانا وتوضيحا لأبى حفص.

شاهد
الاستئناف

٥١ - وَتَقَنَّ سَلَى أَنَّى أَبْنَى بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهْمٌ

البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العبنى أيضاً. والضلال: ضد الهدى.

(١) ذكر صاحب الخزائنة (٢ - ٣٥٢) نقلا عن ابن حجر في الإصابة وعن المرتزبانى في معجم الشعراء أن اسم هذا الأعرابى عبد الله بن كيسبة، ويقال: اسمه عمرو بن كيسبة - بكسر الكاف وسكون الياء بعدها سين مهمله مفتوحة - وهاك الرجز بتمامه مع بعض اختلاف فى ألفاظه:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ مَا مَسَّهَا مِنْ تَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ
حَفَا وَلَا أَجْهَدَهَا طَوْلَ السَّفَرِ وَأَنْتَ لَوْ أَبْصَرْتَ نَضْوَى يَاعَمْرُ
وَمَا بَهَا - عَمْرُكَ - مِنْ سَوْءِ الْأَثَرِ عَدَدَتْنِي كَابِنِ سَبِيلٍ قَدْ حَضَرَ

(٢) استحمله: طلب منه أن يحمله، أى يعطيه دابة يركبها

(٣) فى المطبوعتين «فحمل ناقته» بزيادة ميم

والشاهد فيه : عدم عطف الجملة الثانية لكونه مومها له على غيرها (١) لأن بين الجملتين الخبريتين ، وهما « وتظن سلمى » و « أراها » مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند ، لأن معنى أراها أظنها ، والمسند إليه في الأولى محبوب ، وفي الثانية محب ، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبني وهو أقرب إليه ، فيكون من مزنونات سلمى ، وليس كذلك .

قالى كيف أنتَ قلتُ عليّ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

البيت من الخفيف ، وتقدم في شواهد المسند إليه (٢) .

والشاهد فيه هنا : وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق : أى ما بال علتك ؟ فقال : سهر ، وذلك لأن العادة جرت بأنه إذا قيل « فلان عليل » أن يسأل عن سبب علته ، لأن يقال هل سبب علته كذا وكذا ، لا سيما السهر والحزن ، فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن ، لأنه أبعد أسبابه ، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص ، وعدم التوكيد يشعر به .

ومثله قول أنى العلاء المعرى [من البسيط] :

وقد غرَضْتُ من الدنيا فهل زمني مُطَّحِيائى لِغِرٍّ بعدما غَرَضاً
جَرَبْتُ دهرى وأهليه فآثَرَكْتُ لِيَّ التجاربُ في ودٍّ امرئٍ غَرَضاً

(١) يريد أن الاتيان بواو العطف يوم أن المعطوف عليه غير ما قصد إليه الشاعر ، فانه لو عطفه لكان مقصوده العطف على جملة « وتظن سلمى » ولكن واور العطف توهم ايها ما قريباً أن المعطوف عليه هو جملة « أبني بها » لما ذكره المؤلف

(٢) هو الشاهد رقم ١٥ فانظره في (ص ١٠٠ من هذا الجزء) وقد استشهد به الشيخ عبد القاهر في باب الفصل والوصل من دلائل الاعجاز (١٤٤) أيضاً

أى : لم تقول هذا وما أَلْجَأَكَ إليه ؟ فقال : جربت إلخ .

٥٢ - زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي
 البيت من السكامل ، ولا أعرف ^(١) قائله .
 والعوازل : جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة ، لا امرأة عاذلة ، بدليل قوله
 « صدقوا » وغمرة الشيء : شدته ومُرْدَحَمُهُ .
 والشاهد فيه : وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو
 خاص ، كأنه قيل : أصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا ، وقصّله
 عما قبله لكونه استثناء .

ومنه قول جندب بن عمار ^(٢) [من السكامل] :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنْ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجَنُوبِ خَبْتٍ عُرِيَتْ وَأُجِيتَ ^(٣)
 كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَا مَنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَيْجٌ وَذَلَّتْ
 ومثله قول لبيد ^(٤) [من الهزح] :

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ

- (١) استشهد به الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (١٨٢) ولم ينسبه أيضاً
 (٢) هما من شعر الحاسة غير منسوبين (انظر شرح النبريزي على ديوان
 الحاسة بتحقيقنا ١ - ٢٩٤) وقد أنشد الشيخ عبد القاهر البيتين في دلائل
 الاعجاز (ص ١٨٢) ونسبهما إلى الحاسة من غير تعيين قائل
 (٣) في المطبوعتين «غربت» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في الحاسة ودلائل
 الاعجاز . وخبت : موضع بالشام ، وهو المناسب هنا . وهو اسم موضع آخر
 يزيد ، وعريت : رفعت عنها أدايتها ورحلها ، وأجت - بالبناء للمجهول -
 طلبت لها الراحة ، وذلك كناية عن تركها بغير ركوب
 (٤) أنشدهما في دلائل الاعجاز (١٨٤)

عفاه كل هتات عسوف الويلي هطال^(١)

وقول أبي الطيب المتنبي [من الوافر] ^(٢) :

وما عفت الرياح لهم محلاً عفاه من حدا بهم وساقا

مضى مقام ٥٣ - زَعَمْتُ أَنْ أَخْرَجَكُمْ قُرَيْشٌ لَهْمُ إِنْ لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا فُ
لاستاف البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير ^(٣) ، من الوافر بهجو بني أسد ،

ولبعده :

أولئك أومِنُوا جُوعاً وَخَوْفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا
والزعم : ادعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « زَعَمُوا مَطِيَّةَ الْكَذِبِ »
وعن شريح رحمه الله : لكل شيء كُفْيَةٌ ، وكُفْيَةُ الْكَذِبِ زَعَمُوا . لكن
سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول « زعم الخليل » لا يريد بذلك إبطال
قوله ، وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

ودعوتني وزعمت أنك صادقٌ ولقد صدقتِ وكنتِ نَمَّ آمِنًا
وقريش : هي القبيلة المشهورة ، سموها بذلك لتجمعهم في الحرم ، أو لأنهم
كانوا يتفرشون المبتاعات فيشترونها ، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في نوبه
فقبل تفرش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جل قريش : أى شديد ، أو سموا
بمصرف القرش ^(٤) وهو دابة بحرية تخافها دراب البحر كلها ، والالف

(١) في دلائل الاعجاز « كل حنان »

(٢) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

(٣) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٣) من غير نسبة إلى قائل

(٤) القرش - بكسر القاف - دابة تكون في البحر الملح . والذي ذكره
علماء الاشتقاق أن قريشا سميت بدابة تكون في البحر اسمها القريش على صورة =

والإيلاف : المهد ، وشبه الاجازة بالخفارة ، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، فكان هاشم يولف إلى الشام ، وعبد شمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى النين ، ونوفل إلى فارس ، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد ، وكان كل أخ منهم قد أخذ جلا من ملك ناحية سفره أماناً له .

والشاهد فيه : حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه ، فكأنهم قالوا : أسدقنا في هذا الزعم أم كذبنا ؟ فقليل : كذبتم ، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله « لهم إلف وليس لكم إلاف » مقامه لدلالته عليه .

ومساور^(١) بن هند بن قيس بن زهير العبدى شاعر ، وكان جده قيس مشهوراً في الجاهلية ، ولا سيما في حرب داحس والغبراء ، وذكر الأصمى ما يدل على أن له إدراكاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان نحو أبي عرو بن العلاء رحمه الله في السن ، وقال : حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاماً . وذكره المرزبانى في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان . وفي حكاية الأصمى أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه ، فجملوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة ، فرأى ذات

==المصغر، وفي اللسان « وقريش دابة في البحر لاتدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تحافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قريشى ، دون ولد كنانة ومن فوقه ، قيل : سموا بقريش مشتق من الدابة التي ذكرناها التي تحافها جميع الدواب » اهـ وقد قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحر ربها سميت قريش قريشا

(١) انظر نسبه واشتقاق اسمه واسم أبيه في شرح التبريزي على الحماسة (٢ - ٤) وانظر شعرا له في شرح الحماسة (٢ - ٤ و ٣٠)

يوم غفلة فخرج فجلس في وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعريتين فقال
هذه فلانة ، وهذه فلانة ، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب . وقال الأصمعي : بلغني
أنه أتى به إلى الحجاج فقال له : ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت ؟ فقال : أسقى
به الماء ، وأزعي به الكلاء ، وتقضى لي به الحاجة ، فان كفتني ذلك تركته .
وقال ابن رزيق : كان أعور^(١) وهو من المتقدمين في الاسلام ، هو وأبوه وجده
أشرف من بني عبس شعراء فرسان ، وهو القائل [من الطويل] :

جزى الله خيراً غالباً من قبيلة إذا حدثنان الدهر نابت نواثية^(٢)
إذا أخذت بزل الخاض سلاحها تجرد فيهم متلف المال كاسبه
يقال : أخذت الأبل سلاحها ، إذا استحياها صاحبها فلم يذبحها .

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

هد الجامع
الوهمي

هو من البسيط ، وتمامه :

* شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ *

وقد تقدم الكلام عليه في شواهد المنسند^(٣) .

والشاهد فيه هنا : بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمي ، وهو
ما بينها من شبه التماثل حل الهم على أن يمتثل في اجتماعها في المفكرة وإبرازها
في معرض الأمثال متوهمًا أنها من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض
والمشخصات ، بخلاف العقل ، فإنه إذا خلى ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع

(١) في شعره في الحماسة (٢ - ٣٠) ما يؤيد أنه كان أعور ، فانه يقول :

وأرى الغواني بعد ما أوجهنني أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

(٢) يروى « جزى الله خيراً غالباً من عشرة »

(٣) هو الشاهد رقم (٤٠) فانظره في (ص ٢١٥ من هذا الجزء)

آخر، وإنما اشتركت في عارض هو إشراق الدنيا بهجتها، على أن ذلك في أبي إسحاق مجاز.

ونظيره قول الآخر [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء في الخلق مطعمٌ فذو الناج والسَّنة والذَّرُّ واحدٌ

دخول واو الحال
على المضارع
المثبت

٥٤ - فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفَارَهُمْ تَحَيَّوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِيكَ

البيت لعبد الله بن همام السلولى^(١)، من المتقارب، وبعده :

عريقاً مقبلاً بدارِ الهوا نِ أهونَ علىَّ بِرِ هالكاً

وهذان البيتان من جملة أبيات، منها :

فقلتُ أجزنى أبا خالدٍ وإلاَّ تجدنى امرأً هالكاً^(٢)

يريد بأبي خالد هنا يزيد بن معاوية، والذي خشيته عبیدُ الله بن زياد، وكان قد توعده، فهرب إلى الشام، واستجار بيزيد فأمنه، وكتب إلى عبیدُ الله يأمره بالصفح عنه، ومالك المذكور هو : عريفة. والأظافر : جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضاً على أظفار .

والمعنى : لما خشيتُ حملته وإنشأ أظفاره فنجوت وخلّيت بينه وبين مالك. والشاهد فيه : دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه في الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها النكير الخالية منه، إذ قد قيل إنه على حذف المبتدأ، أى وأنا أرهَنهم، فتكون اسمية، فيصح دخولها، وعليه

(١) وأنشده الشيخ عبد القاهر في مبحث الجملة الحالية بالواو وغيره من دلائل الاعجاز (١٥٩)

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة وهم يروونه « وإلا فنبئ امرأ، وانظره في شرح الشواهد للعيني (٢ - ٣٧٨ بهامش الخزانة)

قوله تعالى : (لَمْ تَذَرْنِي وَاذْنَيْتَنِي وَقَدْ تَمْلِكُونَ أُنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) أَيْ : وَأَنْتُمْ قَدْ تَمْلِكُونَ ، وَقِيلَ : ضُرُورَةٌ . وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ ^(١) هِيَ فِيهِ لِلْعُطْفِ ، وَالْأَصْلُ وَرَهْنَتُهُمْ عَدْلٌ إِلَى الْمَضَارِعِ خُكَايَةُ حُلِّ مَاضِيَةٍ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ يَفْرَضُ مَا كَانَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَأَقَامًا فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَضَارِعِ ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
* وَلَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّثِيمِ يَسْبِي ^(٢) *

أَيْ : مَرَرْتُ . وَرَوَى « وَأَرْهَنْتَهُمْ » . وَالْأَوَّلُ رَوَايَةُ الْأَصْمَعِيِّ ، وَاسْتَحْسَنَهُ ثَعْلَبٌ .

وعبد الله : هو أبو عبد الرحمن ^(٣) السلولى الكوفى ، من بنى مرة بن صعصعة

جند عداة
السلولى

(١) قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ فِي (دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ ١٥٩) : « فَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ هَامٍ السَّبْوِيِّ * . . . نَجَّوَتْ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا * فِي رَوَايَةٍ مِنْ رَوَى وَأَرْهَنْتُهُمْ ، وَمَا شَبَّهَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ : قَمَتِ وَأَصَكَّ وَجْهَهُ - فَلَيْسَتْ الرَّوَاةُ فِيهَا لِلْحَالِ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى : نَجَّوَتْ رَاهِنًا مَالَكَا ، وَقَمَتِ صَاكَا وَجْهَهُ - وَلَكِنْ أَرْهَنَ وَأَصَكَّ حِكَايَةَ حَالٍ مِثْلَ قَوْلِهِ :

وَلَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّثِيمِ يَسْبِي فُضِّيتِ نَمَتْ قَلْتُ لَا يَعْنِي
فَكَيْفَ أَنْ أَمَرَ « هَاهُنَا فِي مَعْنَى مَرَرْتُ ، كَذَلِكَ أَرْهَنَ وَأَصَكَّ هُنَاكَ فِي مَعْنَى رَهَنْتَ وَصَكَّكَ » ١ هـ . وَنَرَى لَكَ أَنَّ تَرْجِعَ فِي بَحْثِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى شَرْحِنَا عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ (فِي مَبَاحِثِ الْحَالِ)

(٢) هَذَا صَدْرُ بَيْتٍ وَعَجَزُهُ قَوْلُهُ :

* فُضِّيتِ نَمَتْ قَلْتُ لَا يَعْنِي *

وَقَدْ سَمِعْتُهُ فِي عِبَارَةِ دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ ، وَالنَّحَاةُ يَنْسُبُونَ هَذَا الْبَيْتَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلُولٍ وَلَمْ يَمَيِّنُوهُ (انْظُرِ الْخُرَاطَةَ ١ - ١٧٣) وَقَدْ أَثْنَاهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي الْأَصْمَعِيَّاتِ ثَلَاثَ خَمْسَةِ آيَاتٍ وَنَسَبَهَا إِلَى ثَمَرِ بْنِ عَمْرٍو الْخَنْفِيِّ (انْظُرِ الْأَصْمَعِيَّاتِ ص ٧٤)

(٣) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِزِيِّ (٣ - ١٤٢) وَفِيهَا آيَاتٌ لَهُ بِحَمَلٍ فِيهَا يُزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ يُزَيْدٍ ، وَلَهُ شَعْرٌ فِي حَمَاسَةِ الْبَحْتَرِيِّ (ص ١٤٥ - ١٧٥)

من قيس عيلان ، و بنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل
ابن شيبان بن ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولي ، وكانت له صحبة ، وعبد الله
هو القائل في الفلاس^(١) :

أَفْلَى عَلَى الْيَوْمِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَذُمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفَلَّاسُ
وَسَاعَ مِنَ السُّلْطَانِ لَيْسَ بِنَاصِحٍ وَمَحْتَرِسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ
وهو القائل^(٢) ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضى الله عنه [من البسيط] :
أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَامِقَةً وَاشْكُرْ حَبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ رَدَا كَا^(٣)
لَا رَزْءَ أَعْظَمَ بِالْأَقْوَامِ إِذْ عُلِمُوا مِمَّا رَزَنْتَ وَلَا عُفِيَ كَعْبَا كَا^(٤)
أَصْبَحْتَ رَاعِي أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَا كَا^(٥)
وَفِي مُبَاوِيَةِ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نُفِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَعَا كَا^(٦)

* * *

٥٥ - * خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادُ *

قائله بشار بن^(٧) برد ، من أبيات من الطويل ، قالها في خالد بن برمك

(١) أصل الفلاس جمع فلقس بزنة جعفر أو فلنقس بزنة سفرجل ، وهو
البخيل اللثيم ، وهو أيضا الذي أبوه مولى وأمه مولاة
(٢) رواهافي العقد الفريد في كتاب الدرّة في النوادر والتعازي والمراني
(٣-٤) ٣٠٨ الأجنّة

(٣) في العقد « واشكر حباء الذي بالملك حاباكا »
(٤) في العقد « لارزء أعظم في الأقوام قد علموا »
(٥) في العقد « أصبحت راعي أهل الأرض كلهم »
(٦) في العقد « إذا بقيت فلن نسمع بمعناكا »
(٧) أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز (١٥٧) وأنشد
الآيات كلها في الأغاني (٣ - ٥٠) وفي خزنة الأدب (١ - ٥٤٠) وليست
في المختار من شعر بشار، ولا واحد منها

وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأشده قوله :

أخذه من أبيض عليك بدمه يسوى أنى عاف وأنت جواد
أخذه من الأجر والحمد حاجتي فأبهمنا تأتي فأنت عماد
فإن تضى أفرغ عليك مدائحي وإن تأب لم تضرب على سداد
ركابى على حرف وتلى مشيع ومالى بأرض الباخلين بلاد
إذا أنكرتني بكلمة أو نكرتها خرجت مع البازى على سواد

بشاروخاه
للجهمي

فدعا خلد بأربعة آلاف ، فى أربعة أكياس ، فوضع واحدا منها عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخر من ورائه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقل الداد ؟ فليس الأكياس بيديه ، ثم قل : استقل والله أيها الأمير . ومعنى البيت : إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقهم متنكرا مصاحبا للبازى ؛ الذى هو أبكر الطيور ^(١) مشتلا على شيء من ظلة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقله « على سواد » أى : بقية من الليل .

والشاهد فيه : كونه حالاً ترك فيه الواو .

ومثله قول [أمية ^(٢) بن] أبى الصلت يمدح ابن ذى يزن [من البسيط] :
أشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً فى رأس غندان داراً منك محلاً ^(٣)

(١) فى الأصول « أنكر الطيور » وأحسبه محرفاً عما أثبتناه

(٢) زيادة لا بد منها ، فالبيت لأمية بن أبى الصلت من قصيدة له مشهورة يمدح فيها ابن ذى يزن ، وأولها قوله :

لا يطلب الثار إلا كبن ذى يزن فى البحر خيم للاعبداء أحوالا
والبيت قد أنشده الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز (١٥٧) ونسبه إلى أبيه وانظر مع ذلك الأغاني (١٦ - ٧١ وما بعدها)

(٣) فى المطبوعتين « عليك التاج مرتقما » محرفاً عما أثبتناه

والشاهد في قوله « عليك التاج » . وغمدان : اسم قصر باليمن ، مبنى على أربعة أوجه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وفي داخله قصر مبنى بسبعة صفوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال ، والحلال : بمعنى المنزل صيغة مبالغة .

ومثله قول الآخر يهجو خطيباً^(١) [من الطويل] :

لَقَدْ صَبَرْتُ لِلدُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبِرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

وبشار^(٢) بن برد بن يرجوخ ، ينتهى نسبة للهراسف^(٣) . وكان يرجوخ من طخارستان ، من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ويكنى بشاراً أبا معاذ ، ومحلّه في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يُفنى عن وصفه والاطالة بذكره . وهو من شعراء مُخَضَّرَمِي الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد اشتهر فيهما ومدح وهجاً ، وأخذ سبى الجوائز مع الشعراء .

وعن يحيى بن الجسون المبدى راوية بشار بن برد قال : [قال بشار] : لما دخلت على المهدي قال لي : فيمن تعبت يا بشار ؟ فقلت : أما اللسان والزى فعرى ، وأما الأصل فمجبى^(٤) كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين [من المتقارب] :

وَبُنْتُ قَوْمًا بِهِمْ جِنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكَنتُ الْعُلَمُ

(١) انظره في دلائل الاعجاز (١٥٧) أيضاً

(٢) لبشار ترجمة في الأغاني (٣ : ١٩ - ٧٣) وفي خزانة الأدب (١ - ٥٤١) وفي ابن خلكان (١ - ١٥٦) ومرح العيون (١٦٥) والشعراء لابن قتيبة (٤٧٦)

(٣) كذا ، وآخر نسبه في الأغاني « يستاسب »

(٤) في الأصول « أما على اللسان والرأى فعرى وأما على الأصل فمجبى » وفيه تحريف ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني الذي أخذ عنه

(١٩ - معاهد ١)

ألا أيها السائل جاهلاً
لِيعْرِفَنِي أَنَا أَنفُ الْكَرَمِ
نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ
فُرُوعِي وَأَصْلِي فُرَيْشُ الْعَجَمِ
وَبَنِي لَاغْنَى مَقَامَ الْفَتَى
وَأَصْبَى الْفَتَاةَ فَسَاتَعْتَصِمُ

قال : وكان أبودلامة حاضراً ، فقال : كلا ! لوجك أقبح من ذلك ، ووجهي مع وجهك ، فقلت : كلا ! والله ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنني لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أسجج الخدين [ولرب] ^(١) مسترخي المذروين للعين منه صرّاد مثلك ، قد جلس ^(٢) من الفتاة حُجْرَةً ، وجلست منها حيث أريد ، فأنت مثلي يامرّقان ^(٣) . قال : فسكت عني ، ثم قال لي المهدي : فمن أيّ العجم أصلك ؟ قلت : من أكثرها في الفرسان ، وأشدّها على الأفران ، أهل طخارستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصغد ، فقلت : لا ، الصغد ^(٤) تجار ، فلم يرد ذلك المهدي ^(٥) .

وكان يلقب بالمرعّث لقوله [من مجزوء الخفيف] :

قالَ رِبِّمُ مُرْعَثٌ ساجِرُ الطَّرْفِ والنَّظَرِ
لستَ والله نائلي قلتَ أو يقلبَ القَدَرُ

(١) زيادة عن الأغاني ، وبها يتم المعنى وأراد بمسترخي المذروين السمين العبل الاليتين ، وأراد بقوله « للعين فيه مراد » أنه موق الظاهر تجع إليه العيون

(٢) في الأصول « ومثلك قد جلس » بزيادة الواو ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) كذا ، وفي الأغاني « فأنت مثلي يا مرضعان »

(٤) في الأغاني « وأولئك الصغر ، فقلت : لا الصغر تجار » وفي الأصول أولئك السند ، فقلت : لا ، السند تجار » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

(٥) في الأصول « فلم يزل يردد ذلك المهدي » وفيه زيادة كلمة « يزل » مما في الأغاني

أَنْتَ إِنْ رَمْتَ وَصَلْنَا فَأَنْجِ هَلْ يَدْرُكُ الْقَمَرُ

وقيل: لَقَبَ به لأنه كان لقميصه جيبان، جيب عن يمينه وجيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، وإذا أراد نزع حُلَّ أزراره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدلّجها. وقال أبو عبيدة: لقب بالمرعث لأنه كانت في آذانه وهو صغير رعاث، واحدها رعثة وهي القرط، ورعثة الديك: اللحم المتدلى تحت حنكه.

والأصمعي: كان بشار ضخما، عظيم الخلق والوجه، مجدورا، طويلا، جاحظ الحدقتين قد تنشاهما لحم أحر، فكان أقبح الناس عنى، وأفظمهم منظرا، وكان إذا أراد أن ينشد صق يديه وتنحنح و بصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالمعجب.

وقال: ولد بشار أعمى، فأنظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضاً ببعض، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله.

وقال أبو عبيدة: قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرّة اللسان، قال: وكان بشار يقول: هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرنى ولو أجابني لكنت أشعر الناس.

وكان بشار وهو صغير إذا هجا قوما جازا إلى أبيه فشكوه إليه، فيضربه ضرباً مبرحا، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الصغير الضرير؟ أما ترجمه؟ فيقول: بلى والله إني لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلى، فسمعه بشار فطعم فيه، فقال: يا أبت، إن هذا الذي يشكونه إليك منى هو قولي الشعر وإني إن أتممت عليه أغنيك وسائر أهلي، فإذا شكوني قتل لهم: أليس الله عز وجل يقول (ليس على الأعمى حرج). فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك، فانصرفوا وهم يقولون: فقهُ برد أغبط لنا من شعر بشار.

وحكى الأصمعي أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس، وكان يقول:

الحمد لله الذي حجب بصرى ، فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى من أبغض
 وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، فأتخذه جاماً لا نسان ، وكان بشار
 عنده ، فنهى بشار أن يتخذ له جاماً فيه صورة طير يطير ، فأتخذه له وجاء به إليه
 فقال له : ما في هذا الجام ؟ قال : صورة طير يطير ، فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذ
 فوق هذا الطير طيراً من الجوارح كأنه يريد صيده ، فإنه كان أحسن . قال :
 لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ولكنك قد علمت أنني أعى لا أبصر شيئاً ،
 وتهدده بالهواء ، فقال له حمدان : لا تفعل فانك تندم ، قال : أو تهددني أيضاً ؟
 قال : نعم ، قال : وأى شيء تصنع بي إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى
 في صورتك هذه ، وأجعل من خلفك قرداً ينحكك حتى يمر بك الصادر والوارد ،
 فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد .

وحدث محمد بن الحجاج السوادى ^(١) قال : كنا عند بشار وعنده رجل
 ينازعه في الجمانية والمضرية إذ أذن المؤذن ، فقال له بشار : رويداً تفهم قوله ،
 فلما قال المؤذن « أشهد أن محمداً رسول الله » قال له بشار : أهذا الذى نودى
 باسمه اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير ؟ فسكت الرجل .
 وحدث حماد عن أبيه قال : كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون
 الاذن ، فقال بعض موالى المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل :
 (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً) فقال له بشار : النحل التى
 يرفها الناس ، قال : هيبات يا أبا معاذ ! النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى (يخرج
 من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعنى العلم ، فقال له بشار :
 أراى الله شرابك وطعامك [وشفاءك] ^(٢) مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعنا

(١) في الأغاني « محمد بن الحجاج السراداني » .

(٢) زيادة عن الأغاني .

غشاة ، فغضب وشتم بإشاراً ، فبلغ المهدي الخبر ، فدعا بهما وسألها عن القصة ، فحدثته بإشارتها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل فجميل الله طعماك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فانك بارد غث .

ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور — وكانت فيه غفلة — فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال له : أتقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ، ثم قال لبشار : اعزب ويليك أنتنادر^(١) على خالي ، قال : وما أصنع به يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف بعض المجان على بشار وهو ينشد شعراً ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصق بشار بيديه وغضب وقال له : من أنت ويليك إقال : أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأحوالي من سلول ، وأصهارى من عكزل ، واسمى كلب ، ومولدى بأضاح^(٢) ومنزلى بنهر بلال^(٣) ، فضحك بشار وقال : اذهب ويليك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بمحصول من حديد .

وحدث رجل من أهل البصرة من كان يتزوج النهاريات ، قال : تزوجت امرأة

(١) في الأصول « أنتنادر على خالي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني .

(٢) في الأصول « بأحاح » وقال مصحح مطبوعة بولاق « قوله بأحاح ، هكذا بمهملتين ، وفي بعض النسخ بأجاج ، وكلاهما لم أفق عليه اسم مكان ، اه قال أبو رجاء : وكلاهما تحريف عما أثبتناه موافقاً لما في الأغاني ، وأضاح — بضم الهزرة — اسم موضع ذكره المجد في القاموس .

(٣) في الأغاني « ومنزلى بظفر بلال » وفي أسماء الأماكن عدة كل منها يحمل اسم ظفر .

منهن فاجتمعت معها في علو بيت و بشار تحتنا ، أو كنا في أسفل بيت و بشار في
 علوه مع امرأة ، فنبق حمار في الطريق فجأ به حمار آخر في بيت الجيران وحمار
 في الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار برجعه الأرض ،
 وجعل يدقها دقاً شديداً ، فسمعت بشاراً يقول للمرأة : نفخ - يعلم الله في الصُّور
 وقامت القيامة ، أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ، ولم
 تلبث أن فرغت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً من
 نحاس فيه غضارة^(١) إلى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان في الدار لصوت
 الغضارة والطبق ، وبكى من ذلك صبي في الدار ، فقال بشار : صح يعلم الله
 الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، أذفت - يشهد الله - الآفة ، وزلزلت
 الأرض زلزالها ، فصعجت من كلامه وغازطى ، فسألت : من المتكلم ؟ فقبل لى :
 بشار ، فقات : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره .
 و مر بشار برجل قد رمخته بقلته وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار :
 استزده يزدك .

و مر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : ما لهم مسرعين ،
 أترام قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم .
 ورفع غلامه إليه في حساب نفقته جلاء امرأة عشرة دراهم ، فصاح به بشار
 وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء امرأة أعشى بعشرة دراهم ، والله لو صدأت
 عين الشمس حتى بقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .
 وعن خلاد قال : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشئ المهجر المتفاوت^(٢) قال :

(١) الغضارة - بفتح العين بزنة سحابة - ومثله الغضار : الطين اللازب
 الأخضر الحر .

(٢) في الأغاني « إنك لتجىء بالشئ المهجين المتفاوت » .

وما ذاك ؟ قلت له : تقول شهراً تثير به النعم وتخلع به القلوب مثل قولك [من الطويل] :

إذا ما غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْرِبَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمَا
إذا ما أَعْرَنَّا سَيْناً مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَشَلَا (١)
[إلى أن] (٢) تقول [من الوافر المجزوء] :

رَبَابَةٌ رَبَّةٌ الْبَيْتِ تَصْبُ الْخَلْفُ فِي الزَيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل شيء وجه وموضع ، فاقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي
ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، فربابة هنه لها عشر دجاجات وديك
فهي تجمع البيض وتحفظه ، فهذا عندها أحسن من قول * ففانك من ذكرى
حبيب ومزمل * عندك .

وقال هلال لبشار (٣) وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم ينهب
بصر أحد إلا عوضه منه شيئاً ، فما الذي عوضك ؟ قال : الطويل العريض ،
قال : وما هو ؟ قال : لأأراك ولأمثالك من الثقلاء ، ثم قال له : يا هلال أتعطيني
في نصيحة أخضك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الخمر زماناً ثم
تُبْتِ وصرت رافضياً فعدنا إلى سرقة الخمر فعلى والله خير لك من الرُّفْضِ .
وعن أبي دهمان الغلالي (٤) قال : مررت ببشار يوماً وهو جالس على باب

(١) في الأصول « إذا ما أعدنا » محرفاً عما أثبتناه ، وهو على الصحة في الأغاني (٣ - ٣١) .

(٢) هذه الزيادة ليست في الأغاني وهي في عامة أصول هذا الكتاب .

(٣) في الأغاني أنه هلال بن عطية المشهور بهلال الرأي .

(٤) في الأغاني « عن أبي دهمان الغلالي » .

داره وحده وليس معه أحد وبیده مَحْضَرَة يلعب بها وقد أَمَّه طبق فيه فتاح
وأُتْرَج ، فلما رأته وليس عنده أحد تآقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ،
فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كافٌ يده حتى مدت يدي لأتناول منه ، فرفع
التضيق وضرب به يدي ضربة كاد يكسرها فقلت له : قطع الله يدك يا ابن
الفاعلة ! أنت الآن أعمى ، فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟

وقد إلى بشار رجلٌ فاستقله ، فصرط عليه بشار ضرطة ، فظن الرجل
أنها أفلتت منه ، ثم صرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم صرط ثالثة ، فقال له :
يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ فقال : مه ، أرايت أم سمعت ؟ قال : لا ، بل سمعت صوتاً
قبيحاً ، فقال له : لا تصدق حتى ترى .

وحدث محمد بن الحجاج قال : جاءنا بشار يوما وهو مغتمٌ ، فقلنا له : مالك
مغتم ؟ فقال : مات جاري فرأيت في النوم فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن
إليك ؟ فقال [من مجزوء الرمل] :

سیدی خذ بی آتانا عند باب الإصبهانى (١)
تیمتى بینان ویدلّ قد شجانی
تیمتى یوم رحنا بئناهاها الحسان
وبینج ودلال سلّ جسی ویرانى
ولما خدّ أسیل مثل خدّ الشفیرانى (٢)
فلذا متّ ولو رعشت إنّا طال هوانى

- (١) فى الأصول « خذ لی آتانا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (٣) -
٦٤) وقد روى صاحب تزیین الأسواق هذه القصة (٢ - ٣٤) وروى معها
الابیات وذكر أنها تنسب إلى بشار .
(٢) فى الأغانى وتزیین الأسواق « مثل خد الشفیرانى » .

فقلت له : ما الشفرائى ؟ قال : ما يُدْرِنى ، هذا من غريب الحار فاذا
لقيته فأسأله عنه

وقال الجاحظ : كان بشارٌ يَدِينُ بالرجمة ، ويكفرُ جميع الأمم ، ويصوب
رأى إبليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره
فقال [من البسيط] :

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ
(١) وكان الشرُّ قد نشب بين بشار وحامد عَجَزَ لأمورٍ يطول ذكرها ،
فكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار
شئ جيد إلا أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت
جيد ، وكل واحد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا
يحببمان عليها ، فسقط حماد عَجَزَ وتهتك ، بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ،
وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ، ورضى
بأن ينقل إلى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر ، فدخل يوماً على بشار فقال له
بشار : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فى من الشعر ؟ فأشده [من السريع] :

إن تاه بشار عليكم فقد أمكنتُ بشاراً من التيه
فقال بشار : بأى شئ ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسميه ولم يكن حرٌّ يُسميه
فقال : سخّنت عينه أباى شئ كنت أعرف ؟ إيه . فقال :

فصار إنساناً بذِكرى له ما يبتغى من بعد ذِكره (٢)

(١) من هنا مأخوذ من ترجمة حماد عجرد فى الأغاني (١٣ - ٧٣ - ١٠٢)

(٢) فى الأغاني « ما ينبغي » وهو تحريف

قال : ماضع شيئاً . إيه وبحك ! قال :

لم أهنجُ بشأراً ولكنني هجوتُ نفسي بهجائيه

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حاتم ، إيه أيضاً وأى شيء ؟ قال :

فأنشده [من الكامل المجزوء]

أنت ابن بُردٍ مثلُ بُردٍ د في النذالة والرذالة

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أباً له

وحدث خالد الأرقط قال : أنشد بشاراً راويته قول حمادٍ مجردٍ فيه [من

الطويل] :

دُعيتَ إلى بُردٍ وأنت لغيري فهبك لبُردٍ نكت أباك من بُردٍ (١)

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ماشاء

ابن الزانية

وقال بشار يوماً لراوية حماد : ما هجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده [من المزدج] :

ألاً من مُبلغٍ عنى السدى والدة بُرد

قال : صدق ابن الفاعلة ، فما قال بعده ؟ فأنشده :

إذا ما نُسبَ الناسُ فلا قبلٌ ولا بعدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العريضات من عقيل ، فما قال ؟ فأنشده :

وأعمى قَلْطَبَانٌ ما على قاذِفِهِ حَـ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل ثمانون جلدةً عليه ، هيه ، فقال :

وأعمى يُشْبِهُ القِرْدَ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

(١) في الأغاني « فهبك ابن برد »

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد ، حسبك حسبك ،
ثم صَفَّقَ بيديه وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه
وفي حمادٍ عجردٍ يقول بشار [من السريع] :

مَالَتْ حَمَاتَا عَلَى فَيْقِهِ يَلُومُهُ الْجَاهِلُ وَالْمَاتِنُ
وَمَا هُمَا مِنْ أَيْرِهِ وَأَسْتِهِ مَلَكُهُ إِيَّاهُمَا الْخَالِقُ (١)
مَا بَاتَ إِلَّا قُوْقَهُ فَاسِقُ يَنْبِيكُهُ أَوْ تَحْتَهُ فَاسِقُ

قال ابن أبي سميعة : وأبلغ ما هما به حمادُ عجردُ بشاراً قوله [من السريع] :
نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ
وليس بالمُقْلِعِ عَنْ غَيْهِ حَتَّى يُوَارَى فِي تَرَى رَمْسِهِ
قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله ، وأوجه له قوله فيه
[من السريع] :

لَوْ طُلِيَتْ جِلْدَتُهُ عَنَبَرًا لَأَفْسَدَتْ جِلْدَتَهُ الْعَنَبِرَا
أَوْ طُلِيَتْ مَسْكًَا ذَكِيًّا إِذَا تَحَوَّلَ الْمَسْكُ عَلَيْهِ خَرَا

قال : وكان حمادُ عجردٍ قد اتصل بالربيع يؤدب ولده ، فكتب إليه بشار
رفعة ، فأوصلت إلى الربيع فاذا فيها مكتوب [من مجزوء الخفيف] :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَمُوقِعِ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ
إِنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ إِنْ رَأَى غَفْلَةً هَجَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرْبَةً فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ
إِنْ خَلَا النَّيْتُ سَاعَةً تَجْمَعُ الْمِمْ بِالْقَلَمِ

فلما قرأها الربيعُ قال : صيرني حمادُ دريئةَ الشعراء ، أخرجوا عني
حماداً ، فأخرج .

(١) في الأغاني « ومما » في مكان « وما هما »

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجرد بقطرب حين اتخذ مؤدباً لبعض ولد المهديّ وكان هو يطعم في ذلك ، فلم يتم له لشهرته في الناس بما قاله فيه .
بشار ، فلما تمكن قطرب في موضعه ، صار حماد كاللقى على الرصد ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها [من البسيط] :

قُلْ لِلْإِمَامِ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا تَجْمَعُ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِ
السَّخْلُ غَرٌّ وَهُمْ الذُّبُ فُرْصَتُهُ وَالذُّبُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طِيبٍ
فلما قرأ المهدي هذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً ،
ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجيء بمؤدّب غيره ، ووكل بولاه
تسمون خادماً بنوايبا يحفظونه ، فخرج قطرب هارباً مما شهده به إلى الكرج
فأقام هنالك إلى أن مات .

وكان بشار بلغه أن حماداً^(١) عليلٌ ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار
[من السريع] :

لَوْ عَاشَ حَمَادٌ لَهَوْنَا بِهِ لَكِنَّهُ صَارَ إِلَى النَّارِ
فبلغ هذا البيت حماداً قبل موته ، وهو في السياق ، فقال يرد عليه
[من السريع] :

نَبِئْتُ بِشَارًا نَمَانِي وَلِلْمَوْتِ بَرَأَى الْخَالِقُ الْبَارِي
يَا لَيْتَنِي مِتُّ وَلَمْ أَهْجُهُ نَعَمْ وَلَوْ صُرْتُ إِلَى النَّارِ
وَأُخْزِي خُزْيٌ هُوَ أُخْزِي مِنْ أَنْ يُقَالَ لِي يَا سَيْبُ بِشَارِ
وكان حماد قد نزل بالأهواز على سليم بن سالم ، فأقام عنده مدة مستترفاً من

(١) في الأصول «أن حماداً عليل المانة» وكلمة المانة لاتفيد معنى ، وليست في الأغاني وهو الذي نقل عنه جميع ما في هذه الترجمة

محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فرّ بشيراز^(١) في طريقه ،
فرض بها ، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته ، واشتد مرضه ، فأت هناك ،
ودفن على تلة .

ثم إن المهدي لما قتل بشاراً بالطيحة اتفق أنه يحل إلى منزله ميتاً ، فدفن
مع حماد على تلك التلة ، فرّ بهما أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان
يهاجي بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال [من السريع] :

قد تبع الأعمى قفاً عَجَزَ دُفْراً فصيحاً جارّين في دَارِ
قالت بَقَاعُ الأَرْضِ لِمَرَّحِباً بقربِ خِثَابِ وبشارِ
تجاوزاً بعدَ تنائيهما ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ
صاراً جميعاً في يدى مالكٍ في النارِ ، والكافرُ في النارِ

وكان السبب في قتل المهدي بشاراً أنه كان نهاه عن التشبيب ، فدحه
بقصيدة^(٢) ، فلم يحظ منه بشيء ، فهجاه ، فقال من قصيدة [من السريع] :
خليفةٌ يَزْنِي بِمَعَاتِرِهِ يَلْعَبُ بِالدَّبُوقِ والصَوَّلْجَانِ^(٣)
أبدلنا الله به غـيرَهُ ودسَّ موسى في حِرِّ الخيزُرَانِ
وأنشدها في حلقة يونس النحوي ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ،
وكان بشار قد هجاه بقوله [من البسيط] :

- (١) في الأصول « بشيراز إذ أن في طريقه » وكتابه إذ أن ، لا محل لها
هنا ، وليست في الأغاني
(٢) ذكر في الأغاني في ترجمة بشار (٣ - ٦٩) القصائد التي مدح بها
بشار الخليفة المهدي ولم يحظ منه عليها بشيء ، فارجع إليها إن شئت
(٣) في الأصول « بالدبوق » وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الموافق لما
في الأغاني . وفي القاموس « والدبوق كتنور لعبة معروفة »

لَا تَزِدْ أَبْلَاحَهُ يَكُنْهُ وَإِنْ يَكُنْ عَلَيْهِ لَفَرْقَةٌ أَحَدٌ
وَلَا يَنْفَرُ مِنْكَ وَلَا يَنْفَرُ وَلَا يَحْجِرُ زَمَنٌ لَهُ كَيْدٌ
يَرْدُّهُمْ أَنْ أَحَدَهُ فَرَحًا لَمَّا أَتَاهُمْ فَيَهْجُوا

وكل بشر معنى أيا الشفق في كل سنة ما في حرم ، فقلت في بعض السنين
قال له : هم الجزية يا أبا ساذ ، قال : ويحك الجزية هي أيضا ؟ قال : هو ما
نسمع ، قال له بشر بلزحه : أنت أصبحى ؟ قال : لا ، قال : فلم لم تصبح
لنفس ؟ قال : لا ، قال : فأشعرى ؟ قال : لا ، قال : فلم أعطيك ؟ قال :
بلا أعطيت ، قال له : إن هجوتى هجوتك ، قال له أبو الشفق : أوهكنا
هو ؟ قال : نعم قال ما بذلك ، قال أبو الشفق [من الرجز] :

بِأَيِّ إِذَا مَا شَأْنُهُ هَجَاتُهُ وَلَجَّ فِي التَّوَلَّى لَهُ لِسَانُهُ
أَوْحَشَتْهُ فِي أَسْرِ أُمِّهِ عَلَانِيَةً بِشَارُ يَا بَشَلُ

وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ » فَوَجَبَ بِشَلُ فَاسْتَكْبَرَهُ ، وَقَالَ : تُولَدُ وَلَمْ
أَنْ يَشْفَقْ ، ثُمَّ خَضَعَ إِلَيْهِ مَا فِي حَرَمٍ ، وَقَالَ : لَا يَسْمَنُ مَكَ هَذَا الصَّيْلُ .
وَحَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَمْرُ عَقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ بِشَلُ بِمَشْرَةِ آلِ حَرَمٍ ، فَأَخْبَرَ
أَبُو الشَّفَقِ بِذَلِكَ ، فَوَاقَى بِشَلًا قَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَازِ إِنْ حَرَبْتَ صَيْيْلًا فَسَمِعْتَهُمْ
يَشْفَقُونَ [من مجزوء الرمل] :

عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْنِ قَبْلَ لَيْتَةٍ

إِنْ يَشَلْ بِنَ يَرْدُ يَحْسُ أَمِي فِي سَيْنَةٍ

فَخَرَجَ لَهُ بِشَلُ مَا فِي حَرَمٍ وَقَالَ : خُذْ هَذَا وَلَا تَكُنْ دَلْوِيَةً كَهَيْيَلِ
يَا أَبَا الشَّفَقِ .

(١) فِي الْأَعْيَادِ يَكُنْ عَلَيْهِ لَفَرْقَةٌ وَهِيَ

ولما ضرب بشار وطرح في السفينة قال : ليت عين أبي الشمق تراه
حيث يقول :

إب بشار بن برد تيس اعي في سفينة .
وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيافاً وتسعين سنة .
ومن شعره قوله [من السريع] :
طالبتها ديناً فضنت به وأمسكت قلبي مع الدين
فرحت كالمعبر غداً يبتغي قرناً فلم يرجع بأذنين
أعنت ما ألك إن لم أكن أحب أن ألك فلقيني
والله لو نلتك لا أتقى عيناً لقبلك ألفين
قوله « فرحت كالدير - البيت » مثل قول بعضهم [من الكامل] :
ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرناً فأب وماله أذنان
ومن شعره قوله [من الخفيف] :

خير إخوانك المشارك في السر وأب الشريك في المرأنا
الذي إن شهدت سرك في الحسى وإن غبت كان أذنًا وعينا
مثل سر الباقوت إن مسه النار جلاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم بدلوكل ما يزينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا عكنا
ما أرى للأنام ودًا صحيحاً عاد كل الوداد زورًا ومينًا

٥٦ - قُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَغِّرَنِي كَأَمَّا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِدُ
البيت من الطويل ، قاله الفرزدق ، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار

وكان قد مكث زمانا لا يولد له فغيرته بذلك ، وأول الأبيات (١) :
وقالت أراءُ واحداً لا أخا له يُؤمُّله يوماً ولا هو والدُ
وبعد البيت ، وبعده :

فإن نيماً قبل أن يلد الحصا أقامَ زمانا وهو في الناس واحد
والحوارد : من حرَّد إذا غضب .

والشاهد فيه : ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل
به نوع من الارتباط وهو هنا « كأن » إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو ،
و « بنى الخ » جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبع مرني ، و « بنى » حوالى ،
في أكتنا في جوانبي ، وهو حال من بنى لما في حرف التشبيه من بنى الفعل .

٥٧ — والله يُبقيك لنا سالماً بُرداك تبجيل وتَعْظِيمُ
البيت لابن الرومي ، من قصيدة من السريع ، منها قبل البيت :

قُلْ له الملكُ ولو أنه مجموعة في الأقاليمُ

والتبجيل : التعظيم .

والشاهد فيه : ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية وهي « برداك الخ » لوقوعها
بعقب حال مفرد وهو « سالماً » إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو ، والحالان
أغنى الجملة وسالماً يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة ، وهي : أن تكون أحوال
متعددة وصاحبها واحد كالسيف من يتيقك هاهنا ، ويجوز أن يكونا من الأحوال
المتداخلة ، وهي : أن يكون صاحبُ الحال المتأخرة الاسم الذي يشتمل عليه الحال
السابقة ، مثل أن يجعل قوله « برداك تعظيم » حالا من الضمير في سالماً .
وابن الرومي تقدم ذكره في شواهد المسند إليه (٢) .

(١) اقرأها في الديوان

(٢) اقرأ ترجمته في شرح الشاهد (رقم ١٨)

1. The first part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

شواهد الایجاز والاطناب والمساواة

٥٨ - والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِي النَّوْكَ مِنْ عَاشٍ كَدًّا

البيت للحارث بن حِزْرَةَ اليشكري ، من الكامل المضمع المرفق ، وقيل^(١) :

فَاشْ بِجَدٍّ لَا يَصْرُ لَكَ النَّوْكَ مَا أُولَيْتَ جَدًّا^(٢)

والنوك - بضم النون وفتحها - الحق ، ومعنى « كدًّا » مكدوداً متعباً^(٣) .
والشاهد فيه : الاخلال ، لكونه غير واف بالمراد ، إذ أصل مراده أن
العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، ولفظه غير
واف بذلك .

وما أحسن قول ابن المعتز [من الكامل] :

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِحَالِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا

ولأبي عبد الله حمد بن أبي الفضل السلمي المرسى [من الكامل] :

عَابُوا الْجَهْلَةَ وَازْدَرَوْا بِحَقُوقِهَا وَتَهَاوَنُوا بِجَدِّهَا فِي الْمَجْلِسِ

وَهِيَ الَّتِي يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغَنَى وَتَجِئُهَا الدُّنْيَا بِرَغَمِ الْمَعْطَسِ

إِنَّ الْجَهْلَةَ لِلْغَنَى جَذَابَةٌ جَذَبَ الْحَدِيدُ جِجَارَةَ الْمَغْنِطِيسِ

ولأبي عبد البريدين من أبيات [من الخفيف] :

عَيْشٌ بِجَدٍّ وَلَا يَصْرُوكَ نَوْكٌ إِنَّمَا عَيْشٌ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ

عَشٌ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْعَبْسِيُّ نَوْكًا أَوْ شَيْبَةً بَنَ الْوَلِيدِ

وما أحسن قول بعضهم [من السريع] :

(١) اقرأ الآيات التي منها الشاهد والبيت الذي ذكره المؤلف في الأغاني

(٩ - ١٨١)

(٢) في الأصول « عيش بجد » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في الأغاني

(٣) الصواب أن يقال « متعباً »

تأخذ إخلال
اهتظ بالغنى
للرأد

إِن الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ الْحَقَّتِ الْعَاجِزَ بِالْقَادِرِ
وَبَدِيعُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ [مَنْ مَخْلَعُ الْبَسِيطِ] :

بِالْجِدِّ يُسَمَّى الْقَتَى وَالْأُفْلَيْسَ يُغْنَى أَبٌ وَجَدُّ
وَلَيْسَ يُجْدَى عَلَيْكَ كَدُّ مَادَامَ يُكْدِرُ عَلَيْكَ جَدُّ
وَمَا أَحْذَقُ قَوْلِ ابْنِ لَنَكْكَ [مَنْ الْبَسِيطِ] :

دُنْيَاكَ بَاتَتْ عَلَى الْأَحْرَارِ غَاضِبَةً وَطَاوَعَتْ كُلَّ صَفْعَانٍ وَضَرَّاطٍ
وَقَوْلُهُ أَيْضاً [مَنْ الْكَامِلِ] :

كُنْ سَاعِيًا وَمُصَافِعًا وَمُضَارِطًا تَنْزِلِ الرِّغَائِبَ فِي الزَّمَانِ وَتَنْفُقِ
وَلَوْ لَفَهُ مِنْ أَبْيَاتِ [مَنْ السَّرِيعِ] :

مَنْ يَبِغْ بِالْفَضْلِ مَعَاشًا يَمِتْ جَوْعًا وَلَوْ كَانَ بَدِيعَ الزَّمَانِ
وَمَنْ يَقْدُ أَوْ يَتَمَسَخَّرَ يَعْشُ عَيْشًا رَخِيًا فِي ظِلَالِ الْأَمَانِ
تَبْغِي الْحِجَابَ ثُمَّ تَرُومُ الْغَنَى يَا قَلْمًا تَجْتَمِعُ الضَّرَّتَانِ
وَلَطِيفُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ [مَنْ الْخَفِيفِ] :

قَدْ يُحَدُّ اللَّيْبُ عَنْ سَعَةِ الرِّزِّ قِي وَقَدْ يَسْعُدُ الضَّعِيفُ بِجَدِّهِ (١)
رُبَّ مَالٍ آتَى بِأَهْوَنِ سَعَى وَكَدُّوْهُ لَمْ يُغْنِهِ طَوْلُ كَدِّهِ
وَلَا بِنِ بِنَاتَةِ السَّمْدَى [مَنْ الْكَامِلِ] :

مَا بِالْطَّعْمِ الْعِيشَ عِنْدَ مَمَائِيزٍ حُلُوٍّ وَعِنْدَ مَعَاشِرٍ كَالْعَلَقَمِ
مَنْ لِي بِعِيشِ الْأَغْيِيَاءِ فَانْهَ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

(١) فِي الْأَصُولِ « قَدْ يُجَدُّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ ، وَيَحْدُ
- بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ مَبْنِيًا لِلْمَجْهُولِ - يُحْرَمُ وَيَمْنَعُ

والحارث^(١) بن حِلْزَة هو من بنى يَشْكُر من بكر بن وائل ، وكان أبرص ، وهو القائل [من الخفيف] :

أَدْنَتْنا يَبَيْتِها أَسْماءُ رَبِّ ذُو الْبَلِّ مِنْهُ الثَّوَاهُ

وقال : إنه ارتجىها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح ، وكان يشده من وراء السجف للبرص الذي كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له ، وكان الحارث متوكئاً على عترة فأتت في جسده وهو لا يشعر ، وكان له ابن يقال له مذعور ، ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور ، وكان ناسباً وفيه يقول مسكين الدارمي [من الوافر] :

هَلْ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٌ يُنْبِئُ بِالسَّقَالِ وَالْمَعَالِ

قال الأصمعي : قد أقوى الحارث بن حِلْزَة في قصيدته التي ارتجىها :

فَلَكُنَّا بَنُوكَ النَّاسَ إِذْ مَا مَلَكَ الْمَنْزُرُ بِنِ مَاءِ السَّاءِ^(٢)

قال أبو محمد : ولن يضر ذلك في هذه القصيدة ، لأنه ارتجىها فكانت كلخطبة .

٥٩ — وَأَلْنِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيَّنَا

الخطوب

هو من الوافر ، وصدره :

(١) للحارث بن حِلْزَة ترجمة في الأغاني (٩ : ١٧٧ — ١٨١)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه :

« قوله فَلَكُنَّا بَنُوكَ ، لم أقف على هذا البيت في القصيدة بعد مراجعتها في شرح المملقات فلينظر »

وعادة الأصمعي ورواية البيت بصورته هنا مأخوذة عن الشعراء لابن قتيبة والتعليق عليه تعليقته (انظره ٩٦)

* وقدَدَتِ الأديمَ راهشيه (١) *

وقالته عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة طويلة أولها :
 أَبدَلَتِ المنازلُ أم غنيها بقادمٍ عهدهنَّ قدَّ يَلِينَا
 يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر بن ماء السماء :
 ألا يا أيها المثرى المرجى ألم تسمع بخطبِ الأولينا
 ومنها ويذكر غدر الزباء بمجذبة الأبرش :
 دعا بالبقَّةِ الأمراء يوماً جديمةً غَضَرُ يَنجُوهمُ ثِينَا (٢)
 فطَافَ أَمْرهمُ وَعَصَى قَصيراً وكانَ يقولُ لو تَبِعَ اليَقِينَا
 وَدَسْتُ في صَحيفَتِها إِلَيهِ لِمَلِكٍ بَضْعَها وَلأن تَدِينَا
 فَنَاجَها وقد جَمَعَت فيوجاً على أبوابِ حِصْنٍ مُضَلِّينَا (٣)
 فَأَزْدَتَهُ وَرَغِبُ النفسِ يُرْدِي وَيبدى للفتى الحينَ المُبِينَا
 وَحَدَّثَتِ العَصَا الأَنْبَاءَ عَنْهُ ولم أَرِ مثلاً فَارِسَها هَجِينَا
 وبعده البيت المستشهد بعجزه ، وبعده :

(١) اقرأ هذه الأبيات في الشعراء لابن قتيبة (١١٢-١١٣) وقد روى هناك « وقدمت الأديم » وفي لسان العرب (م ي ن) كما هنا « فقددت »
 (٢) في الأصول « ينحوم بنينا » وما أثبتناه موافق للشعراء ، وينجوم : من التجوى ، يريد يناجبهم ، وثيينا : جمع ثبة بمعنى الجماعة ، وهو حال من المفعول

(٣) هذا البيت والبيت الذى ذكر أنه المطلع لا يوجدان في الشعراء لابن قتيبة . و« فيج » : جمع فيج - بفتح وسكون - وهو رسول السلطان ، وهو أيضا الذى يدخل السجن ويخرج للحراسة ، فارسى معرب ، قاله فى اللسان (ف ي ج)

ومن حذر الملاييم والحمازي
أُظفَ لآلف الموصى قصير
فأهواهُ لما رنَّ فاضحى
وصادفت امرأ لم نخش منه
فلما ارتد منها ارتدَّ صلباً
أنتها العيسُ نَحملُ ما دهاها
ودسَ لها على الاتفاقِ عمراً
لجأها قديم الأثرِ غَضبا
فأضحت من خزايتها كأن لم
وأبرزها الحوادث والنساي
إذا أهملنَ ذا جَدِّ عظيم
ولم أجد الفتى يلهو بشئ
وهنَّ المندبات لمن منينا
ليجدهُ وكان به ضينا
ملااب الوترِ بجوداً مشيناً
غواثلهُ وما أمنت أمنيأ
يجزُّ المالُ والصدر الضعيفنا
وقنَّ في المسوح الدارِعينأ
بشكتْهُ وما خُشيت كينا
يصكُّ به الحواجبُ والجبينأ
تكن زبأً حاملاً جنينا
وأى معمر لا يتلينا
عطفن عليه ولو فرطن حينأ
ولو أترى ولو ولد البنينا

وكان من (١) خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بنى
إياد كما ذكره ابن السكبي، وكنيته أبو مالك، وكان في أيام ملوك الطوائف،
وقال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة،
وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ما والى ذلك إلى السواد، ستين سنة، وكان به
برص، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا: الأبرش، والوضاح، وقيل: 'صهى
بنلك' لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره تقطاسودا وحرا، وكان الملك قبله أباه،
وهو أول من ملك الحيرة، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم

خبر جذيمة
الأبرش

(١) انظر مروح العيون (٣٩ و ٤٢) وانظر مجمع الأمثال للميداني

(١ - ١٥٧ الحيرية)

على كثير مما في أيديهم ، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب مملكته وألجأ الزباء إلى أطراف مملكته ، وكانت عاقلة أربية فبعثت إليه تخطبه لنفسها لينصل مملكة مملكتها ، فدعته نفسه إلى ذلك ، وقيل : هو الذي بعث إليها بخطبها ، فكتبت إليه : إني فاعلة ومثلك يُرغَب فيه ، فإذا شئت فاشخص إليّ ، فشاور وزراه فكلُّ أشار عليه أن يفعل ، إلا قصير بن سعد فانه قال له : أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر - فعصاه وأجابها إلى ما سألت ، فقال قصير عند ذلك : لا يُطَاع لقصير رأى ، وقيل : أمر ، فأرسلها مثلاً ، ولم يكن قصيراً ، ولكن كان اسماً له ، ثم إنه قال له : أيها الملك أما إذ عصيتني فإذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان ترجلوا وحيّوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني ، وإن رأيتهم إذا حيّرك طافوا بك فاني معرض لك العصا — وهي فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبها وانج ، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال : ما ذلَّ من جرَّت به العصا ، فأرسلها مثلاً ، وأدخل جذيمة على الزباء ، وكانت قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخلت تكشفت له وقالت : أمتاعٌ عروسٍ ترى يا جذيمة ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فقالت : إنه ليس من عدم المواسي ، ولا من قلة الأواسي ، ولكنها شيمة ما أقاسي ، (١) وأمرت فأجلس على نطع ، ثم أمرت برواهشه فتقطعت ، وكان قد قيل لها : احتفظي بدمه فانه إن أصاب الأرض قطرة من دمه طُلب بشأره ، فقطرت قطرة من دمه في الأرض ، فقالت :

(١) في مجمع الأمثال « لا من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس »

لأنضيموا دم الملك ، فقال جذبية : دعوا ما ضيعه أهله ، فلم يزل الدم يسيل إلى أن ملت .

ثم إن قصيراً أتى عمرًا ابنَ أخت - جذبة وأخبره الخبر ، وحرضه على أخذ الثأر ، واحتمل لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ، ولحق بالزباء ، وزعم أن عمرًا فعل به ذلك ، وأنه اتهمه بمالآته لما على خاله ، ولم يزل يخذعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق يمال فيأتي إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشتري به ما يطلبه ويأتي إليها به ، إلى أن تمكن منها وسلته مفاتيح الخزائن وقالت له : خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمرًا فانتخب من عسكره فرساناً والبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ، ثم حمل على كل بهير رجلين مهبماً سلاحهما وجعل يسير التبارح حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق ، فلم يزل كذلك حتى شارب المدينة ، فأورم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلاً ، وعرف أنه مصيَّبها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم ، وقال : هذه العيرُ تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله ، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العيرَ وهي تدخل المدينة فأنسكت مشيها وجعلت تقول [من الرجز] :

ما للجِمالِ مشيها وثبيداً أجندلاً يحملن أم حديداً
أم صرَّ قانا بارداً شديداً أم الرجالِ جنماً قعوداً

فلما توافت العيرُ المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد ، وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها إذا خشيت خرجت منه ، فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمس خاتماً وفيه سم وتقول : بيدي لا بيده عمرو ، وفارقت الدنيا . والراهشان : عرقان في باطن الذراعين .

والشاهد فيه : التطويل ، وهو أن يكون اللفظ رائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الرائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه

لأنهما بمعنى واحد .

وعدى (١) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب (٢) ينتهي نسبه إلى زار ، وكان
 أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنباري أول من سمي من العرب أيوب ، وكان عدى
 شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نعرانيا ، وكذلك كان أبوه وأهله ،
 وليس من بعد من الفحول ، إذ هو قروي ، وقد أخذ عنه أشباه عييبها ، وكان
 أبو عبيدة والأصمعي يقولان : عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم
 يمارضها ولا يجرى معها بجراها ، وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت النقي ،
 ومثلها عندهم من الأسلاميين السكيت والطرماح . وقال ابن قتيبة : كان يسكن
 الحيرة ويدخل الأرياف فنقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا ، وعلمناؤنا
 لا يرون شعره حجة .

وله أربع قصائد غرر : إحداهن أولها [من الخفيف] :
 أزواجٌ مودَّعٌ أم بكورٌ لك فاعِدْ لآي حالٍ تصيرُ
 وفيها يقول :

أيها الشامتُ المُميرُ باللهِسرِ أأنتَ المبرأُ الموفورُ
 أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيسامِ أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ
 من رأيتَ المنونَ جازتُهُ أم من ذا عليه من أن يضامَ خَفيزُ (٣)
 أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشيرُ وإنَّ أم ابنِ قبله سَابورُ (٤)

(١) لعدى بن زيد ترجمة في الشعراء لابن قتيبة (١١١) وفي الأغاني
 (٢ - ١٨) وفي خزائن الأدب (١ - ١٨٤)

(٢) في الأغاني « عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب »

(٣) في الشعراء « من رأيت المنون خلدن »

(٤) في الشعراء « كسرى الملوك أبو ساسان »

وبنو الأصغر الكرام مؤنة الرُّوم ، لم يبقَ منهم مذكورٌ
 وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجَّسه نُجَّيَ إليه والخابورُ
 شادَهُ مَرَمًا وَجَلَّهُ كُلًّا فَلطَّيرٍ في ذَرَاهُ وَكُورُ
 وَتَبَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرَنَقِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلَهْدَى تَفَكِيرُ
 سرَّهُ حالَهُ وَكَثَرَهُ مَا بِمَمْلُوكٍ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْرُ^(١)
 فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غَبِطَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ثم بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْأَمْسَةِ وَارْتَبَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
 ثم أَصْحَوْا كَأَنَّهُمْ رَوْقٌ جَفَّ فَأَلَوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ^(٢)
 والثانية أولها [من الطويل] :

أَتَرَفَ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ نَمَ فَرَمَاكَ الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلِّدِ
 أَعَاذَلْ مَا يُدْرِيكَ أَنْ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْغَدِ
 خَرِبْنِي فَأَنْيَ إِتْمَالِي مَا مَضَى أُمَامِي مِنْ مَالِي إِذَا خَفَّ عَوْدِي
 وَحَتَّ لِمَقَاتِي إِلَى مَنِيَّتِي وَغُودِرْتُ قَدْ سَلَّتْ أُولَمْ أَوْسَدِ
 وَلِلْوَارِثِ الْبَاقِي مِنَ الْمَالِ فَاتَرَكِي عَتَابِي فَأَنْيَ مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدِ
 والثالثة أولها [من المنسرح] :

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَبَنِ الـ أَيَّامٍ يَفْسُونُ مَا عَوَاقِبُهَا
 وَالرَّابِعَةُ أولها [من الخفيف] :
 طَلَّ لَيْلِي أَرَاقِبُ التَّنَوِيرَا أَرْقُبُ اللَّيْلَ بِالصَّبَاحِ بَصِيرَا
 انتهى ما قاله ابن قتيبة .

(١) في الأغاني « سره ماله » وفي الشعراء مثل ما هنا

(٢) في الأغاني « ثم صاروا » وفي الشعراء مثل ما هنا

وكان جده أيوب منزله بالبيعة فصاب دما في قومه فهرب فملحق بئوس
ابن قدامة أحد بني الحرث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل
النساء ، فقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها ، وعرفوا حقه وحق بني
وئيل وعدي وأبغضوا ضربه أبوه في الكتاب ، حتى إذا حقق أرسله مرزبان
الحيرة مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم
الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم
بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم
لعب العجم على أنجيل بالصوالة وغيرها ، ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه
ابنه شاهان مرد ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتصاعما
كما يتصاعم الذكر والأنثى يجعل كل واحد منهما منقاره في منقار الآخر ، فغضب
كسرى من ذلك ، ولحقته غيرة شديدة ، فقال للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد
منكما واحداً من هذين الطائرين فان قتلتها ما أدخلتك بيت المال وملأت أفواهكم
بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا
قتلها جميعا ، فبعث بهما إلى بيت المال فثلثت أفواههما جوهراً ، وأثبت شاهان
مرد وسائر أولاد المرزبان في صحبته ، فقال عند ذلك للملك : إن عندي غلاماً
من العرب مات أبوه وخلفه في حجرى فريته ، وهو أفصح الناس وأكثبهم
بالعربية والفارسية ، والمالك محتاج إلى مثله ، فان رأى الملك أن يثبتني في ولى
فل ، فقال : ادعه ، فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ،
وكانت الفرس تتبرك بالجميل ، فلما كلمه وجهه أطرف الناس وأحضرهم جواباً ،
فرغب فيه وأثبتني مع ولد المرزبان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان
كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه ، فلم يزل بالمداين في ديوان

كسرى يؤذن له عليه في الخاصة ، وهو معجب به (١) قريب منه ، وأبوه زبد بن حماد حتى إلا أن ذكر عدى قد ارتفع وخجل ذكر أبيه (٢) ، فكان عدى إذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدى ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، وكان إذا أراد المقام في الحيرة مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ، ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده ، فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون ، فن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر ، فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيها ذكر [من الخفيف] :

رُبُّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزْعِ مِنْ دُوْمَةٍ أَشْهَى إِلَى مِنْ جِيرُونَ
وَدَعَايَ لَا يَفْزَحُونَ بِمَا نَا لَوْ لَا يَتَقُونَ صَرَفَ الْمُنُونِ (٣)
قَدْ سَقَيْتَ الشَّوْلَ فِي دَارِ بَشَرٍ قَهْوَةً مُرَّةً بِمَاءِ سَخِينِ (٤)

ثم إن عديا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذي ربه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى في المقام (٥) بالحيرة ، فتوجه إليها وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يملكه للملكه ، ولكنه كان يؤثر الصيد والاهو واللعب على الملك ، فمكث سنين يبدو في فصلى السنة ، فيقيم في البر (٦) صيفا ويشنو

(١) في الأصول « وهو معجب له » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٢) في القصة أن المرزبان قال لكسرى « إن عندي علما من العرب مات

أبوه وخلفه في حجرى فريته »

(٣) في الأغاني « ولا يرهبون صرف المنون »

(٤) هكذا في أصول هذا الكتاب وفي الأغاني ، وأجسبه « قهوة مزنة »

بالزاي

(٥) في الأغاني « في الامام بالحيرة » فأذن له ،

(٦) كذا والذي في الأغاني ، « فيقيم في جفير ويشنو بالحيرة »

بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، فكث بذلك سنين .
ثم إن المنذر هلك وقام ابنه النعمانُ مقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ، ثم لم يزل
الحسدة يوقعون بينه وبين عدى إلى أن حبسه ، فقال فى ذلك أشعاراً كثيرة
منها [من الرمل] :

طالَ ذا الليلُ علينا واعتَكَرُ وكأني بادرُ الصبحِ تَهَمُّرُ^(١)
منَ نَجَى الهمَّ عِندِي ثَوِيًّا فوقَ ما أعلنُ منهُ وأسرَّ
وكانَ الليلَ فيه مثلهُ ولقدِّمًا ظنَّ بالليلِ القصرُ^(٢)
لَمْ أَعْصُ طولهُ حتى انقضى أنحنى لو أَرَى الصبحَ حَشَرُ^(٣)
غيرَ ما عَشِقَ ولكنَّ طارقُ خلَّسَ النومَ وأجداني السهرُ
وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضاً [من الرمل] :

أبلغ النعمانَ عني ما أُلِكَأ أنه قد طالَ حبسِي وانتظارُ
لو بغيرِ الماءِ حلتى شَرِقُ كنت كالعَصانِ بالماءِ اعتصارُ
ليت شعري مَنْ دَخِيلٌ يَعتري حينما أدركَ ليلي ونهارُ^(٤)
قاعدًا يَكربُ نفسى بَهَا وحرامَ كانَ سَجْنِي واختصارُ^(٥)

-
- (١) فى الأصول « وكأني بادر الصبح سحر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً
لما فى الأغاني
(٢) فى الأصول « ولقد أبطن بالليل القصر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً
لما فى الأغاني
(٣) فى الأصول « جسر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى الأغاني
(٤) رواية هذا الشعر فى الأغاني :
ليت شعري عن دَخِيلٍ يفتري حينما أدري ليلي ونهار
(٥) فى الأغاني « وحراماً ما كان سجنى » وهو أصح عربية

في قصائد كثيرة كان يقولها ، ويكتب بها إليه ، فلا تجدى عنده شيئاً
ولقد تداول الشعراء معنى بيت عدى « لو بغير الماء حلقي شرق إلح »
بعد عدى ، فقال أبو نواس [من البسيط] :

غصصتُ منك بما لا يدفعُ الماءَ وصحَّ حبك حتى ما به داه

وقال الآخر [من البسيط] :

من غصَّ داوى يشرب الماء غصصته فكيف يصنعُ ن قد غصَّ بالماء

وقال الخبrazى [من البسيط] :

بالماء أدفعُ شيئاً إن غصصتُ به فما احتيالى وغصى منك بالماء

ثم لما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى ، يعلمه
بحاله : فلما قرأ كتابه قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرفه بخبره ، فكتب
إلى النعمان يأمره باطلاقه ، وبعث معه رجلاً ، وكتب خليفة النعمان إليه ، إنه قد
كتب إليك في أمره ، فأبى النعمان أعداء عدى ، وقالوا : اقتله الساعة ،
فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدى تقدم إليه ورشاه ، وأمره أن
يبدأ بمدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصين ، فقال له : ادخل عليه ، وانظر
ماذا يأمر بك به ، فامثله ، فدخل الرسول على عدى ، فقال له : إني قد جئت بأمر
فما عندك ؟ قال : عندي الذي تحب ، ووعدته عدة سنين ، وقال له : لا تخرج
من عندي ، وأعطاني الكتاب حتى أرسله إليه ، فانك والله لن تخرجت من
عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ،
فانطلق بعض من كان هناك من أعداء عدى ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى
دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحداً ، أنت ولا
غيرك ، فبعث إليه النعمان أعداءه فعموه حتى مات ، ثم دفنوه ، ودخل الرسول
إلى النعمان ، فأوصل الكتاب إليه ، فقال : حباً وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف

منقال ذهب وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك المجلس فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأخبره الحارس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجترئ على إخبار الملك بذلك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع إلى النعمان فقال : إني قد كنت أمس دخلت على عدى وهو حى ، وجئت اليوم فوجدتني السجنان وبهتني ، وذكر لى أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أبيعك بك الملك إلى فتدخل إليه قبلى ؟ كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، وتهده ، ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إني قد وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتله ، وعلم أنه قد احتيل عليه فى قتله ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبة شديدة .

وكان لدى ولد اسمه زيد ، فسيره النعمان إلى كسرى ، ووصفه بأوصاف جميلة ، فوقع من كسرى الموقع ، فسا زال يعمل الحيلة إلى أن غير كسرى على النعمان وأرسل إليه أن أقبل علينا ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل طيء ، ثم بعث إلى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف ، فقبلها كسرى وأظهر له الرضا ، وأمره بالقدوم ، فعاد الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً ، فضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدى عند قنطرة ساباط ، فقال له : انج نعم إن استطعت النجاة ، فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله إن عشت لك لأقتلك قتلة لم يقتلها عربى قط ولألقنك بأبيك ، فقال له زيد : امض لشأنك نعم فقد والله أخيت لك أخية^(١) لا يقطعها المهر

(١) الأخية — بفتح الهذرة وتشديد الياء — أن تدفن طرفى جبل فى الأرض فتظهر منه مثل عروة تشد فيها الدابة ، وأختيتها : صنعتها ، وأراد أنه حبك له حيلة لا يستطيع الفكاك منها .

الأمر^(١)، فلما بلغ كسرى أنه بالبالب بعث إليه فقيهه، وبعث به إلى سجن له بخاقين، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه. وقال ابن الكلبي: ألقاه تحت أرجل القيلة فوطئته حتى مات؛ وأنكر هذا من زعم أنه مات بخاقين؛ وقالوا: لم يزل محبوساً مدة طويلة، وإنما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام. وغضبت له العرب حينئذ، وكان قتله سبب وقعة ذي قار.

وكان عدى يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول [من الرمل]:

عَلَّقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هَنْدٍ عَلَّقَ مُسْتَمِرٌّ فِيهِ نَصَبٌ وَأَرْقُ^(٢)
وفيه يقول أيضاً [من الرمل]:

مَنْ إِيْلَبَ دَنْفٍ أَوْ مُعْتَمِدٍ قَدْ عَصَى كُلُّ نَصِيحٍ وَمُعْتَدٍ^(٣)
وفيه يقول أيضاً [من الخفيف]:

يَا خَلْبِلَى يَسْرَآ التَّمِيرَا نَمُّ رُوحَا فَهَجَرَا تَهْجِيرَا
عَرَجَا بِي عَلَى دِيَارِ لَهْنَدٍ لَيْسَ أَنْ مَحْجَمَا الْمَطَى كَبِيرَا^(٤)

وقد تزوجها عدى في خبر طويل، فسكبت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها في الدبر المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة، وكان هلاكها بعد الاسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته،

(١) المهر الأرن — بفتح الهمزة وكسر الراء — المرح النشيط، وفعله أرن يأرن أرنأ — على وزن مرح يرح مرحا — وإرانا، وأرنا، مثل عناق وذميل

(٢) مستمر: مخفف مستكتم، والنصب — بفتح النون أو ضمها مع سكون الصاد — الداء والبلاء والشر

(٣) في الأغاني «قد عصى كل نصوح»

(٤) في الأغاني «ليس أن محجما المطى كثيرا»

وقالت : والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبته في لاجبتك
ولكنك أردت أن تقول في المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنور وتزوجت
ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ، قالت : فلا سبيل إليه

* * *

خامس
المعراج

٦٠ - وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَصَبْرٍ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءَهُ شُعُوبٍ

البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة
ابن حمدان ويمزيه بعلامه يملك التركي ، وأولها (١) وفيه انحراف وهو حنف الحرف
الأول من الوند المجموع :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَأُفْنِي لَا خُدُّ مِنْ حَالَتِهِ بِنَصِيبٍ
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ نِمَّ بَكِي أَسَى بَكِي بُعِيونَ سَرُّهَا وَقُلُوبٍ
وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبُهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحَبَّةَ قَبْلُنَا وَأَعْيَا دَوَامُ الْمَوْتِ كُلُّ طَبِيبٍ
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جَيْتَةٍ وَذُهوبٍ
تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمْلِكُ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضَى فِرَاقَ سَلِيبٍ
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

وَأُوْفِي حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتُهُ بَعْدَ مَشِيبٍ
لَا بَقِي يَمَّاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةٍ إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيبٍ
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمِبارِكٍ وَلَا كُلُّ جَنَنِ ضَيِّقٍ بِنَجِيبٍ
لَنْ مَظْهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَابَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبٍ

(١) ارجع إليها في الديوان (١ - ٤٩)

وَفِي كُلِّ قَوْمٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضِلٌ وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبٌ
يَمُرُّ عَلَيْهِ أَنْ يُجْلَ بِعَادَةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهَوٍّ غَيْرٍ مُجِيبٌ
وَكَنتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبَدَتَيْنِ أُرِيبُ^(١)
فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقُ النَّفِيسَ فَتَدْتُهُ فَمَنْ كَفَّ مِتْلَافٍ أَعَزَّ وَهَوْبُ^(٢)
لِأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جَدَّ إِذَا لَمْ يُؤْذَ سَجْدَهُ بِعُيُوبِ^(٣)
وَوَلَا أَيْدِي الدَّهْرِ فِي السَّجْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
وهي طويلة

وشعوب : اسم للمنية غير منصرف للعالمية والتأنيث ، وصرفه للضرورة ،
سميت المنية بذلك لأنها تشعب : أى تفرق .

والشاهد فيه : الحشو الزائد المفسد ، وهو هنا لفظة « الندى » لأن المعنى
أن الدنيا لا فصل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم
الموت ، وهذا إنما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء ، فان الشجاع إذا تيقن
الخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن في ذلك فضل ،
وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره
على المكروه لوثوقه بالخلوص منه ، بل مجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر
على المكارة ، ولهذا يقال : هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح ؟ بخلاف
البازل ماله ، فانه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله
حينئذ أفضل ، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ، ولهذا قال طرفة [من الطويل] :

(١) في الديوان « أدب »

(٢) في الأصل « أعز » وأثبتنا ما في الديوان

(٣) في الديوان « كأن الردى عاد »

فَإِنْ كُنْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَذَرْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(١)
ومثله قول مهباز الديلمي [من المتقارب] :

فَكُلْ إِنْ أَكَلْتَ وَأَطْعَمَ أَخَاكَ فَلَا الزَّادُ يَبْقَى وَلَا الْأَكْلُ
وقيل : المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد [من البسيط] :
يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعل
وجه الاضافة ، والأقرب ما ذكره ابن جني ، وهو أن في الخلود وتنقل الأحوال
فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ، ويسهل البؤس ،
فلا يظهر لبذل المال كنذر فضل

عامد الحث
غير المقصد

٦١ — * وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *
هو من البحر الطويل ، وتماه :

* وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمَّ *

وقائله زهير بن أبي سلمى ، وهو من آخر قصيدة^(٢) قالها في الصلح الواقع
بين عيس وذبيان ، وأولها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَسْكَمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُنْتَمِ

(١) في نسخ المعلقات « فإن كنت لا تستطيع » و « فدعى أبادرها »
انظر شرح التبريزي على القصائد العشر (٨١)

(٢) هي إحدى السبع المعلقات وأقرأها في شرح القصائد العشر للتبريزي
(١٠٠) وفي جهرة أشعار العرب (٤٧) وفي الديوان (٤ - ٣٢)

وَدَارُهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِهِمْ^(١)
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ نَجْمٍ

ومعنى البيت : إن على قدي يحيط بما مضى وبما هو حاضر ، ولكنني عني القلب عن الاحاطة بما هو منتظر متوقع ، يريد لا أدرى ماذا يكون غدا والشاهد فيه : الحشو الغير مفسد^(٢) للمعنى ، وهو لفظة « قبله »
ومثله قول عدى المتقدم [من الكامل] :

نَحْنُ الرُّؤْسُ وَمَا الرُّؤْسُ إِذَا سَمْتُ فِي التَّجْدِيدِ لِلْأَقْوَامِ كَأَنَّ الذَّنَابِ
قَوْلُهُ « لِلْأَقْوَامِ » حَشْوٌ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ الرَّأْسِ فِي الْمَقْدَمِ وَالرَّائِسِ
بِجَازٍ ، وَذَكَرَ الْأَقْوَامَ كَالْقَرِينَةِ
وقول الآخر [من مجزوء الوافر] :

ذَكَرْتُ أَخِي فَمَا وَدِنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فَلَفْظَةُ « الرَّأْسِ » حَشْوٌ ، فَإِنَّ الصَّدَاعَ لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الرَّأْسِ
وَمِنْ الْحَشْوِ الْمَفْسَدِ قَوْلُ دِيكَ الْجَنِّ [من الكامل] :

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجْتُ بِالْمَاءِ وَاسْتَلْتُ سَنَا الْقَهْبِ
كَتَنَفَسِ الرِّيحَانِ خَالِطُهُ مِنْ وَرْدٍ جَوْرٍ تَأْضُرُ الشَّعْبِ
فَذَكَرَهُ الْمَزَاجَ يَفْنَى ، وَالْمَاءَ فَضْلَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ قَصَرَ عَنْ قَوْلِ أَبِي
نَوَاسٍ^(٣) [من الكامل] :

(١) رواية الخطيب « ديار لها بالرقتين » و« مراجع وشم » وفي كامل المبرد (١ : ٥١) « ودار لها » و« مراجع وشم »
(٢) الصواب أن يقال « غير المفسد للمعنى »
(٣) هـ في الديوان (٣٠٣) ضمن قصيدة

سلا قنَاعَ الطينِ عن رَمَقٍ حَيَّ الحَيَاةِ مُشَارَفَ الحَنَفِ
فَتَنَفَسْتُ فِي البَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ كَتَنَفَسَ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ
وزهير بن أبي سلمى^(١) هو أبو كعب وبُجَيْر ، واسم أبي سلمى ربيعة بن
رجة زهير بن
رياح بن قرّة ، ينتهي نسبه لزار ، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ،
وإنما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف
فيهم ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابة الذبياني .

وعن عمر بن عبد الله اللبني قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة
في مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ قال : فأتيته^(٢) ، فشكا إلى تخلف عليّ
ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فقالت : أُولَمْ يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت :
هو ما اعتذر به . ثم قال : إن أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر رضي الله
عنه ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ، ثم ذكر رضي الله
عنه قصة طويلة . قال : ثم قال لي : هل تروى اشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن
هو ؟ قال : الذي يقول [من الطويل] :

وَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يَخْلُدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمَخْلُدٍ^(٣)

قلت : ذاك زهير بن أبي سلمى ، قال : هو شاعر الشعراء ، قلت : وبم
كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يماطل في الكلام ، وكان يتجنب
وحشي الشعر ، وكان لا يمدح أحداً إلا بما هو فيه .

(١) تجد ترجمة زهير في الأغاني (٩ : ١٤٦ - ١٥٨) وفي الشعر
والشعراء (٥٧) وفي خزانة الأدب (١ - ٣٧٥)
(٢) في الأغاني « فأتاه » وكذلك في كل الضمائر وهي أنسب لأن راوى
القصة ليس هو ابن عباس

(٣) في الأغاني « وَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يَخْلُدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا » وهي أنسب بقوله
« يَخْلُدُ النَّاسَ » وبقوله « يَمْخُلِدُ »

وفي رواية أنه قال له : أنشدني له ، فأشده حتى برق الفجر ، فقال : حبسك ، الآن اقرأ القرآن ، قلت : وما اقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذن وصلى .

وسأل معاوية الأخنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كُتِبَ عن المادحين فضول الكلام ، قال : بما ذا ؟ قال : بقوله [من الطويل] :

فأبئك من خير أتوه فأنما توارثه آباء آبائهم قبل
وبروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير بن أبي سلمى ، وله
مائة سنة . قال : اللهم أعذني من شيطانه ، فالالك بيتا حتى مات .

وعن الأصمعي قال : قال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هريم بن سنان :
أنشدني مدح زهير أبائك ، فأشده ، فقال عمر : إن كان ليُحسن القول فيكم ،
فقال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء ، فقال : ذهب ما أعطيتموه
وبقي ما أعطاكم .

قال : وبلغني أن هريم بن سنان كان قد حلف أن لا يعده زهير إلا أعطاه ،
ولا يأنه إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، غرة عبداً أو وليدة أو فرساً ،
فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه فى ملاً قال : انعموا صباحا
غير هرم ، وخيركم استئثنت .

وعن عمر بن شبة قال : قال عمر رضى الله عنه لابن زهير : ما فعلت بالحلل
التي كساها هرم أبائك ؟ قال : أبلاها الدهر ، قال : لكن الحلل التي كساها أبوك
هرماً لم يبلها الدهر .

وقال أبو زيد الطائي^(١) : أنشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قول
زهير [من الطويل] .

(١) فى بعض النسخ « أبو زيد الطائي »

ومهما يكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإن خالها نفي على الناس تعلم
 فقال : أحسن زهير وصدق ، ولو أن الرجل دخل بيتاً في جوف بيت لنحدث
 به الناس ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعمل عملاً تتركه أن
 يتحدث الناس به عنك » ، ومنه قول عمرو بن الأهتم [من الطويل] :
 إذا المرء لم يُحِبِّكَ إلا تَكْرَهُاً بذالك من أخلاقه ما يغالب
 وقول أبي الطيب المتنبى [من الطويل] :

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفنى أكان سخاءً ما أنى أم تساخياً
 وعن المدائني أن عروة بن الزبير رضى الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان
 رضى الله عنهما ، فكان إذا دخل عليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه
 وعنده أهل الشام استخفّ به ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور
 أنت تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا ، ثم قال : لله در زهير حيث يقول
 [من الوافر] :

قحلى من ديارك إن قوماً متى يدعروا ديارهم يهونوا
 ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة المنورة ، فقصى حوائجه وأذن له .
 وقال ابن الأعرابي : كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ،
 وهو شاعر ، وخاله شاعر ، وابناه كعبٌ وبجيرٌ شاعران ، وأخته سلمى شاعرة ،
 وأخته الخنساء شاعرة ، وهى القائلة ترثيه [من الوافر] :

وما يغنى توفى المرء شيئاً ولا عقد التميم ولا الفضارُ
 إذا لاقى منيته فأمسى يساقُ به وقد حق الحذارُ
 ولا قاهُ من الأيام يومٌ كما من قبلُ لم يخلد قدارُ
 وكان زهير يضرب به المثل في التنقيح ، فيقال « حوليات زهير » ، لأنه
 كان يعمل القصيدة في ليلة ثم يبقى حولاً ينتقها .

ومما يمد من محاسنه قوله [من الطويل] :
 وَأَبْيَضُ فَيَاضُ نَدَاهُ غَامَّةٌ عَلَى مَقْتَبِهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلِكًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 وقوله أيضاً [من البسيط] :

كَمْ زَرْتُهُ وَظِلَامُ اللَّيْلِ مَنْسَدٌ مَسْهُمٌ رَاقٍ إِعْجَابًا بِاتِّحَامِهِ
 وَأَبْتُ وَالصَّبِيحُ مَنْحَوْرٌ بِكُوكِبِهِ وَسَائِقُ الشَّقِّ الْحَمَرُ مِنْ دَمِهِ
 ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة ، وغرثها قصيدة كعب ، وهي :
 * بَانَتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

المشرقة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم .

٦٢ — فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتَ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
 البيت للناطقة الذبياني ، من قصيدة من العلويل يمدح بها أبا قابوس ، وهو
 النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأولها ^(١) :

عَفَاذُ وَحْشًا مِنْ فَرْتَنَى فَالْفَوَارِعُ فَعِجْبًا أُرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاعُ ^(٢)
 فَمَجْمَعُ الْأَشْرَاجِ غَيْرُ رَسْمَا مَصَائِفُ قَدَمْتُ بِنَا وَمَرَايِعُ ^(٣)
 تَوَهَّمْتُ آيَاتُهَا فَمَرَقَهَا لَسْتُ أَعْوَامُ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ
 إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

وَقَدْ حَالَمَ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ
 وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهٍ أَنَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَارِجُ

شاهد مساواة
اللفظ للمعنى

(١) ارجع إليها في الديوان (٣٧)

(٢) في المطبوعتين « الروافع » محرطاً عما أثبتناه عن الديوان والأغاني

(٣) في الديوان « مصاييف مرت بعدنا ومرايع » وكذلك في الأغاني

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَمِيلَةٌ
مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَلِهَا الشَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّهَامِ سَلِيمَهَا
لَحَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاغُ (١)
تَبَادَرَهَا الرَّاغَوْنَ مِنْ سُوءِ صَمَهَا
تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجُعُ (٢)
أَتَانِي أَبَيْتُ اللَّعْنَ أَنَّكَ لُمْتَنِي
وَتِلْكَ الَّتِي تَسْنُكَ مِنْهَا الْمَسَامُحُ (٣)
مَقَالَةٌ أَن قَدْ قَلْتُ سَوْفَ أَنَا لَهُ
وَذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

فَأَنْ كُنْتُ لِأَذْوَالِ الصُّنَنِ عَنِ مُكَذَّبٍ
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ
وَأَنْتَ بِأَمْرِي لَا مُحَالَةَ وَاقِعٌ
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

خَطَّاطِيفُ حُجْنٍ فِي حَيْالٍ مَتِينَةٍ
تَمُدُّ بِيهَا أَيْدِي إِيْلَيْكَ نَوَازِعُ
سَتَبْلُغُ عَذْرَاءً أَوْ نَجَاحًا مِنْ أَمْرِي
إِلَى رَبِّهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ رَاكِعُ (٤)
أَتَوَعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُذْكَ أَمَانَةٌ
وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ظَالِمُ (٥)
وَأَنْتَ رَبِّيعٌ يُنْعَشِ النَّاسَ سَيْبُهُ
وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَةُ قَاطِعُ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ
فَلَا التَّكْرَمُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعَرَفُ ضَائِعُ

- (١) في الأصول « فقاغ » محرفا عما أثبتناه عن الديوان
(٢) في الأصول « تبادرها » وهى رواية ، و « مطلقة طوراً » وهو
تخريف ما أثبتناه عن الديوان
(٣) في الأصول « وتلك التى تستد »
(٤) هذا البيت لا يوجد فى الديوان ، وليس بملتم مع بقية أبيات
القصيدة
(٥) بوى « وهو ضالع » والضالع : الجائر المذنب . والظالم : الجائر
عن الحق

وَنُسْقَى إِذَا مَا شَتَّ غَيْرَ مُصَرَّدَ بَرَزَرَاءَ فِي حَاقَتِهَا الْمُسْكُ كَانُعٌ (١)
وَالْمُشْتَأَى : اسم موضع من اتنأى عنه أى بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال
سخطه وهوله

والمعنى : أنه لا يفوت المدح وإن أبعد في الحرب وصار إلى أقصى الأرض
لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه
وقد اعترض الأصمى على النابتة فقال : أما تشبيهه الإدراك بالليل فقد
تساوى الليل والنهار فيما يتركاه ، وإنما كان سبيله أن يأتي بما لا قسم له حتى
يأتي بمعنى منفرد . فلو قال قائل إن قول الحميري في ذلك أحسن منه لوجد مساعاً
إلى ذلك حيث يقول [من الطويل] :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنَقَاءِ أَوْ كَسَمُوحَا لَخَلَيْتُكَ إِلَّا أَنْ تُصَدَّ تَرَانِي
والشاهد فيه : مساواة اللفظ للمعنى المراد .

وفي معنى بيت النابتة قول علي بن جبلة [من الطويل] :
وَمَا لَأَمْرِيءَ حَاقَلْتُهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالَعُ
بَلَى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ
وَأَكْثَرُ الْأَدْبَاءِ يَرْجِعُهُ عَلَى بَيْتِ النَّابِتَةِ . وفي هذا المعنى أيضاً قول سلم
الغاسر [من البسيط] :

فَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْنُونًا جَبَائِلُهُ وَالْدَّهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
وَلَوْ مَلَكَتْ عَنَانَ الرِّيحِ أَضْرِفُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ
وتناوله البحرى أيضاً فقال [من الكامل] :

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَكَّبُوا السُّكَاكِبَ لَمْ يَكُنْ يَنْجِيهِمْ مِنْ خَوْفِ بَاسِكَ مَهْرَبُ

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانيء فيه [من الكامل] :

أبن المفر ولا مفرَّ هاربٍ ولك البيطان الثرى والماء
وقول الآخر [من الطويل] :

فلو كُف فوق الريح ثم طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَن ضاقت عليه المناهيبُ

و بديع قول أبي العرب الصقلی [من الطويل] :

كَأَن بِلَادَ اللَّهِ كَفَّالَكَ إِنْ يَسِيرَ بِهَا هَارِبٌ تَجْمَعُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

وَأَبْنُ يَكْرُ الْمَرءُ عَنْكَ بِجَرْمِهِ إِذَا كَانَ تُطَوَّى فِي يَدَيْكَ الْمَرَا حِلُ

ترجمة النابغة
القيافي

والنابغة (١) : اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ، ينتهى نسبه إلى ذبيان ثم

لمضر ، ويكنى أبا أمانة ، وإنما سمي النابغة لقوله :

* وَقَدْ نَبَغْتُ لَهُمْ مَنًّا شُؤُونُ *

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ منهم الشعر ، وهو من الطبقة الأولى المقسمين

على سائر الشعراء .

عن ربيع بن خراش (٢) قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : يا معشر غطفان

من الذى يقول [من الوافر] :

أَتَيْتَكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظَنُونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وعن جرير بن يزيد (٣) بن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا عند الجعيد

(١) تجد ترجمة النابغة في الأغاني (٩ - ١٦٢) وفي الشعراء لابن قتيبة (٧٠)

(٢) في الأغاني « ابن خراش » مهمل

(٣) في الأغاني « جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي »

ابن عبد الرحمن بخراسان ، وعنده بنو مرة وجلساؤه [من الناس] ^(١) فتذاكروا شعر النابغة ، حتى أنشدوا قوله * فانك كالليل الذى هو مدركى * البيت ، فقال شيخ من بني مرة : وما الذى رأى فى النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظره من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية أيضاً فأكثرتم فنظر إلى الجنيد فقال : يا أبا خالد ، لا يهولك قول هؤلاء الأعراب ^(٢) وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون

وقال عمر ^(٣) بن المنتشر المرادى : وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر إليه من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت تحرياً أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى من اعتذار النابغة إلى النعمان [من الطويل] :

حلفتُ فلم أترك لنفْسِكَ رِيَّةً وليس وراء الله للمرء منهبٌ
فلم يجِدْ فيهم من يرويه ، فأقبل على فقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشده القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

وعن أبي عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصاً بالنعمان ، وكان من ندمائه وأهل أنه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة ، فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعيها ، فكلدت ذراعها تستروجهما لعلها

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) فى الأغاني « هؤلاء الأعراب »

(٣) فى الأغاني « عمرو بن المنتشر »

وغلظها ، فقال قصيدته التي أولها ^(١) [من الكامل] :

من آل مية رائج أو مُتدى تجلان ذا زادٍ وغير مَزودٍ
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك تَمعاب الغرابِ الأسودِ ^(١)
لا مرجباً بفد ولا أهلاً به إن كانَ تفريقُ الأُحبةِ في غدٍ
أزفَ الترحُّلُ غيرَ أن ركبنا لما نزل برحالنا وكان قد
في إثر غانية رمتك بسهما فأصاب قلبك غير أن لم تقصِدِ
بالدر والياقوت ذرين نحرها ومُفصِّلٍ من لؤلؤ وزبرجدٍ
سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقنتا باليدِ
بمُخَصَّبٍ رخص كان بَنانهُ غنمٌ على أغصانه لم يُعقِدِ ^(٢)
وبفاحم رجلٍ أنيث نَبَنُهُ كالكرم مال على الدعام المسدِ
نظرت إليك لحاجة لم تنضها أطار السقيم إلى وجوه العودِ
ومى طويلة ، فأشدها النابغة مُرة بن سعد القريني ، فأشدها مُرة النعمان ،
فامتلاً غضباً وأوعد النابغة وتهده ، فهرب ، فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك
غسان بالشام فامتدحهم .

وقد اعترض الأصمى على البيت الأخير من هذه الآيات فقال : أما
تشبيهه مرض اللطف فحسن إلا أنه هجته بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل ،

- (١) أقرأها في الديوان (٦٣) وستة الآيات الأولى منها في الأغاني (٩-١٦٤) والأربعة بعدها في (٩-١٦٥ منه) وفيها غناء
 - (٢) زعموا أن أصل الرواية في عجز هذا البيت * وبذلك خبرنا الغراب الأسود * وأن النابغة أقوى في هذا البيت ، ثم سمع جارية تغني فيه فأصلحه
 - (٣) وزعموا أن أصل الرواية في عجز هذا البيت :
- * غنم يكاد من اللطافة يعقد *

وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي [من السكامل] :
 وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الدَّسَاءِ أَعْلَاهَا عَيْنُهُ أَخْوَرُ مِنْ جَادِرِ جِلْسِهِ
 وَسَنَانُ أَفْضَلِهِ النَّهْاسُ فَرْنَتْ فِي عَيْنِهِ سَنَةٌ وَلَيْسَ بِنَهْمٍ
 وأما قوله « سقط النصيب - البيت » فيروى أن عبد الملك بن مروان قال
 يوماً لجلسائه : أتعلمون أن النابغة كان مخنثاً ؟ قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
 قال : أو ما سمعتم قوله ، يعني هذا البيت ، والله ما عرف هذه الإشارة إلا مخنث
 وقد أخذ هذا المعنى أبو حية الفهرى فقال [من الطويل] :
 قَالَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّيْءُ وَأَتَقْتُ بِأَخْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفِّ وَمِعْصَمٍ^(١)
 ثم أخذ الشماخ فقال [من الطويل] :
 إِذَا مَرَّ مِنْ تَحْتِي أَتَقْتُهُ بِكَفِّهَا وَسَبَّ بِنَضْحِ الرَّعْفَرَانِ مُضْرَجٍ
 وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضي التنوخي لنفسه [من المنسرح] :
 لَمْ أُنْسَ شَمْسَ الضُّحَى تُطَالَعُنِي وَنَحْنُ فِي رَوْضَةٍ عَلَى فَرْقٍ
 وَجَفْنُ عَيْنِي بِمَاءِهِ شَرِيقٌ وَقَدْ بَدَتْ فِي مُعْصَفٍ شَرِيقٍ
 كَأَنَّهُ دَمْعِي وَوَجْتِهَا حِينَ رَمْتَنَا أَلْمِیُونَ بِالْحَدِيقِ
 ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُفِّهَا خَجَلًا كَالشَّمْسِ غَابَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّعْهِيقِ
 رجع إلى أخبار النابغة

عن المفضل أن مرة الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له
 ذو الريقة من كثرة فِرْنْدِهِ وجودته ، فذكره النابغة للنعمان ، فاضطامن من ذلك
 مرة حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وقيل : إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان هو والمنخل بن عبيد
 ابن عامر اليشكري جالسين عنده ، وكان النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر ، وكان

المنخل من أجل العرب ، وكان يُرى بالمتجردة زوجة النعمان ، وتحدث العرب
أن ابن النعمان منها كانا من المنخل ، فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف
المتجردة في شعرك ، فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها ،
فلحق المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا
من جرب ، فوفر ذلك في نفس النعمان ، وبلغ النابغة تخافه فهرب فصار إلى غسان
فتزل بعمرو بن الحارث الأصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقبلا مع عمرو
حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه ، إلى أن استطفه النعمان فباد إليه .
وعن أبي بكر الهذلي قال : قال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدمت
على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأنتيت حاجبه عصام بن شهر ، فجلست إليه
فقال : إني أرى عربيا ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكُن قحطانيا ،
قلت : فاني قحطاني ، قال : فكُن يثربيا ، قلت : فاني يثربي ، قال : فكُن
خزرجيا ، قلت : فاني خزرجي ، قال : فكُن حسان بن ثابت ، قلت : فأنا هو ،
قال : أجنبت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم ، قال : فاني سأرشدك ، إذا دخلت عليه
فانه سيأذك عن جيلة بن الأيهم ويسبه ، فإياك أن تساعد على ذلك ، ولكن
أمرُ ذكره إمرارا لا توافقي فيه ولا تخالف ، وقل : ما يدخل مثلي أيها الملك
بينك وبين جيلة وهو منك وأنت منه ؟ فان دعاك إلى الطعام فلا تأكله ، فان
أقسم عليك فأصعب منه اليسير إصابه مبرر قسمة متشرف بما كفته ، لأكل جائع
سفيب ، ولا تبدأ باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تفل الاقامة
في مجلسه ، فقلت : أحسن الله رفدك ، قد أوصيت واعيا ، ودخل ثم خرج إلى فقال :
ادخل ، فسخلت وحييت بتحية الملك ، فجاراني في أمر جيلة ما قاله لي عصام
كأنه كان حاضرا ، فأجبت بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد ، فأذن لي ،
فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت مثل ذلك ، فأمر لي بجائزة سنينة ، وخرجت
فقال لي عصام : بقيت عليك واحدة لم أوصك بها ، بلغني أن النابغة الذبياني

قادم عليه ، وإذا قدم عليه فليس لأحدهما حظ سواه ، ^{فليست}أذن حينئذ وانصرف
مكرما خيرا من أن تنصرف بجُحُوءا . قال : فأقت بيابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجة
ابن سنان ومنظور بن زبآن ^(١) الفزاريان ، وكان بينهما وبين النعمان دخلُ
— أى خصة — وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألها مسألة النعمان أن يرضى
عنه ، فضرب عليهما قبة ولم يشمر أن النابغة . مهما ، ففس النابغة قينة تفنية بشعره
* يا دار مية بالعلياء فالسند *

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع
الفزاريين ، وكلاه فيه فأثمه ، ثم خرج في رغب^م معاه فعارضه الفزاريان والنابغة
بينهما قد خضب بجناء وأقى خضابه . فلما رآه النعمان قال : هي بدم كانت أخرى
أن تخضب ، فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا نتربى قد أجرناه ، والعفو أجل .
قال : فأثمه واستنشمه أشعاره ، ففند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسده على ثلاث
لا أدرى على أينهن كنت أشد له حسدا : على إذناء النعمان له بعد المباحة
ومسأيرته له وإصغائه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مائة بعير من عصفيره
أمر له بها .

قال : وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان
وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : إن السبب في رجوع النابغة إليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل
لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه ،
وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين العمران
وقصور الحيرة فقال لمصام حاجبه [من الوافر] :

(١) في نسخة «منظور بن زياد» ولم يذكر أبو الفرج اسم الفزاريين وإن
كان قد ذكر هذه القصة

أَلَمْ أَقْسَمُ عَلَيْكَ لَتُخْبِرُنِي أَنَحْمِلُ عَلَى النَّفْسِ الْمَهَامُ
فَإِنِّي لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولِي وَلَكِنْ مَا وَرَأَاكَ يَا عِصَامُ^(١)
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَتُحْسِنُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَحْبَبُ الظُّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ
ومات النابغة الذبياني على جاهليته ، ولم يدرك الاسلام .

٦٣ - * أَنَا ابْنُ جَلَا *

شامه
الحلقه

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، ولفظه :
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ النَّأْيَا مَتَى أَضْعُرُ الْعَمَامَةَ تَعْرِفُونِي
وهذا البيت من قصيدة^(٢) من الوافر أولها :
أَفَاطَمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِنِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي
يقول فيها أيضاً :
فَأَنْ عُلَّالَتِي وَجَرَاءَ حَوْلِي لَدُو شَقٍّ عَلَى الضَّرْعِ الظَّنُونِ
أَنَا ابْنُ الْغَرِّ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحٍ كَنْصَلِ السِّيفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ
وبعد البيت ، وبعده :
وَأَنَا مَكَاتَنَا مِنْ جَحْرِى مَكَانُ اللَّيْلِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ

(١) في الأغاني * فإني لا ألومك في دخولي * وكان في الأصل * لا ألام على دخولي *

(٢) ارجع إلى خزانة الأدب (١- ١٢٣) و (٣- ٤١٤) وكامل المبرد (١- ١٣٢ و ٣٢٤) والعقد الفريد (٤- ١٢٠) والأغاني (١٢- ١٤)

وإن قناتنا مَشْطُ شَطَاها شديدٌ مدّها عنقَ القرين^(١)
وإني لا يعودُ إلىَّ قرني غداةَ الغبِّ إلا في قرين^(٢)
بنى ليدَ يَصُدُّ الرّكبَ عنه ولا تُؤنّي فريستهُ لحين
عنرتَ البزلُ إذ هي صاولتني فإ بالي وبالُ ابني كبون^(٣)
وماذا يبتغي الشعراءُ مني وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين^(٤)
أخو الحسينِ مجتمعٌ أشدّي وَتَجَدَّنِي مُدَاوَرَةُ الشؤونِ^(٥)
سأجني ما جنيتُ وإنَّ ظهري لدؤسندٍ إلى نضيد أمين
وكان السبب في قوله هذه الآيات أن رجلاً أتى الأبيّردَ الرّياحِيَّ وابن
عمه الأحوص - وهما من رَدَفِ الملوك من بني رباح - يطلب منهما قطراناً لآبله ،
فقالا له : إن أنت أبلتَ سُحيم بن وُئيل الرّياحِي هذا الشعرَ أعطيناك قطراناً ،
فقال : قولاً ، فقالا : اذهب قتل له :

(١) أنشد صاحب اللسان هذا البيت (م ش ظ) عن ابن السكيت ثم قال:
قوله مشط شطاها مثل لامتناع جنابه : أي لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .
(٢) غداة الغب - بغين مكسورة - هكذا في الأصول ، ومثله في خزانة
الأدب ، ونص البغدادي على ضبطه وشرحه بقوله « وغداة الغب : اليوم الذي
يسوقون إبلهم فيه » اهـ . ووقع في الأغاني « غداة العبء » بعين مبهمة وآخره
همزة - ويمكن أن يفسر بأحد تفسيرين : الأول أن يكون أراد بالعبء الحمل
الذي يشغل عليك ويبهطك ، وكنتي بذلك عن الحرب ، لما فيها من التبعات
الجسام ، والآخر أن يكون أخذ من تعبئة الجيوش وتهيئة أماكن الفرسان
والإبطال فيها

(٣) في الخزانة « إن هي خاطرتني »

(٤) في اللسان (ن ج ذ) « وماذا بدري » بتشديد الدال ومعناه بخيل

(٥) في الخزانة « أخو خمسين » وكذا في العقد

فان بُداهتى وجراء حَوْلِي لَنُوشِقَ عَلَى الحَطَمِ الحُرُونِ
فلما أَنَاهُ وَأَنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر في الوادي يقبل فيه ويدبر
وبهمهم بالشعر، ثم قال : اذهب قفل لها ، وَأَنشد الأبيات ، قال : فَأَتِيَاهُ فاعْتَدُوا
فقال : إن أَحَدَكَا لَا يرى أَنه صنع شيئًا حتى يقيس شعره بشعرنا وَحسبه
بحسبنا ويستطيع بنا استطفاء المهر الأَزْب^(١) فقال له : فهل إلى التزع من
سبيل ؟ فقال : إِنَّا لَم نبلغ أَنسابنا

وذكر ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء^(٢) مطلع هذه القصيدة في أبيات
أخر، ونسبها للمثقب العبدى ، وقال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب
على الناس أَن يتعلموه ، وصورة ما أورده ابن قتيبة :

أَفَاطَمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَعْنِي . وَمَنْعَكَ مَا سَأَلْتُ كَأَن تَبْنِي
وَلَا تُبْدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي^(٣)
فَإِنِّي لَوْ تُخَالَفَنِي شِمَالِي بَنَصْرٍ لَمْ تَصَاحِبْهَا بِمَعْنِي^(٤)
إِذَا لَقِطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْنَوِي مِنْ يَجْتَوِي
فَإِمَّا أَن تَكُونَ أَخْرَ بِحَقِّ فَأَعْرِفُ مِنْكَ غَيًّا مِنْ مَعْنِي
وَأِلَّا فَاطِرْحَنِي وَأَتَرُكَنَّ عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَقِنِي^(٥)

(١) في الخزانة « استطفاء البعير الأزب »

(٢) انظره (ص ٢٣٤)

(٣) في الشعراء « ولا تعدى »

(٤) في الشعراء في ترجمة المثقب العبدى رواية البيت هكذا :

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَالِي عَنَادُكَ مَا وَصَلَتْ بِهَا بِمَعْنِي
وَرَوَاهُ فِي تَرْجُمَةِ النَّابِغَةِ الذِّبَانِي :

وَلَوْ أَنِّي تُخَالَفَنِي شِمَالِي بَنَصْرٍ لَمْ تَصَاحِبْهَا بِمَعْنِي
(٥) في الشعراء « وَإِلَّا فَاطِرْحَنِي وَاتَّخَذَنِي »

وما أدري إذا بجمت أرضاً أريد الخير أيهما يلين
 أنخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني
 والأبيات المأثرة تقوى أنها لسحيم المذكور ، فامل اتفاقهما في المطلع من
 باب نوارد الخواطر ، والله أعلم -

و«جلا» هنا غير منون لأنه أراد الفعل فحكاه يقدرأ فيه الضمير الذي
 هو فاعل ، والفعل إذا سمى به غير منزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية ،
 كقول تائب شر [من الطويل] :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
 بنى شاب قرناها تُصرُّ وتُحبَّبُ (١)
 وكقول الشاعر [من الرجز] :

والله ما زيدُ بنامُ صاحبه ولا مخالطُ الأيامِ جانبه (٢)
 وإنما أراد أنا ابنُ الذي سجلا ، وبني التي يقال لها شاب قرناها ، والله ما زيد
 بالذي يقال فيه نام صاحبه

وابن جلا يقال للرجل المشهور : أي ابن رجل قد انكشف أمره ، أو جلا
 الأمور أي كشفها . والثنايا : جمع ثنية ، وهي العقبة ، يقال : فلان طلاعُ
 الثنايا ، أي ركبأ لصعاب الأمور

والشاهد فيه : إيجاز الحذف ، والحذف موصوف ، وهو هنا « رجل »
 من قوله أنا ابن جلا

وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميراً . حدث

(١) يروي « لا تنكحونها » مبنيًا للمعلوم ، وبضم تاء المضارعة من المزيدي
 بالهمزة ، وبفتح تاء المضارعة من المجرد ، والبيت في كامل المبرد (١ - ٢٣٦)
 (٢) يروي « والله ما ليلى » و« ولا مخالط الليان » والبيت في كامل المبرد
 (١ - ٢٣٦)

عبد الملك بن عبد الله^(١) قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه ، إذا أنا آت فقال : هذا الحجاج قدم أميراً على العراق ، وإذا به قد دخل المسجد معتملاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يوم المنبر ، فقال بعض الناس فقال الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فكث ساعة لا يتكلم ، فقال بعض الناس لبعض : قبح الله بنى أمية ! كيف تستعمل مثل هذا على العراق ؟ حتى قال عمر بن ضاى البرجعى : ألا أخضبه لكم ، فقالوا : أهل حتى ننظر ، فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور إليه كحسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ، وأنشد البيت ، وقال : يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمام والحي : هذا أوان الشد فاشتدنى زيم^(٢) قد لفها الليل بسواق حطم^(٣) ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم^(٤) ثم قال :

قد لفها الليل بعصبي^(٥) أروع خراج من الدوى^(٦)
مهاجر ليس بأعرابى معاود^(٧) للطنن بالخطى^(٨)
ثم قال أيضاً :

قد شمعت عن ساقها فشدوا^(٩) وجددت الحرب بكم فجدوا^(١٠)
والقوس فيها وتر عر^(١١) مثل ذراع البكر أو أشد^(١٢)
إني والله يا أهل العراق لا يققع لى بالشئان ، ولا يغمز جانبي كتمهازالتين^(١٣)

(١) انظر هذه الخطبة في كامل المبرد (١ - ٢٢٣) وفي العقد الفريد

(٤ - ١٢٠)

(٢) في الاصول « الشر »

(٣) المحفوظ « كتمهازالتين »

ولقد فُرت عن ذكاه، وفُتشت عن نجرة، وإن أمير المؤمنين نزل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عوداً عوداً فَرَأَى أمرها عوداً وأصلها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجتم في مراقد الضلال، والله لأحزنتمكم حزم السلة، ولأضربكم ضرب غرائب^(١) الابل، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت^(٢)، وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم، وأن أجهزكم إلى عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه، يا غلام، أقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فقرا: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إلى من ماله كوفة من المسلمين، سلام عليكم، فلم يقل أحد منهم شيئاً، فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً؟ هذا أدب ابن سمية^(٣)، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أولتس تقيمن

(١) في الأصول «ضرب غرائب الابل» محرفاً عما أثبتناه

(٢) في الأصول «أخلق» بجاء مهمة، وكتب مصحح مطبوعة بولاق وفي بعض النسخ ولا أحلف إلا بريت «وكلاهما تحريف ما أثبتناه عن المبرد والاصل في هذه العبارة قول زهير بن أبي سلمى المزني ولأنت تقرى ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يعرف

ومعناه ينفذ ما يعزم عليه ويؤيد بالعمل ما يقدره بالظن

(٣) في كامل المبرد «هذا أدب ابن نهية» بكسر النون وسكون الهاء - وكتب أبو الحسن في تعليقاته عليه ما نصه: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجُل كان على الشرطة بالبصرة قبيل الحجاج» اهـ. قلت: والدين يروون «ابن سمية» يزعمون أنه أراد زياد بن أبيه

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل ، فوضع للناس أعطياتهم ، فقبلوا يأخذونها حتى أناه شيخ يرعش كبراً ، فقال : أيها الأمير ، إني من الضعف على ما ترى ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني ، أفتقبله مني بدلا ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولي قال له قائل : أتدري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابي البرجي الذي يقول أبوه :

تممتُ ولم أفلُ وكنتُ وليقتي تركتُ على عثمان تبكي حلالته

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، وهو مقتول ، فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول : أين تركت ضابئا ^(١) يا نعثل ؟ فقال : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ، إن في قتلك لصلاحا للمسلمين ، يا حرسى اضر بعنقه ، فسمع الحجاج ضواها ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذه البراجم جاءت لتنصر عمرآ فيما ذكرت ، فقال : أتحنفونم برأسه ، فرموم برأسه ، فولوا هاربين ، وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، وازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب بن أبي صفرة ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي ^(٢) [من الطويل] :

أقولُ لأبراهيم لما رأيته أرى الأمر أسمى داهيا متشعبا

تخبر فإما أن تزور ابن ضابي عميرا وإما أن تزور المهلبا

(١) نعثل : رجل من أهل مصر قريب الشبه من عثمان رضى الله عنه ، وكانوا إذا أرادوا أن ينالوا من عثمان أطلقوا عليه اسم هذا الرجل

(٢) روى هذه الأبيات ماعدا الأول منها : الكامل في المبرد (١ - ٢٢٦) وروى ابن قتيبة في الشعراء (٢٤٠) ثانياها وما يليه

مما خطنا خسف نجاؤك منهم ما
ركوبك حولياً من الثلج أشهباً (١)
فأضحى ولو كانت خراسان دونه
وأها مكن السوق أو هي أقربا

٦٤ - وإن صخرًا لتاتم الهداة به كأنه عَلمٌ في رأسه نارٌ
شاهد الايثار البيت للخنساء، من مراثية في أخيها صخر ، وهي تصبده (٢)

من البسيط ، أولها :

قدى بعينك أم بالعين عوارُ أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدارُ
كان عني لذكراه إذا خطرتُ فيضُ يسيل على الخدين مدرارُ
تبكي خناس على صخر وحق لها إذ راها الدهرُ إن الدهر ضرارُ
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت ودونه من جديد القرب أستاذ (٣)
لا بد من ميتة في صرفها غيرُ والدهرُ في صرفه حول وأطوارُ
يا صخرُ واد ماء قد تناذره أهلُ الموارد ما في ورده عاز (٤)
مشى السبتي إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار (٥)
فما عجول على بوء تطيف به لها حنينان إصغار وإكبارُ
ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرتُ فانما هي إقبال وإدبار (٦)

- (١) في الأصول «من البلع أشهباً، وما أثبتناه موافق لما في الكامل والشعراء
(٢) ارجع إليها في شرح الديوان (٧٣ بيروت) والأغاني (١٣ - ١٣٨)
(٣٧٩) ومنها ثمانية أبيات في الكامل للمبرد (٢ - ٣٩)
(٣) في الديوان «وقد ولت» مكان «وقد ثكلت»
(٤) في الديوان «وراد ماء» بصيغة المبالغة ، «وتبادره» كذا في الأصول
موافقاً لما في الشريشي (٢ - ٢٥٤) وفي الديوان «تناذره»
(٥) السبتي : الفجر ، و«هيجاء معضلة» موافق لما في الأغاني وكامل المبرد ،
وفي الديوان مضلة
(٦) في الديوان «ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت»

لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعْتَ : فَأَمَّا رِيَّ تَحْنَانٍ وَتَسْجَارُ^(١)
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنَى حِينَ فَارَقَنِي صَخْرَ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءَ، وَإِمْرَارَ
وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسِيدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحْزَارُ^(٢)
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ، وَبَعْدَهُ :

لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرِيَّةٍ حِينَ يُغْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ^(٣)
وَلَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَا كُلَّهُ لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّحْنِ مِمَّارُ^(٤)
مِثْلُ الرُّدْيَانِي لَمْ تَنْفُذْ شَبِيبَتَهُ كَأَنَّهُ نَحْتٌ عَلَى الْبَرْذِ أَسْوَارُ^(٥)
فِي جَوْفِ رَمْسٍ مَقِيمٌ قَدْ تَضَمَّنَهُ فِي رَمْسِهِ مَقَطَّرَاتٌ وَأَحْجَارُ
طَلَقَ الْيَدِينَ بِفَعْلٍ الْخَيْرِ ذُو خَيْرِ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَّارُ^(٦)
وَالْعَلَمُ : الْجَبَلُ الطَّوِيلُ، وَقِيلَ : هُوَ عَامٌ فِي كُلِّ جَبَلٍ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : زِيَادَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْإِيغَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ « فِي رَأْسِهِ نَارٌ »،

(١) فِي الْأَصُولِ « وَإِنْ رَتَعْتَ » مُحَرَّفًا عَمَّا أُثْبِتْنَاهُ عَنِ الدِّيَوَانِ، وَرُبِعْتَ :
أَصَابَهَا مَطَرُ الرَّبِيعِ

(٢) رَوَى هَذَا الْبَيْتَ فِي الْأَغَانِي (١٣ - ١٣٨) وَفِي الشَّرِيشِي (٢ - ٢٥٢)
كَأَهْنًا، وَرَوَى فِي الدِّيَوَانِ « وَإِنْ صَخْرًا لِكَافِينَا »

(٣) فِي الْأَصُولِ « وَلَمْ تَرَهُ » وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ عَنِ الْوِزْنِ

(٤) فِي الدِّيَوَانِ « وَمَا تَرَاهُ » وَبَارِزٌ : ظَاهِرٌ فِي خَارِجِ الْبَيْتِ، وَالصَّحْنُ :
الْجَفْنَةُ الضَّخْمَةُ، وَالْمِهَارُ : الَّذِي يَكْثُرُ لِأَضْيَانِهِ مِنَ الْقُرَى، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ
طَعَامَهُ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ مُخْتَفِيًا، وَلَكِنَّهُ يَبْرُزُ طَعَامَهُ لِيَدْعُو إِلَيْهِ الضُّيْفَانِ
وَيَكْثُرُ مِنْ قَرَامِهِ

(٥) فِي الْأَصْلِ « لَمْ تَنْفُذْ » مُحَرَّفًا عَمَّا أُثْبِتْنَاهُ عَنِ الدِّيَوَانِ، وَالْأَسْوَارُ
بِضْمِ الْهَمْزَةِ

(٦) ذُو خَيْرٍ : يَتَفَجَّرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَوَقَعَ فِي الْأَصُولِ « ذُو خَيْرٍ » وَأُثْبِتْنَا
مَا فِي الْأَغَانِي وَالدِّيَوَانِ، وَالْأَسْمَةُ : الْعَطِيَّةُ

فان قولها « علم » واف بالمقصود ، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية ، لكنها أتت بالنسبة إليه لا وزيادة للبالغة .

وقد ضمن عز الدين الموصلى عجز البيت في سامري اسمه نجم ، فقال [من البسيط] :

وسامري أعارَ البدرَ فضلَ سنا سَمَوُهُ نَجْمًا وَذَاكَ النَجْمُ غَرَارُ
تَبَيَّرَ قَامَتُهُ مِنْ تَحْتِ عِمَتِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

ترجمة الخنساء (١) اسمها تمأضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، ينتهى نسبها لمضر ، والخنساء : لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصمة ، وكان خطيبها فردته وكان رآها تنهأً بغيراً (٢) [من الكامل] :

حيوا تمأضرَ وارَبُّوا صحبي وقفوا فَإِنَّ وقوفكم حسي
أَخْنَأَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلٌُّ مِنَ الْحَبِ
مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالَى أَيْنَقُ جُرْبِ
مَتَبَذَلَاتِ بَدْوٍ مُحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَقَبِ

قال أبو عبيدة ومجد بن سلام : لما خطبها دُرَيْدُ بَعَثَ خَادِمًا لَهَا ، وَقَالَتْ : انظري إليه إذا بال ، فان كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها فنيه بقية ، وإن كان بوله يسبح على الأرض فلا بقية فيه ، فرجعت إليها واخبرتها أن بوله ساح على وجه الأرض ، فقالت : لا بقية في هذا ، وأرسلت إليه : ما كنت لأدع

(١) لخنساء ترجمة في الأغاني (١٣-١٣٦) والشعراء لابن قتيبة (١٩٧) وخزانة الأدب (١-٢٠٧) وفي مقدمة شرح ديوانها المطبوع في بيروت
(٢) الأبيات الأربعة في الأغاني والشعراء ، وزاد عليها في مقدمة الديوان بيتين

بنى عى وهم مثل عوالى الرماح ، وأنزج شيخاً ، فقال^(١) [من الوافر] :
 وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أشباهى ونفسى^(٢)
 وقالت إني شيخ كبير وما نبأها أنى ابن أمس^(٣)
 فلا تلدى ولا ينسحكك مثلى إذا ما ليلة طرقت بنحس
 تريد شر نبت القمين شئناً يباشر بالمشية كل كرس
 فقأت الخنساء [من الوافر] :

مُعَاذَ اللَّهِ يَنْسَكْحُنِي حَبْرُكِي يَقَالُ أَبُوهُ مِنْ جُشْمِ بْنِ بَكْرِ
 وَلَوْ أَصْبَحْتُ فِي جُشْمِ هَدِيَا إِذَا أَصْبَحْتُ فِي دَنْسٍ وَفَقْرِ
 وكانت الخنساء في أول أمرها تقول البيتين والثلاثة ، حتى قتل أخوها معاوية
 وصخر . وكان صخر أخها لأبيها ، وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حلماً جواداً
 محبوباً في العشيرة .

وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة قال : غزا صخر بن عمرو وأنس
 ابن عباس الرعلّى بنى أسد بن خزيمه فأصابوا غنائم وسببياً ، وأخذ صخر يومئذ بديلة
 امرأة من بنى أسد ، وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور
 ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقة من الدرع فانممل عليه حتى شق عليه بعد سنين
 وكان ذلك سبب موته . وروى أن صخر أمرض من تلك الطعنة قريباً من حول

(١) الأبيات الأربعة في الأغاني (١٣-١٣٦) وهي فيه ضمن قصيدة لدريد
 ابن الصمة (٩-١٢)

(٢) في الأصول «من الفتيان» وما أئبناه موافق لما في الأغاني ومقدمة
 الديوان ، ويروى «عن الأزواج أشباهي»

(٣) كذا في الأغاني في ترجمة الخنساء ، ورواه في ترجمة دريد بن الصمة :
 وتزعم أنني شيخ كبير وهل أخبرتها أنى ابن أمس

حتى ملة أهله ، فسمع صخر امرأة تسأل سلى امرأته : كيف بملك ؟ فقالت :
لا حتى فيرحى ، ولا ميت فيسلى ، وقد لقينا منه الأبرين ، فقال صخر في ذلك
[من الطويل] :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُ عيادي وملت سائمي مضجعي ومكاني
وما كنت أُخشي أن أكونَ جنازةً عليكِ ومن يفتُرُ بالحدَّمان
أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حيلَ بينَ العيرِ والثَّروان
لعمري لقد نَهتَ من كان نائمًا وأسمعت من كانت له أذنان
والعوتُ خيرٌ من حياة كآئها محلة يعسوبٍ برأس سنان
وأرى امرئ ساءى بأمِّ حليلةٍ فلا عاش إلا في شقاء وهوان

وزعم قوم أن التي قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التي كان سبها من بني
أسد واتخذها لنفسه ، وأنشد مكان البيت الأول :

ألا تملككم عرسي بديلةً أوجست فراقى وملت مضجعي ومكاني^(١)

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء ، وقد تنأت قطعة مثل اليد^(٢) في
جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت - قالوا له : لو قطعناها لرجونا أن تبرأ ،
فقال : شأنكم وهي ، فأشفق عليه بعضهم فتهام ، فأبى صخر وقال : الموت أهون
على مما أنا فيه ، فأحوا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه ، قال : وسمع صخر
أخته الخنساء وهي تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر في ذلك [من الطويل] :
أجارتنا إن الخطوب تنوب على الناس كل المخطئين نصيب

(١) في الأغاني «أوحشت فراقى» محرفا عما هنا ، وأوجست : توقعت
وارتقت

(٢) في الأغاني « مثل الكبد في جنبه »

فان تسأليني هل صبرتُ فاني صبورٌ على ريب الزمان أريب^(١)
 سكتي وقد أدنوا إلى شيفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب
 أجارتنا لستُ الغداة بظاعنٍ ولكن مقيمٌ ما أقام عسيبُ
 فأت دفن هناك فقبره قريب من عسيب ، وهو جبل بأرض بني سليم إلى
 جنب المدينة المنورة .

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه صخر منها زماناً ، وبعث
 إلى ربيعة الأسدي الذي طعنه : إنك أخنت حلقاً من درعي بسنانك . فقال له
 ربيعة : اطلبها في جوفك ، فكان ينثف الدم وتلك الحلق معه ، فذته امرأته
 وكان يكرهها ويعينها على أهله ، فربها رجل وهي قاتنة ، وكانت ذات كفل وأوراك
 فقال لها : أبيع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع ذلك ، فقال :
 لئن استطعت لأقدمك أمامي ، ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر هل ثقله يدي ،
 فذفته إليه فاذا هو لا يقبله ، ففندها أنشد الأبيات السابقة ، ثم لم يلبث أن مات
 وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضاً ، وكان صخر قد أخذ بثأره
 وقتل قاتله .

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، أقبلت
 هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها تسويم^(٢) الخنساء هو ذبحها في الموسم ومعظمها
 العرب بمصبتها بأبيها وأخويها ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت
 هودجها براية وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك
 لها ، فقالت هند : بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها قسوم براية
 أيضاً ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت عكاظ سوقاً تجتمع فيه العرب ، فقالت :

(١) في الأغاني « صليب » مكان « أريب »

(٢) تسويم الهودج : أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوداج

أقرونا جلي بجعل الخنساء ، ففعلوا ، فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أختي ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تماظمين العرب بمصيبتك فيم تماظمينهم ؟ قالت : بأبي عمرو بن الشريد وأخوي صخر ومعاوية ، فيم تماظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة وعمي شيبه وأخي الوليد ، قالت الخنساء : لسوأم عندك ، ثم أنشأت تقول ^(١) [من الطويل] :

أبكى أبي عمراً بعين غزيرة قليل إذا نام الخلى هجودها
وصنوى لا أنسى : معاوية الذي له من سرارة الحرتين وفودها
وصخر ، ومن ذامل صخر إذا غدا بسلامة الأطلال قب يقودها ^(٢)
فذلك يا هند الرزية فاعلمى ونيران حرب حين شب وقودها

قالت هند بنت عتبة تحيها [من الطويل] :

أبكى عميد الأبطين كليهما وحاميهما من كل باغ يريد
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمى وشيبه والحلى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزم منها حين ينمي عديدها ^(٣)
وقالت الخنساء أيضاً يومئذ ^(٤) [من مجزوء الكامل] :

من حش لى الأخوين كالفصنين أو من رآهما ^(٥)

- (١) أقرأها في الديوان (٥٨) وفي الأغاني في شرح موقعة بدر (٤ - ٣٥)
- (٢) في الديوان « بسامه الأطلال » وذكر في شرحه أنه يروى « بسلامة الأطلال » والسلمية : الجسيمة ، والأطلال : جمع إطل
- (٣) في شرح ديوان الخنساء « حين تنفي عديدها » ومثل ذلك في الأغاني
- (٤) ارجع إليها في الديوان (٢٥٦)
- (٥) في الأصول روى هذا البيت محرفاً هكذا :

من حش لى الأخوين كالمضين أو مذرأها

قَرَمِينَ لَا يَنْظِلُّا نَبَ وَلَا يُرَامُ جَاهُهَا
وَبَلَى عَلَى الْأَخَوِينَ وَالْ سَقْبَرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا يَمِثِلَ كَهَلِي فِي الْكُهْوِ لَ وَلَا فَنَى كَفَنَاهُمَا
رُحْمَتَيْنِ خَطِيئَتَيْنِ فِي كَبِيدِ السَّاءِ سَنَاهُمَا
مَا خَلَفْنَا إِذْ وَدَّعَا فِي سَوْدَدِ شَرَوَاهَا
سَادَا بَغِيرِ تَسْكَافٍ عَفْوًا يَفِضُّ نَدَاهُمَا

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .
ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُليم فأسلمت
مهم ، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها
وكانت تشده وهو يقول : هَيْه يَا خَنَاسَ ، ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم .
وعن أبي وجرة عن أبيه قال : حضرت الخنساء بنت عمرو السليمية حرب
القادسية وممها بنوها أربعة رجل رضى الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول
الليل : يابني ، إنكم أسلمتم طائعتين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره
إنكم لبنور رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت
خالكم ، ولا هجئت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تملون ما أعدَّ الله تعالى
للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من
الدار الفانية ، لقوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالين فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد
شمرت عن ساقها ، واضطربت أظفى مساقها ، فتميموا وطيئسها ، وجالدوا رئيسها ،
عند احتدام تحميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة . فخرج
بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم
وأنشأ أولهم يقول [من الرجز] :

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْعَجُوزَ النَّاصِحَةَ قَدْ نَصَحْتَنَا إِذْ دَعَيْنَا الْبَارِحَةَ
 بِقَالَةِ ذَاتِ بَيَانٍ وَأَضَحَةَ فَبَاكُرُوا الْحَرْبَ الضُّرُوسَ الْكَلِمَةَ
 وَإِنَّمَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّائِحَةِ مِنْ آلِ سَامَانَ كِلَابًا نَابِجَةً
 قَدْ أَقْبَتُوا مِنْكُمْ بَوَاقِ الْجَلَامِجَةِ وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ صَلَاحَةٍ
 * وَمَيَّةٍ تَوْرَثُ غَنَمًا رَابِجَةً *

وتقدم قتال حتى قتل رحمه الله تعالى . ثم حل الثاني وهو يقول
 [من الرجز]:

إِنَّ الْعَجُوزَ ذَاتُ حَزْمٍ وَجَلَدٍ وَالنَّظَرَ الْأَوْفَقِ وَالرَّأْيَ السَّدَدِ
 قَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّدَادِ وَالرُّشْدِ نَصِيحَةً مِنْهَا وَبِرًّا بِالْوَلَدِ
 فَبَاكُرُوا الْحَرْبَ كَلَامَةً فِي الْعُدَدِ إِمَّا بِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبَدِ
 أَوْ مَيَّةٍ تَوْرَثُكُمْ غَنَمُ الْأَبَدِ^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ وَالْعَيْشِ الرُّغْدِ
 وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ، ثم حل الثالث أيضا وهو يقول
 [من الرجز]:

وَاللَّهِ لَا نَعَصَى الْعَجُوزَ حَرْفًا قَدْ أَمَرْتَنَا حَرْبًا وَعَظَفًا^(٢)
 نُصَحًا وَبِرًّا صَادِقًا وَلَطْفًا فَبَادِرُوا الْحَرْبَ الضُّرُوسَ رَحْنَا
 حَتَّى تَلْقَوْا آلَ كِسْرَى لَفًّا أَوْ تَكْشِفُوهُمْ عَنْ حِمَاكُمُ كَشْفًا
 إِنَّا نَرَى التَّقْصِيرَ مِنْكُمْ ضَعْفًا وَالْقَتْلَ فِيكُمْ نَجْدَةً وَعَرَفًا^(٣)
 وقاتل أيضا حتى استشهد رحمه الله ، ثم حل الرابع وهو يقول [من الرجز]:

- (١) في شرح الديوان * تورثكم عيش الأبد *
 (٢) ذكر في شرح الديوان أنه يروى « قد أمرتنا حذرا »
 (٣) في الأصول « أمارتوا » ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه عن شرح الديوان

لَسْنَا تَلْفَسَاءَ وَلَا لِلْأَحْزَمِ: وَلَا لَعَمْرُو ذِي السَّئَاءِ الْأَقْدَمِ^(١)
 إِنَّمَا أَرَى فِي الْجَيْشِ الْأَعْجَمِ ماض على هول خضم خضم^(٢)
 إِمَّا لِفُوزٍ عَاجِلٍ وَمَعْنَمٍ أَوْ لَوَفَاةٍ فِي السَّبِيلِ الْأَكْرَمِ^(٣)
 وَقَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ ، فَبَلَّغَهَا الْخَطِيبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ
 مُسْتَقَرَّ رَحْمَتِهِ !

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة ، لكل واحد منهم مائتي درهم ، إلى أن قبض رحمه الله ورضى عنه .
 وكانت وفاتها [في زمن معاوية بن أبي سفيان نحو سنة خمسين من الهجرة^(٤)]

* * *

عامة الايغال

٦٥ — كَانَ عِيُونُ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا
 وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ

البيت لامرئ القيس ، من قصيدة من الطويل^(٥) أولها :

خَلِيلِي مُرَأِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِ حَاجَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ
 فَإِنْ كُنَا إِنَّا نَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعُنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبٍ

(١) في الأصول « ولا للأحزم » وأثبتنا رواية الديوان ، وفيها « ولا لعمرو في السناء »

(٢) لم يستقم لنا هذا البيت وهو في شرح الديوان مضطرب أيضا

(٣) في الأصول « أو لوفاء » وأثبتنا ما في شرح الديوان

(٤) سقط من جميع أصول هذا الكتاب تاريخ وفاة الخنساء وكتب بهامش مطبوعة بـ « لاق » هكذا بياض بالأصل » وقد أثبتناه عن شرح الديوان

(٥) انظرها في الديوان (ص ٢١) وقد مضت أبيات منها في (ص ١٧٦) من هذا الجزء) ومضت ترجمة امرئ القيس في شرح الشاهد (رقم ١)

ألم تزياني كلما جئت طارفاً
عقيلة أخذانر لما لا ذميمة
وَجِئْتُ بِهَا طَيِّباً وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ
وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبَ
إِلَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا:

وَقُلْتُ لِنَيْيَانٍ كِرَامٍ أَلَا انْزِلُوا
فَقُنْنَا إِلَى بَيْتٍ بَعْلَاءُ مُرْدَحٍ
وَأَوْتَادُهُ عَادِيَّةٌ وَعِمَادُهُ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَأَ ظُهُورَنَا
فَقَطَّلَ لَنَا يَوْمَ الدَّرِيدِ نِعْمَةً
وَبَعْدَهُ الْبَيْتَ ، وَبَعْدَهُ :

نَمَشُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا
إِذَا نَحْنُ قُنَّاعُنْ شَوَاءُ مُضْهَبٍ
وهي طويلة .

قال الأصمعي : الظبي والبقرة إذا كانا حين فعيونهما كلها سود ، فإذا ماتا بذا بياضها ، وإنما شبهها بالجرع وفيه سواد وبياض بعد ما مَوَّتَتْ ، والمراد كثرة الصيد ، يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا ، كذا في شرح ديوان امرئ القيس ، وبه يتبين بطلان ما قيل : إن المراد أنها قد طالت مسابرتهم حتى ألفت الوحوش رحالمهم وأخبيتهم .

(١) في الأصل «فقالوا علينا» محرفاً عما أثبتناه عن الديوان ، ومعنى عالوا رفعوا ، والمطنب : المشدود بالحبال
(٢) في الديوان «وأوتاده ماذية» والمماذية : الدروع ، وهو أنسب بقوله «وعِمَادُهُ رَدِينِيَّةٌ» والردينية : الزمراح
(٣) في الأصل «إلى كل عادي» وما أثبتناه موافق لما في الديوان ، ولما في السات (ضرى ف) وفيه «قشيب» مكان «جديد»
(٤) هكذا في الأصول موافقاً لما في الديوان وشرحه وفي البيت الاقواء ، وهو عيب وقع فيه بعض خول الجاهلية .

والشاهد فيه : تحقيق التشبيه في الايغال ؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجرع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش ، لكنه أتى بقوله « لم يثقب » ايغالا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجرع إذا كان غير مقبوع كان أشبه باليون .

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتيم ، ويسمى الايغال أيضاً ، وهو : أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية ، فيأتي بما ينتم به المعنى ويزيد في فائدة الكلام ، لأن للقافية عملا من الاسماع والخواطر ، فاعتناء الشاعر بها أكد ، ولا شيء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذي لا يفيد .

ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :
 كف الصبر في أطلال مئة فأسأل رؤسوما كأخلاق الرداء
 فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاده شيثام قال :
 أظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجبان
 فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاده شيثا
 قيل : وكان الرشيد يوجب بقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :
 إذا ما علت مناً ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد في الوحل
 وكان يقول : قاتله الله ! أما كذاه أن يجعله مقيدا حتى جعله في وحل ؟
 ومنه قول ابن الرومي [من المنسرح] :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلى الفلق

فزاد بقوله « الفلق » تمكينا في التشبيه

ومن أبديع ما وقع فيه لمتأخر قول أبي بكر بن مجير [من مجزوء الكامل] :
 وخليفة ابن خليفة ابن خليفة وستفعل

قوله « وستفعل » تبليغ بديع أفاده بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه .

وحكى أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا : إني نظمت قصيدة مقصورة الروى ، وأعجزنى منها روى بيت واحد ، فما أدري كيف أتممه ، فقال له أبو بكر : أنشدني ، فأنشده قوله [من المتقارب] :

سكّلُ الإمام وضنو الإمام * وعمُ الإمام

قال له من غير تفكير ولا روية قل * ولا منتهى * فوضعه في قصيدته على ما تممه له ، وكان أمكن قوافيه وأقواها

وللسيد أبي القاسم شارح مقصورة حازم في هذا النوع قوله [من البسيط] :
لم يبرح الحمدُ يسمو ذاهباً بهمُ حتى أجاز الترياً ، وهو ما قتما
قوله « وهو ما قتما » من التبليغ الذى أفاد زيادة في المعنى ظاهرة

علمه التذييل ٦٦ - وَلَسْتَ بِمُسَدِّقِي أَخَا لَا تَكْلُمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ
البيت للنسابة الذبياني ، من قصيدة من الطويل (١) يخاطب بها
النعمان ، أو لها :

أرسمًا جديلاً من سعاد تَجَبُّ عَفَّتْ روضة الأجداد منها فينقُبُ (٢)

(١) اقرأ أبياناً منها في الديوان (٥٦) ، والاول والثاني وحدهما فيه (٩٦)
والآيات التي رواها المؤلف هاهنا ليست على نسقها في الديوان ولا هي على
نسق ما تقتضيه معانيها من الترتيب

(٢) الأجداد : أرض لبني مرة وأشجع وفزارة ، قال عروة بن الورد :
فلا وألت تلك النفوس ولا أت على روضة الأجداد وهي جميع
وقال في السان : ينقُب موضع في البادية .

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحم دان مزنه متصوب^(١)
يقول فيها أيضاً :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلى به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتذنب
فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
وبعد البيت ، وبعده :

فإن يك مظلوماً فبعد ظلمته وإن تك ذا عتب فثلك يئسب
أفاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهم منها وأنصب
والشمس : انتشار الأمر . والمهذب : المنقح الفعال المرضي الخصال
والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تله ، ولا تصلحه
على تفرق وذم خصال .
ذكرت هنا قول الشاعر ، معارضا للناطقة في هذا البيت ، وهو
[من الطويل] :

ألوم زياداً في ركافة عقله وفى قوله أى الرجال المهذب^(٢)
وهل يحسن التهذيب منك خلاصاً أرق من الماء الزلال وأطيب
تكلم والنعمان شمس سماءه وكل ملك عند نعمان كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة لأبصر منه شمساً وهو غيب
وهذا نوع من البديع ، يسمى التوليد ، وسيأتى الكلام على شيء منه في
الفن الثالث إن شاء الله تعالى .

(١) يروى « عفت آية ربح الجنوب »

(٢) زياد : هو الناطقة الذي يأتى صاحب البيت الشاهد

والشاهد فيه : التذييل لنا كيد مفهوم ، فصَدْرُ البيت دل بمفهومه على نفى
الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير ، لأن الاستفهام فيه
إنكارى : أى لا مهذب فى الرجال .

وفى معنى البيت قولُ أبى الحسن عِد الموقت المكي [من الطويل] :
إذا المرء لم يبرحْ بِمَارَى صديقهُ ولم يحتمل منه فكيف يمايشهُ
وأنى يدومُ الود والعهدُ بينهُ وبين أخٍ فى كل وقت يناقشه
وما أحسن قول مؤيد الدين الطفرائى [من الوافر] :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُ ذُخْرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
فَإِنْ رَابَتْ إِسَاءَتُهُ فَمِنْهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الْحَسَانِ
تريد مُهَذَّباً لَاعِيبَ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانٍ
وبدیع قول ابن الحداد أيضاً [من الكامل] :

واصلُ أَخَاكَ وَإِنْ أَنَاكَ بِمَنْكَرٍ فَخُلُوصُ شَيْءٍ قَلِمَا يُمْكِنُ
وَلِكُلِّ حُسْنٍ آفَةٌ مُوجُودَةٌ إِنَّ السَّرَّاجَ عَلَى سَنَاهُ يَدْخُنُ
وما أحسن قول ابن شرف أيضاً [من البسيط] :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَيْرٍ هُمَا يَبْنِيَانِكَ الْأَخْبَارَ تَفْصِيلاً
وَلَا تَعَايِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنْ بَدَرَ السَّمَاءُ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلاً
ومن النفيس قولُ ابن سَحنيس [من مجزوء الكامل] :

أَكْرَمَ صَدِيقَكَ عَنْ سَوْأِ لَكَ عَنْهُ وَاحْفَظْ مِنْهُ ذِمَّةً
فَلَرُبَّمَا اسْتَخْبِرْتَ عَنْهُ عَدُوَّهُ فَسَمِعْتَ ذِمَّةً

وقول عمر الخراط ، وهو رجل من القديروان [من مجزوء الكامل] :

لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الصَّدِيقِ وَسَلْ فَوَادِكَ عَنْ فَوَادِهِ

فدريما بحث السؤا لُ على فسادك أوفساده
ولؤلؤه فى معناه [من الرمل] :

لستُ عن ود صديق سائلا غيرَ قلبى فهو يدرى وده
فكنا أعلم ما عندى له فكنا أعلم ماى عنده
وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

عنى عليك مقارنُ العذر قد رَدَّ عَنْكَ حفيظتى صبرى
ففى هفوتَ فانتَ فى سَعَمٍ ومتى جفوتَ فانتَ فى عذرِ
تركُ العتابِ إذا استحقَّ أخُ منك العتابَ ذريعةُ المجرِ
وقول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تغفر ذنوباً كثيرةَ تريبكَ لم يسلمك الدهرَ صاحبُ
ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه بمت وهوعاتُ
وقول أبى الفتح البسى [من المتقارب] :

نحملُ أخاكُ على ما به فما فى استقامته مطمعُ
وأنى له حُلُقٌ واحد وفيه طبائعه الأربعُ

وما أحسن قول بعضهم [من مجزوء الرمل] :

لا تنقُ من آدمى فى ودادٍ بصفاء
كيف ترجو منه صفواً وهو من طين وماء
وهو كقول الآخر [من الوافر] :

ومن يك أصله ماءً وطيناً بعيدٌ من جيلته الصفاه

وما أبدع قول الجال بن نباتة [من البسيط] :

يا مشكى الهم دعه وانتظر فرجاً ودار وقتك من حين إلى حين

وَلَا تَمَانِدْ إِذَا أُمِيتَ فِي كَدَرٍ فَأَيْمًا أَنْتَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ طِينٍ

والصالح الصغدي فيه أيضا [من الوافر] :

دَعِ الْإِخْوَانَ إِنْ لَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ صَفَاءً وَاسْتَعْنِ وَاسْتَعْنِ بِأَقْفِ
أَلَيْسَ الْمَرْءُ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ وَأَيُّ صَفَا لَهَا تَيْكَ الْجَبِلَةُ

ومما ينظر إلى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم [من الطويل] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرِكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكُهَا أَنْ تَفْرَقَا

وقوله أيضا [من المتقارب] :

صَدِيقُكَ مَهْمَا جَنَى غَطُّهُ وَلَا تُخْفِ شَيْئًا إِذَا أَحْسَنَا

وَكُنْ كَالظَّلَامِ مَعَ النَّارِ إِذَا يَوَارَى الدُّخَانَ وَيَبْزِي السَّنَا

ولولته [من مجزوء المتقارب] :

أَخَاكَ اغْتَرَفَ ذَنْبَهُ وَسَلِمِيحُ إِذَا مَا هَذَا

وَعَطُّ عَلَى عِيْبِهِ يَدُمُ مِنْهُ عَهْدُ الْوَقَا

وَإِنْ رُمْتَ تَهْرِيمَهُ تَجِدُ وَدَهُ قَدْ عَفَا

٦٧ - فَتَى دِيْلَرِكْ غَيْرَ مُفْسِدِيهَا صَوْبُ الرِّبِيعِ وَدِيْمَةُ تَهْمِي

حامد الكليل البيت لطرفة بن العبد ، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة

الحنفي ^(١) وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فينزل لهم ، وأولها :

إِنْ أَمْرًا سَرَفَ الْفَوَادِرِ يَرَى عَسَلًا بِمَاءِ سَحَابَةٍ شَتْمِي

(١) في الأصول «قتادة بن سلمة» وما أثبتناه موافق لما في الديوان ٦١

وَأَنَا أَمْرٌ أَكْرَى مِنَ الْقَصْرِ الـ
وَأَصِيبُ شَاكِلَةَ الرِّمِيَةِ إِذْ
وَأَجِزُ ذَا الْكَفْلِ الْقَنَاءَ عَلَى
وَتَصَدُّعُكَ نَحْيِلَةُ الرَّجُلِ الـ
بِخَنَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالـ
أَبْلَغُ قِتَادَةٍ غَيْرَ سَائِلِهِ
إِلَى حَدِّكَ الْعَشِيرَةِ إِذْ
أَقْوَى إِلَيْكَ بِكُلِّ أَرْمَلَةٍ
وَفَتَحْتَ بَابَكَ لِلْمَسْكَامِ حَيْثُ
وَبَعْدَ الْبَيْتِ (٤) وَهُوَ آخِرُهَا .

وصوب الربيع : نزول المطر ووقعه في الربيع . والديمة : مطر يدوم في سكون
بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة أو أقله
ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت ، وجمعها دِيمٌ وذِيومٌ . ومعنى تهى :
تسلل .

والشاهد فيه : التكليل ، ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو : أن يؤتى في كلام
يوم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو هنا قوله « غير مفسدها » فإن نزول المطر قد
يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها ، فدفع ذلك بتوسط قوله « غير مفسدها » .

- (١) في الأصول « وَأَنَا أَمْرٌ أَلْوَى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان
- (٢) في الأصول « مِنْهُ الثَّوَابُ »
- (٣) في الأصول « مَقْنَعُ الْبَرَمِ » وما أثبتناه موافق لما في الديوان
- (٤) في الديوان بيت بينهما - ولم يروه الأعلام - وهو :
وَأَهْنَتْ إِذْ قَدَمُوا التَّلَادَ لَهْمٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَبْنَى النَّمَمِ

وفي معنى البيت قول جرير [من الكامل] :

فَسَاكِرٌ حَيْثُ حَلَّتْ غَيْرَ فَقِيدَةٍ هَزَجُ الرِّيحِ وَدِيمَةٌ لَا تَقْلَعُ

ومن الاحتراس قول زهير بن أبي سلمى [من البسيط] :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

وقول امرئ القيس أيضاً [من الطويل] :

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سَوَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَانِي

وقول نافع بن خليفة الغنوي [من الطويل] :

رَجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيُطَوُّهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

ومثله قول عنقرة العبسي [من الكامل] :

أَنْتَى عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَاَنْتَى سَهْلٌ مُحَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ

وقول الآخر [من الوافر] :

فَاقِي إِنْ أَفْنَكَ يَفْنُكَ مَنِي فَلَا تُسَبِّقْ بِهِ عِلْقُ نَفْسِي

ومن ملبح الاحتراس قول الرمادي في وصف فرس [من الكامل] :

فَاَمَتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بَطْعَانَا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمُنْدِيلِ

فوقوله « غضا » احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لتوهم أنهم ينقلون عليه

أزوادهم .

وجة طرفة بن المبد (١) : هو ابن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة

ابن قيس بن ثعلبة ، ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة بسبب بيت قاله ،

المبد

(١) لطرفة ترجمه في الشعراء لابن قتيبة (٨٨) وفي خزانة الادب

للمقدادى (١ - ٤١٢)

وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها [من الكامل] :
 ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
 وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة ،
 فيقال له : ابن العشرين ، وقيل : قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، وإلى ذلك
 تشير أخته حيث قالت ترثيه [من الطويل] :

عددنا له سينا وعشرين حجة فلما توفّاها استوى سيداً ضخماً
 فجعنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا نهما
 وكان السبب في قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته
 فرأت طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال [من المزج] :

ألا يأتى لى الظبي الـ سدى يبرق شفاءه^(١)
 ولولا الملك القاعد سدى قد ألتئى فاه

فحدث عليه ، وكان قد قال أيضاً قبل ذلك [من الوافر] :
 وليت لنا مكان الملك عمرو رغوفاً حول قبئنا نخور^(٢)
 لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
 وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لين ، ويسمى قينة الفرس^(٣)
 فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثة عامله على البحرين كتاباً أوممه
 فيه أنه أمر له بجائزة ، وكتب للمتلئس بمثل ذلك ، فأما المتلئس فكأنه كتابه ،

- (١) في الشعراء لابن قتيبة «ألا يا باني الظبي»
 (٢) في الأصول « تدور » موافقاً لما في نسخة من الشعراء ، وما أثبتناه
 موافقاً لما في الديوان ٦ وما في الشعر لابن قتيبة ٨٩
 (٣) في الشعراء لابن قتيبة «قينة العرس» وهو الصواب

وعرف ما فيه فنجا، كما سيأتي في خبره، وأما طرفه ففضى بالكتاب، فأخذ
الربيع فسقاها الخمر حتى أقبله، ثم فصد أكله، فقبّره بالبحرين. وكان لطفه
أن يقال له معبد فطالب بدينه فأخذها من الخواثر.

قال أبو عبيدة: مر لبيد بمجلس لتهنئ بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا، فلما
جاوز أمروا فتي منهم أن يلحقه فيسأله: من أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيد:
الملك الضليل — يعنى أمراً القيس — فرجع فأخبرهم، فقالوا له: ألا سألته ثم
من، فرجع فسأله، فقال له: ابن العشرين — يعنى طرفه — فلما رجع قالوا:
ليتك سألته ثم من، فرجع فقال: صاحب الميحين — يعنى نفسه — قال أبو عبيدة:
طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور، يعنى أمراً القيس وزهيراً. والنايفة،
ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حنظلة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل.
ومن شعر طرفة وهو صبي^(١) قوله [من الطويل]:

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي
فَمَنْ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بَشْرِي كَيْتِ مَتَى مَا تُفَلِّ بِالْمَاءِ تَزِيدِي
وَكُرِّي إِذَا نَادَى الْمَضَافُ مُحِبًّا كَسِيدِ الْغَضَا تَهْتَهُ الْمُتَوَرِدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْدَّجْنُ مُعْجِبُ يَهْكَنُهُ تَحْتَ الْغِلْيَاءِ الْمَعْمَدِ
وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصاري فقال^(٢) [من الطويل]

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
فَمَنْ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بَشْرِي كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعَسُ
وَمَنْ تَجَرِيدُ الْكُوعَابِ كَالْأُمَى إِذَا ابْتَزَّ عَنْ أَكْفَالِهَا الْمَلَابِسُ

(١) هي أبيات من قصيدته المعلقة

(٢) الأبيات في الشعراء ٩٣

ومنه تَقرِيطُ الجِوَادِ عِناهُ إِذَا اسْتَبَقَ الشَّخْصَ القَوِيَّ الفَوَارِسُ^(١)
وقد ناقض عبد الحيد بن أبي الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال
[من السريع]:

لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمْ أَخَفْ صِرْعَتِي لَيْسَتْ كَمَا قَالَ قَتِي الْعَبْدِ
أَنْ أَنْفَرُ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِإِذْنِ جَهْدِي
وَأَنْ أَنَا جِي اللَّهِ مُسْتَعْتَمًا بِخَلْقِهِ أَحْلَى مِنْ الشَّهِدِ
وَأَنْ أَنِيهِ الدَّهْرَ كِبَرًا عَلَى كُلِّ لَيْثٍ أَصْعَرِ الْخَدِّ
لِذَاكَ أَهْوَى لَا فَتَاةٍ وَلَا خَيْرٍ وَلَا ذِي مَبِيعَةٍ نَهْدِ
وبما سبق إليه أيضا، وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله^(٢)
[من الطويل]:

مَتَّبِعِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
وقال غيره^(٣) [من الطويل]:
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْغِ لَهُ بَنَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ
وبما يستجد من قصيدته التي منها البيت السابق على هذا^(٤) قوله [من
الطويل]:

أَلَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ أَجْرِي أَحْضَرَ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِطِي

(١) في الشعراء «إذا استبق الشخص الخفي الفوارس»

(٢) هو من قصيدته المعلقة أيضا

(٣) ليس هذا البيت لغير طرفة، بل هو له نفسه، بل هو قال للبيت
الذي ذكره قبله

(٤) هذه الآيات أيضا من قصيدته المعلقة

فإن كنت لا تستطيع دفع مني
أرى قبر نعام بجبل بحاله
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة
لعمرك إن الموت ما أخطأ القى
فدنى أبادر بها بما ملكت يدي
كفبر غوي في البطالة مُفسد
وما تنقص الأيام والدهرُ ينفد
لكالطول المرخي وثنيته باليد
وما يلعب من شعره قوله بمدح قوما [من الرمل] :

أسدُ غيل فإذا ما شربوا
نم راحوا عبق المسك بهم
ذکر أنهم يُعطون إذا سكرُوا ، ولم يشترط ذلك في صحوم كما قال غنتره
[من الكامل] :

وإذا شربت فإني مُستهلك
وإذا صحت فإقصر عن ندى
قالوا : والجيد هو قول زهير بن أبي سلمى [من الطويل] :
أخوتة لا يُتلفُ الخمرُ ماله
ولكنه قد يُتلفُ المالُ نائلة
وقال بعض المحدثين [من الطويل] :

قئ لا يلوك الخمرُ شحمة ماله
ولكن عطايه ندى وبادر
وما أظف قول ابن سحيد يس في معنى قول غنتره [من الطويل] :
يميد عطايا سكره عند صحوه
ويسلم في الإتمام من قول قائل
ليعلم أن الجود منه على علم
تكرم لما خمرتُه ابنة الكرم

شاهد
الاعتراض

٦٨ - إِنَّ الثَّانِينَ وَبَلَّغَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ مَعْنَى إِلَى تَرْجُمَان

البيت لعَوف بن مُحَلَّم الشيباني ، من قصيدة من السريع (١) ، قالها
لعبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم [عليه عبد الله] (٢) فلم يسمع ،
فأعلم بذلك ، فدنا منه ، ثم ارتجبل هذه القصيدة ، وأولها :

يا ابن الذري دان له المشرقان طراً وقد دان له المغربان

وبعد البيت ، وبعده :

وبدلتني بالشطاط انحنا وكنت كالصعنة تحت السنان (٣)

وعوّضتني من زماع الفتى ومعنى هم الجبان المهدن (٤)

وقالبت منى خطأ لم تكن مقاربات وثنت من عنان

وأثنت بيني وبين الوري سحابة ليست كنسج العنان (٥)

ولم تدع فيّ لستمع إلا لسانى وبحسى لسان

أدعو به الله وأثنت به على الأمير المصعبي الهجان (٦)

(١) أقرأها - ما عدا تاسعها والبيتين الآخرين - في أمالي أبي على

القالى (١ - ٥٠)

(٢) زيادة عن الأمالي يتضح بها المراد

(٣) الشطاط - بزنة السحاب - الاعتدال وحسن القوام ، والصعنة - بفتح
الصاد وسكون الين - القناة المستوية التي تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تنقيف

(٤) في الأمالي « وبدلتني من زماع الفتى » والزماع : المضاء في الأمر
والعزم ، عليه ، والهدان - بزنة الكتّاب - الجافي الأحق

(٥) في الأمالي « عنانة من غير نسج العنان » والعنان : مثل السحاب
وزنا ومعنى ، واحده عنانة كسحابة

(٦) الهجان - بكسر الهاء - الكريم

وَهَمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدْتُهَا وَبِالْعَوَانِي ، أَيْنَ مِنِّي الْعَوَانِ ؟
 قَسْرُبَانِي ، بِأَبَى أَنْتَا ۱ مِنْ وَطَنِي قَبْلَ أَصْفَارِ الْبَنَانِ
 وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ مَسْكَنُهَا حِرَّانَ وَالرَّقَّتَانِ (١)
 سَقَى قُصُورَ الشَّاذِيخِ الْحَبَا مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمِيَانِ
 فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا أَنْ تَنْخَطَّاهَا ضُرُوفُ الزَّمَانِ
 وَ « التَّرْجَانِ » يُقَالُ بِضَمِّ تَائِهِ وَجِيهِ ، وَفَتْحِهَا ، وَفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْجِيمِ ،
 وَهُوَ الْمَفْسَرُ لِلْسَّانِ ، يُقَالُ : تَرَجَمَ ، وَعَنَهُ ، وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى أَصَالَةِ التَّاءِ .

وَلَقَدْ أَجَادَ الْغَزَى فِي تَضْمِينِهِ صَدْرَ الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ [مِنْ السَّرِيعِ] :
 طُولُ حَيَاةٍ مَالِهَةٍ طَائِلُ نُقْصٍ عِنْدِي كُلِّ مَا يُشْتَبَى
 أَصْبَحْتُ مِثْلَ الطُّفْلِ فِي ضَعْفِهِ تَشَابَهُ الْمَبْدَأِ وَالْمُنْتَهَى
 فَلَا تَأْتُمْ سَمْعِي إِذَا خَانَنِي إِنَّ الْغَمَّانِينَ وَبُلْغَتَهَا
 وَلَطِيفُ قَوْلِ الشَّهَابِ الْمَنْصُورِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

نَحْوُ ثَمَانِينَ مِنَ الْعُمَرِ قَدْ قَطَعْتَهَا مِثْلَ عَقُودِ الْجَمَانِ
 مَا أَحْجُجْتُ يَوْمًا يَمْنِي إِلَى عَصَا وَلَا سَعَى إِلَى تَرْجَانِ

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : الْإِعْتِرَاضُ ، وَيَسَى : الْإِلْتِفَاتُ (٢) ، وَهُوَ : أَنْ يُوْتَى فِي
 أَنْشَاءِ الْكَلَامِ ، أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَصِلَيْنِ مَعْنَى ، بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرِ لَا حُلَّ لَهَا مِنْ
 الْأَعْرَابِ ، لِنَكْتَةِ سُورِي دَفْعِ الْإِيهَامِ ، وَهُوَ هَذَا الدُّعَاءُ فِي قَوْلِهِ « وَبُلْغَتَهَا » لِأَنَّهَا
 جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ اسْمِ إِنْ وَخَبَرِهَا ، وَالْوَاوُ فِيهِ إِعْتَرَاظِيَّةٌ : لَيْسَتْ عَاطِفَةٌ ،
 وَلَا حَالِيَّةٌ .

(١) فِي الْأَغَانِي « أَوْطَانُهَا حِرَّانُ وَالرَّقَّتَانِ »

(٢) انْظُرْ كِتَابَ الْعَمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ (٢ - ٤٢ بِتَحْقِيقِنَا)

ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة [من الكامل] :
 ولو أن عزة حاكمت شمس الضحى في الحسن عند موقفي لقضى لها ،
 وهو معترض ، إذ لا بد فيه من ذكر موقفي ، لأنه لا يتم المعنى بدونه ،
 ومنه قول كثير أيضا [من الوافر] :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْإِطْلَافَ
 ومن مليح ما سمع فيه قول نُصَيْب ، وكان أسود [من الطويل] :
 فكنت ولم أخلق من الطير إن بدا سنا بارق نحو والحجاز أطير^(١)
 يروى أن التي قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديدا ،
 فصاح ابن أبي عتيق : أوه ، قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك
 لنفق وطار ، فجعله غرابا لسواده .

ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :
 قد كنت أبكى وأنت راضية حذار هذا الصدود والغضب
 إن تم ذا الهجر يا ظلوم ولا تم فإلى في العيش من أرب
 وما أحسن قول أبي الفتح البستي [من الوافر] :
 أراح الله قلبي من زمان تحت يده سروري بالإساءة
 فإن حيد الكريم صباح يوم وأنى ذاك لم يحمد مساءة
 والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزينج ، وما أبدع قول ابن
 الساعاتي فيه [من الرمل] :

(١) روى ابن رشيقي هذا البيت هكذا :
 وددت - ولم أخلق من الطير - أنتى أعار جناحي طائر فأطير
 وحكى معه نفس القصة التي حكها المؤلف

حَالَ مِنْ دُونَكَ يَا أَخْتَ الْكِلَلِ مَقْلُ الْحَيِّ وَفُرْسَانُ الْأَسَلِ
وَمَوَاضِي مُرَهَّاتٍ فَتَكَتْ بِي وَحَاشَاكَ وَلَا مِثْلُ الْكَعَلِ
وَقَوْلُ أَبِي الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَيَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى إِذَا مَا مَدَحَتْهُ كَمَا اهْتَزَّ حَاشَا وَصَفَهُ شَارِبُ الْخَرِ
وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ السَّاعَى فَانَهُ قَالَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
يَهْزُهُ الْمَدْحُ هَزَّ الْجُودِ سَائِلُهُ أَوَّلًا وَحَاشَاهُ هَزَّ الشَّارِبِ الثَّمِيلِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْفَقِيهِ عِمَارَةَ الْبَيْتِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُ جُودًا بَنَانُهَا وَوَجْهٌ إِذَا قَابَلْتَهُ يَنْهَلُ
يَرَى الْحَقَّ لِلزَّوَارِ حَتَّى كَانَهُ عَلَيْهِمْ وَحَاشَا قَدْرَهُ يَنْطَفِلُ
وَالْكَلَّ أَخَذُوا لَفْظَةً حَاشَا مِنْ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي حَيْثُ يَقُولُ
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَيَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرُبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاهُ فَانِيَا
وَمَا أَحْسَنَ أَيْضًا قَوْلُهُ فِيهِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْرَايْتَ لَهِيئُهُ يَا جَنَّتِي لَوَجَدْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ
وَالْقَاضِي مَهْنَبُ الدِّينِ الْفَسَّافِي [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمَالِي إِلَى مَاءِ سَوَى النَّيْلِ غَلَّةً وَلَوْ أَنَّهُ أَسْتَغْفِرَ اللَّهُ زَمْرُ
وَبَدِيعُ قَوْلِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَيْحِي بْنِ حَرَمٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
أَتَجْزَعُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ أَسْلَنْتَهُ وَمَنْ نَارَ أَحْشَائِي وَمَنْكَ لَهِيئَهَا
وَزَعَمُ أَنْ النَّفْسَ غَيْرَكَ عُلَّقَتْ وَأَنْتَ وَلَا مِنْ عَالِيكَ حَبِيبَهَا
وَمِنْ الْحُشْوِ الَّذِي زَادَ حِلَاوَةَ قَوْلِ الْجَمَالِ بْنِ نُبَاتَةَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
لَوْ دُقَّتْ بَرْدَ رَضَابٍ مِنْ مَقْبَلِهِ يَا حَارِي مَالَتْ أَعْطَانِي الَّتِي ثَمَلَتْ

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

إِن عَيْنِي وَهِيَ عَضُو ذَنِيٍّ مَا عَلَى مَا كَابِدَتْهُ جِلْدُ
مَا كَفَاهَا بَعْدَهَا عَنْكَ إِلَى أَنْ دَهَاهَا ، وَكُفَيْتَ ، الرَّمْدُ

وما أحسن قول ابن اللبّانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة [من الكامل] :

وَعَمْرَتُ بِالْإِحْسَانِ أَهْلَ مَيُورِقَةَ وَبَنِيَتْ فِيهَا مَا بَنَى الْإِسْكَنَدَرُ

فَكَانَهَا بَعْدَادُ أَنْتَ رَشِيدُهَا وَوَزِيرُهَا ، وَلَهُ السَّلَامَةُ ، جَعْفَرُ

قوله « وله السلامة » من أملح الحشو وأحلاه ، قالوا : وهو أملح

وأوضح من قول المتنبي « ويحتقر الدنيا — البيت المار » .

ومن المضحك فيه قول الجزار [من الطويل] :

لَنْ يَنْقَطَعَ الْغَيْثُ الطَّرِيقَ قَبْلَ غَلْقِي وَحَاشَاكَ قَبْقَابِي وَجَوْخِي الدَّارُ

وإِنْ قِيلَ لِي لَا تَخْشَ فَهُوَ عُبُورَةٌ خَشِيتُ عَلَى بَأْنِي جَزَارُ

وما أطفأ قوله في معنى « رقة الحال » وإن لم يكن من هذا الباب **آيات في معنى رقة الحال**

[من الخفيف] :

لِي مِنْ الشَّمْسِ حِلَّةٌ صَفْرَاهُ لَا أَبَالِي إِذَا أَتَانِي الشَّتَاهُ

وَمِنْ الزَّمْرِيرِ إِنْ حَدَثَ الْغَيَاءُ — مٌ نِيَابِي وَطِيلَسَانِي الْهَوَاهُ

بَيْنِي الْأَرْضُ وَالْفَضَائِيهِ سَوْرٌ لِي مَدَارٌ وَسَقْفُ بَيْتِي السَّمَاءُ

شَنَّعَ النَّاسُ أَنْنِي جَاهِلِيٌّ نَانَوِيٌّ وَمَا لِمِ أَهْوَاهُ

أَخَذُونِي بِظَاهِرِي إِذْ رَأَوْنِي عَبْدَ شَمْسٍ تَسُوهُنِي الظُّلُمَاهُ

وما أطفأ قول البهاء زهير في هذا المعنى [من الخفيف] :

أَدْرِكُونِي فِي مَنْ الْبَرْدِ هَمٌّ لَيْسَ يُنْسَى فِي حَشَايَ النَّهَابُ

كَمَا أَدْرَقَ لَوْنُ جَسْمِي مِنْ الْبَرْدِ دِرْ تَحْيَلْتُ أَنَّهُ سِنَجَابُ

عود إلى
الاعتراض

رجع إلى الاعتراض .

ومنه قول أبي محمد الميبراني ، وكتب به إلى صديق له رأى عنده غلاماً
استخدمه [من المنسرح] :

رَأَيْتُ ظُلِيًّا يَطُوفُ بِحَرَمِكَ أَغْرَئُ مَتَانِسًا إِلَى كَرَمِكَ
أُطْمَعِي فِيهِ أَنَّهُ رَشَأُ بِرِشَى لِيخْشَى وَلَيْسَ مِنْ خَدَمِكَ
فَاشْغَلْهُ بِي سَاعَةً إِذَا فَرَغْتَ دَوَّاهُ إِنْ رَأَيْتَ مِنْ قَلَمِكَ

ومن يديه مع الرقة والانسجام قولُ ريسم بن شادلويه صاحب أذربيجان
[من الوافر] :

سُعَادُ تَسْبِيحِي ذُكْرَتْ بِخَيْرٍ وَتَزَعُمُ أَفْنَى مَلِيقُ خَبِيثُ
وَأَنْ مَوَدَّتِي كَنْبٌ وَتَيْنٌ وَأَنْي بِالَّذِي أَهْوَى بُثُوثُ
وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدُّ عَلَيْهَا وَلَكِنَّ الْمُلُوكَ هُوَ النُّكُوثُ (١)
رَأَتْ شَفَقِي بِهَا وَنَحُولَ جَسِي فَصَدَّتْ ، هَكَذَا كَانَ الْحَدِيثُ

وما ألفت قول البهاء زهير بهجو [من الوافر] :

صَدِيقٌ لِي سَأَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ وَإِنْ عَرَفْتُ بَاطِنَهُ الْخَلِيبُ
وَحَاشَا السَّامِعِينَ يُقَالُ عَنْهُمْ وَبِاللَّهِ أَكْتُمُوا هَذَا الْحَدِيثُ

وبالغ ابن الساعاني بقوله [من الطويل] :

تَوَدُّ مَجْهُومُ اللَّيْلِ لَوْ نَصَلَتْ بِهَا وَإِنْ لَقِيتُ بُؤْسًا ذَوَابِلُ مَلْدِهِ
وَلَوْ تَمَلَّكَ الْحَكَمُ الْأَهْلَةُ لَمْ تَكُنْ وَيَا فخرها إِلَّا نَمَالًا لَجُودِهِ

(١) في ب «ولكن الملوك هم النكوث» محرفاً

وعوف^(١) بن محم الخزازي أبو المتهال^(٢) : هو أحد العلماء الأدباء ، الرواة
 الفهماء النعماء الظرفاء الشعراء الفصحاء . وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة
 بأليم الناس ، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمناذمته ومسامرته ، فلا يسافر
 إلا وهو معه فيكون زميله وعديله ويصحب به . وقال محمد بن داود : إن سبب اتصاله
 بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الآيات أيام الفتنة ببغداد وطاهر منصرف في
 حراسة له ببجلة ، فأدخله معه ، وأنشده إياها ، وهي [من المتقارب] :

عجبتُ لمراقبة ابن الحسيــــــــن كيفَ تنومُ ولا تفرقُ
 وبحراني من تحتها واحدٌ وآخرُ من فوقها مُطبقُ
 وأعجبُ من ذاكَ عيادُها وقد مسَّها كيفَ لا تورقُ

وأصله من حران ، وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكلما استأذنه في
 الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له ، فلما مات ظن أنه تخلص وأنه يلحق
 بأهله ، فقر به عبد الله بن طاهر وأنزله منزله من أبيه ، وأفضل عليه حتى كثر
 ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له في العود إلى أهله ، فاتفق أنه خرج
 عبد الله من بغداد إلى خراسان ، فجعل عوقا عديله ، فلما شارف الرى سمع صوت
 عندليب يغرد أحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله ، والتفت إلى عوف وقال :
 يا ابن محم ، هل سمعت بأشجى من هذا ؟ قال : لا والله ، قال عبد الله : قاتل
 الله أبا كبير حيث يقول^(٣) [من الطويل] :

ألا يا حاتمَ الأيـكِ إلفكَ حاضِرٌ وغُصنكَ ميّادَ قفيمٍ تنوحُ

(١) لعوف بن محم ترجمة في فوات الوفيات (٢ - ١٤٩) وعنها نقل

(٢) في ب «أبو المناهل»

(٣) نسب أبو علي في الأمالى (١ - ١٣٣) هذه الآيات الثلاثة إلى عوف

ابن محم رواية عن المبرد ، ولعل مر ذلك هذه القصة التي حكها المؤلف هنا

أَفِيءُ لَا تَنْتَحُ مِنْ غَيْرِ بَيْنِ فَانِي بَكَيتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وَلَوْ عَا فَشَطَعْتُ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَب فَمَا أَنَا أَبْكِي وَالْفَوَادُ قَرِيبُ

قال عوف : أحسن والله وأجاد أبو كبير ، إنه كان في المذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مقلق ، وما كان فيهم مثل أبي كبير ، وأخذ يصفه ، فقال له عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزت قوله ، فقال له : قد كبر سني ، وفقى ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه ، قال عبد الله : بحق طاهر إلا فعلت ، فابتدر عوف فقال [من الطويل] :

أَفِيءُ كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَزُرُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَثِيَّةٍ فَتَرِيحُ
لَقَدْ طَلَعَ الْبَيْنُ الْمَشْتِ رَكَائِي فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرْقَى بِالرَّيْ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَتَنَحْتُ وَذُو اللَّبِّ الْغَرِيبُ بِنَوْحُ
عَلَى أَنهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُنْذِرْ دَمْعَةً وَنَحْتُ وَأَمْرَابُ الدَّمُوعِ سَوْحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاها بِحَيْثُ تَرَاهَا وَمِنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيَحُ
أَلَا يَا حَامِ الْإِيكِ الْفُكُ حَاضِرُ وَغَصْنُكَ مِيَادُ فَقِيمِ تَنُوحِ
عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكُسَ النَّوَى فَتَلْقَى عَصَا التَّطَوُّافِ وَهِيَ طَرِيحُ
فَأَنْ الْغَيْيَ يَنْدِي الْغَيْيَ مِنْ صَدْرِقِهِ وَعُدُّمُ الْغَيْيَ بِالْمَغْرِبِينَ طَرُوحُ

فاستمع عبد الله ورق له ، وجرت دموعه ، وقال : والله إنني لضنين بمبارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعلمت معي خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلي ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال عوف الأبيات المشهورة وصار راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ومات في حدود العشرين والمائتين .

ومن شعره رحمه الله تعالى قوله [من الوافر] :

وَكُنْتُ إِذَا صَحِبْتُ رِجَالَ قَوْمٍ مَحَبَّتُهُمْ وَنِيَّتِي الْوَفَاةُ

فأحسَّ حين يحسُّ محسوم وأجنب الاساءة إن أساءوا
وأبصر ما يريهم بعين عليها من عيوبهم غطاه
ومنه قوله [من مجزوء الكامل] :

وصغيرة علقها كانت من العين الكبار
بلها لم تعرف لفرها بها العين من اليسار
كالبدري إلا أنها تبقى على ضوء النهار

٦٩ - واعلمْ فَعَلْمُ المرءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوَّفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِّرَا
البيت من السريع ، وأنشده أبو علي الفارسي ، ولم يعزه إلى أحد .
و « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعني أن المقدور
آتٍ لا محالة وإن وقع فيه تأخير . وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر .
والشاهد فيه : الاعتراض بالتنبيه ، وهو قوله « فعلم المرء ينفعه » وهو جملة
معتضة بين « اعلم » ومعموليهِ ، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية .

٧٠ - * يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدُدُ *

شاهد الإيجاز

هو من الطويل ، وتمامه :

* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدٌ *

وقائله أبو تمام من قصيدة ^(١) يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، وأولها :
فَقَوَّا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمُ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنَشِيدَانِ نَاشِدٍ ^(٢)

(١) ارجع إليها في الديوان (١١٦)

(٢) في الأصول « وإن لم تكن تسمع » ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان

لقد أطرق الربيع المحيلُ لقدم
 وأبقوا لضيف الشوق متى بعدهم
 سفته ذعافا عادة الدهر فيهم
 به علة صماء للبين لم تُصنع
 وفي السكيلة الوردية اللون جوذر
 رمت بخلف بمد ما عاش حبة
 غدت مُغتدَى الغضى وأوصت خيالها
 وقالت نكاح الحب يفسد شكله
 وهي طويلة، يقول في مديحها :

وبينهم إطراقَ شكّانٍ قاتد
 قرى من جوى سارٍ وطيف مَمّاد (١)
 وسم اللبالي فوق سم الأساود (٢)
 لبرء ولم توجب عيساء عائد
 من العين وردى الحدود المجاسد (٣)
 له رَسَقَانٌ في قيود المواعد (٤)
 بهجران نضو العيس نضو الخرايد (٥)
 وكم نكمحو حبا وليس بفاسد

(١) في الديوان «لضيف الحزن»

(٢) في الأصول «سفته ذعافا غارة الدهر» محرفا، وما أثبتناه موافق لما
 في الديوان، والذعاف: السم السريع القتل، وأراد بعادة الدهر الرحلة
 والافتراق وألا يجتمع شمله بشمل أحبابه

(٣) في الديوان «ورد اللون ورد المجاسد» والكلمة - بكسر الكاف -
 السترالرفيق، والجوذر: ولد البقرة الوحشية، والعين - بكسر العين - جمع أعين
 أو عيناء، وهي الواسعة العين، ويراد بها بقرة الوحش، والمجاسد: الثياب المزعفرة
 (٤) أراد بالخلف خلف الوعد بالوصال، والحقة: المدة من الزمان،
 والسفان - بفتح السين - مشى المقيد

(٥) في الأصول «بجران نضو العيش» محرفا، في عدة مواضع، وما أثبتناه
 موافق لما في الديوان، والنضو - بكسر النون وسكون الضاد - المهزول،
 والعيس: جمع أعيس أو عيساء، وأراد بها النوق، وأراد بنضو العيس الذي
 أهزله طول السفر، والخرايد: جمع خريدة، وهي في الأصل الاثؤلة التي
 لم تنقب، وأراد بها الفتيات الابتكار

فَمُحْدَوُهُ لَا مَلُومِينَ مَجْدُهُ وماحسدٌ في المَكْرُمَاتِ بِمَحْسَدٍ
قَرَأَنِي اللَّهَى وَالْوَدَّ حَتَّى كَانَمَا أَقَادَ النَّعْيَ مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي^(١)
فَأَصْبَحْتُ يَلْقَانِي الزَّمَانُ مِنْ آجَلِهِ بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَإِشْفَاقِ الْوَالِدِ^(٢)
وبعد البيت، وبعده :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِّغَتْ لَهُ بِصَفَرُهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ^(٣)
فَوَاكِدِي الْحُرَى وَوَاكِدِي النَّوَى لِإِلَامِهِ لَوْ كُنَّ غَيْرَ بَوَائِدِ
وَهَبَاتٍ مَا رَيْبُ الزَّمَانِ بِمِخْلِدِ غَرِيْبًا وَلَا رَيْبُ الزَّمَانِ بِخَالِدِ
وَالزَّيْ - بِكسر الزاي - الهَيْئَةُ . والعَنَاءُ : البُكَرُ . والنَاهِدُ : التي تَهْدِ
نَدِيهَا ، أَيْ ارْتَفِعْ .

والشاهد فيه : وصفه بالإيجاز بالنسبة إلى كلام آخر سألوه في أصل المعنى ،
وهو البيت الآتي بعده ، وهو « إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ - إلخ » .

٧١ - وَلَسْتُ بِمَيْمَالٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ شَاهِدِ الْإِطْنَابِ

البيت من الطويل ، وهكذا رويته ، وإن كان في التلخيص بلفظ « نظار »
بدل « ميال » . وقائله المَعْدُلُ بْنُ غِيلَانَ أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ ، أَحَدُ الشَّاعِرِينَ
المَشْهُورِينَ ، رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ الْأَخْفَشُ عَنِ الْمَبْرَدِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ الْمَرْزَبَانِ عَنْ
الرَّبْعِيِّ^(٤) ، وَبَعْدَ الْبَيْتِ :

(١) قرأني : أصله من القرى وهو ما يقدم للاضيافان ، وأراد منحني
وأعطاني ، والهي - يضم اللام - العطايا
(٢) في الديوان « يلقاني الزمان لأجله »
(٣) في الديوان « بيزرجها الدنيا »
(٤) ذكر ذلك كله وأنشد البيتين أبو الفرج في الأغانى (١٢ - ٥٧)

وإني لَصَبَّارٌ على ما ينويني وَحَسْبُكَ أَنْ اللهُ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ
ورواه صاحب الدرّ الفريد ، لأبي سعيد الخزومي ، يحاطب به امرأته ،
وأول الأبيات :

ترقي بجميل الصبر مني على الهجر ولا تنقي بالصبر مني على الهجر
وأراد بالنفي مسببه ، أعنى الراحة ، وبالفقر المحنة ، يعنى أن السيادة مع
التعب والمشقة أحبُّ إليه من الراحة والدعة بدونها .

والشاهد فيه : وصفه بالإطباب بالنسبة إلى مصراع أبي تمام ، لأنه مسأله
في أصل المعنى مع قلة حروفه .

ومثل ذلك قول الشَّاعِر [من الوافر] :

إِذَا مَارَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَّابَةٌ بِالْيَمِينِ

وقول بشر بن أبي خازم [من الوافر] :

إِذَا مَا الْمَكْرَمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَصَرَ مَبْتَغُوهَا عَنْ مَدَاهَا

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُتَرِّينَ فِيهَا سَمَا أَوْسُ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

والمعدل^(١) : هو ابن غيلان بن الحكم بن البحتري ، وكان أبوه غيلان
شاعراً أيضاً .

ترجمة للمعدل
ابن غيلان

حدث عمارة قال : مرّ المعدل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري
القاضي ، فاستنزه عبد الله ، وكان من عادة المعدل أن يزلّ عنده ، فأبى وأنشده
[من الوافر] :

أَرَمِنْ حَقِّ الْمَوْدَةِ أَنْ تُقْضَى ذِمَامُكُمْ وَلَا تَقْضُوا ذِمَامَا

(١) من ثنايا ترجمة عبد الصمد بن المعدل من الأغانى (١٢ : ٥٧ - ٧٢)
أخذ المؤلف ما ذكره عن أبيه المعدل

وقد قال الأديب مقال صدقٍ رآه الآخرون لهم إيماءاً
 إذا أكرمتمكم وأهتتموني ولم أغضب لذلِكُم فداماً
 قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عبد الله
 مُضْطَبّاً ، فقال : أجل ، ماتت بنتُ أُختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك ، قال :
 ذنبك أيسرُ من عذرك ! ومالي أنا أعرف خبر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبر
 حقوقي ؟ فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضى عنه .
 وحدث الجواز قال : هجا أبا نُو اللاحِقِيُّ المعدِّلَ بن غيلانف ، قال
 [من الخفيف] :

كنتُ أمشي مع المعدل يوماً ففسا فسوةً فكنتُ أطيرُ
 فنلتُ هل أرى ظرَباناً من ورأى والأرضُ في تسديرُ
 فاذا ليسَ غيره وإذا إعصارُ ذاكَ الفناء منه يفورُ
 فتمجبتُ ثم قلتُ لقد أعرقَ في ذا فيما أرى خنزيرُ^(١)
 فأجابه المعدل بقوله [من الرمل] :

صحفتُ أمك إذ مسمتك في المهد أبانا
 صيرت باء مكان التاء فالله أعاناً^(٢)
 قطع الله وشيكاً من مسميك اللسانا
 وقد روى عن المعدل وأبيه شيء من الأخبار والحديث واللغة ليس بالكثير
 ومن شعره [من الطويل] :

- (١) في الأغاني «لقد أعرف هذا فيما أرى خنزير» وأراه محرفاً عما هنا
 (٢) في الأغاني « والله أهانا »

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنى أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى حَلَّةً في إخوة وقراة وذى رحم ما كان مثلى يضيها
فلساعدتني في المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيها

ترجمه عبد
سدد بن المعذل
وأما ابن المعتز^(١) عبد الصمد، فكان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة
العباسية، وكان هجاء خبيث اللسان، شديد المعارضة، وكان أخوه أحمد
شاعراً أيضاً، إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين، وتقدم عند المعتزلة، وجاء
واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه، وكان يحسده ويهجموه،
فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله،
وهو في غاية الأذى مع مافيه من اللطافة [من الرمل]:

قال لي أنت أخو الكلب وفي ظنّه أن قد هجاني واجتهد
أحمد الله تعالى أنه ما درى أنى أخو عبد الصمد

٧٢- وتذكر إن شئت على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين قول

ن. شواهد
الأطباء

البيت للسّمّوأل بن عاديّ اليهودي من قصيدة^(٢) من الطويل، أولها:

إذا المرء لم يدنس من اللّوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن النّاء سبيل
تُبّرنا أنا قليل عديداً قتلت لها إن الكرام قليل

(١) في الأصول «وما أبو المعتزل عبد الصمد» محرفاً عما أثبتناه، فأبو
المعتزل هو غيلان بن الحكم على مامر للدؤلف، وعبد الصمد بن المعتزل شاعر
مشهور يذكر أبوه من أجله، وقد كتب بهامش مطبوعة بولاق كلام
لا يقضى المعجب منه

(٢) أقرأها في الأمالى لابن على القالى (١ - ٢٦٩)

وما قَلَّ مَنْ كانت بقاءه مثلنا
 وإنا لقَوِّمٌ لا نرى القتل سُبَّةً
 يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا
 وتسكره أجالهم فَنَطْلُ
 وما ماتَ منّا سَيِّدٌ في فراشه
 ولا طُلَّ منّا حيثُ كانَ قَتِيلُ
 نَسِيلُ على حدِّ الطُّبَاتِ نفوسنا
 وليس على غير السيوف نَسِيلُ^(٣)
 إلى أن يقول فيها :

فَنَحْنُ كَمَا المُن مافي نَصالنا
 كَهَامٌ ولا فِينا يمدُّ بخيلُ
 وبعده البيت ، وبعده :

إذا سَيِّدٌ منّا خلا قامَ سَيِّدُ
 قَوْلُ لما قالَ الكرامُ قَوْلُ
 وما أُخِدتُ نارٌ لنا دُونَ طارق
 ولا ذِمْنَا في النَّازِلينَ نَزِيلُ
 وأيامنا مشهورةٌ في عدونا
 لها غَرَّ معروفةٌ وحُجُولُ
 وأسبافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
 بها من قِراعِ الدَّارعينَ فُولُ
 مُمَوَّدَةٌ أَنْ لا تُسَلَّ نِصالها
 فنغمدُ حتى يُسْتَباحَ قَتِيلُ^(٤)
 سلى إن جهلتِ الناسَ عَنَّا وعنهمُ
 فليسَ سواءَ عالمٌ وجهولُ
 ومعنى البيت : إنا نُغَيِّرُ ما نريدُ تغيِّره من قولِ غيرنا ، ولا يَجْزى أحدٌ على
 الاعتراضِ علينا اتِّقياداً لهوَّانا واقتداءً بمَحْزَننا . يصفِ رياستهم ، ونفاذَ حكمهم ،
 ورجوعِ الناسِ في المهماتِ إلى رأيهم .

(١) حفظي « شباب تسمى للعلام » وهو الموافق لما في الأمالى
 (٢) في الأمالى « ما نرى القتل » وبين هذا البيت والذي قبله في الأمالى
 ثلاثة أبيات

(٣) في الأمالى « وليست على غير السيوف » -

(٤) في الأمالى « يستباح قبيل » وهو الموافق لمقام الفخر

والشاهد فيه : وصفه بالأطاب بالنسبة إلى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون) ووصف الآيات الكريمة بالإيجاز بالنسبة إليه .

وفى قوله من القصيدة « وإنا لقوم لا نرى القتل سبة — البيت » نوع من
الاستطراد البديع يسمى الاستطراد^(١) ، وهو : أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو
من شواهد

إنما يريد غيره ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

كَانَ قِتَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِصْعَرٍ إِذَا اجْتَمَعُوا أَقْوَاهُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وقول جرير [من الكامل] :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسِيَّ وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
ويروى أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التي هما
فيها الراعي ، فلما بلغ إلى قوله

* بِهَا بَرَصٌ بِأَسْفَلِ أُسْكَنْتِهَا *

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنقه ، فقال جرير :

* كَمْ تَنْقَعُ الْفَرَزْدَقُ حِينَ شَابَا *

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ، والله لقد علمت حين بدأ
بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنني طمعت أن لا يأتي به ، فغطيت وجهي فما
أغنى ذلك شيئا ، ويقال : إن يونس كان يقول : ما أرى جريرا قال هذا المصراع
إلا حين غطى الفرزدق عنقه فانه نبه عليه بتغطيته إياه .

ومن الاستطراد قول أبي تمام في وصف فرس [من البسيط] :

فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيعًا وَالْحَصَا فَلَئِنْ تَحْتَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانٍ

(١) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ - ٣٧ بتحقيقنا) فأكثر ما ذكر
المؤلف هنا من شواهد هذا الفن مروية هناك ، ثم انظر خزانة ابن حجة
(٥٦) ونفحات الأزهار للنابلسي (١٥٠)

حَلَّتْ إِنْ لَمْ تَنْبُتْ أَنْ حَافِرُهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَصَانٍ
وقول بكر بن النطاح ^(١) في مالك بن طوق [من الطويل]:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ أَلْتِي لَتَرْضَى قَالَتْ فَمَ يَجْنِي بِكَوْكَبٍ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَشْتَبِي مِنْ لَحْمٍ عَنَقَاءُ مُغْرَبٍ ^(٢)
سَلَى كُلُّ أَمْرٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ وَلَا تَذْهَبِي يَادْرَبِي كُلُّ مَذْهَبٍ
فَانْقَسَمَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عَزِّ مَالِكٍ وَقَدَرْتِهِ أَهْيَا بِمَا رُمْتُ مَطْلَبِي
فَتَيَّ شَقِيَّتُ أَمْوَالِهِ بِمُفَاتِهِ كَمَا شَقِيْتُ قَيْسُ بَارِمَاحٍ تَغْلِبِ

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبى [من الخفيف]:

بَابِي مِنْ إِذَا أَرَادَ سِرَارِي عَبَّرْتُ لِي أَنْفَاسُهُ عَنْ عَبِيرٍ
وَسَائِنِي تَفَرُّ كُدْرَةٍ نَظِيمٍ نَحْنُهُ مَنْطِقُ كَسْرٍ تَثِيرٍ
وَلَهُ طَلْعَةٌ كَنْتَلِ الْأَمَانِي أَوْ كَشْفَرِ الْمُهَلْبِي الْوَزِيرِ

وقول أبي الطاهر الخزاعي ^(٣) [من الطويل]:

وَالْبَلِيلُ كَوْجِهِ الْبَرْقَمِيدِي ظِلْمَةً وَبَرْدِ أَغَانِيهِ وَطُولِ قُرُونِهِ ^(٤)

(١) في الأصل «أبي بكر النطاح» محرفاً

(٢) في العمدة «كمن يشتهي لحم عنقائه مغرب»

(٣) قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموي في خزانة الأدب (٥٦) إلى
أبي محمد بن مكرم، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلاً عن الباخريزي
في الدمية إلى الظاهر الحرصى، وقد بحثت في دمية الباخريزي من أوله إلى
آخره فلم أعرّ عليها، وظاهر أن أحد العلمين اللذين نسب الشعر إليهما هنا
وفي النفحات محرف عن الآخر

(٤) في الأصول «ورداً أغانيه» محرفاً من وجبين، وما أثبتناه موافق لما
في خزانة الأدب لابن حجة الحموي

قَطَعْتُ دَيَاجِيَهُ بَنُوهُ مُشَرَّدٌ كَمَقْلٍ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ وَدِينَهُ (١)
 عَلَى أَوَّلَتِي فِيهِ التَّفَاتُ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَبْطِهِ وَجَنُونِهِ (٢)
 إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْهُ الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهَ قِرْوَاشٍ وَضَوْهُ جَبِينِهِ

وقول إسحاق بن إبراهيم يهجو أحمد بن هشام [من الطويل]:

وصَافِيَةٌ يَفْشَى الْعُيُونُ صَفَاؤُهَا رَهْنَةً عَامٍ فِي الدُّنْيَانِ وَعَاطِمٍ
 أَذْرَتْنَاهَا الْكَأْسُ الرَّؤْيَةَ مَوْهِنًا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلُّ ظُلَامٍ
 فَإِذَا زُفْرُنُ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْنَا مِنْ الْعَمَى نَحْيَ أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ

وقول الحسين بن علي القمي (٣) [من الكامل]

جَازَزْتُ أَجْبَالًا كَأَنَّ صَخُورَهَا وَجَنَاتُ نَجْمِ ذِي الْحَيَاءِ الْبَارِدِ
 وَالشُّرُكُ يَعْمَلُ فِي ثِيَابِي مِثْلَ مَا عَمِلَ الْهَجَاءُ بَعْرُضِ عَبْدِ الْوَاحِدِ (٤)

وقول أبي الفرج البغفاء (٥) [من الطويل]:

لَنَا رَوْضَةٌ فِي الدَّارِ صَبِيغَ لَزْهَرِهَا فَلَا تُدْ مِنْ حَلِي النَّدَى وَشُؤْفُ (٦)
 يُطِيفُ بِنَا مِنْهَا إِذَا مَا تَنَفَسْتُ نَسِيمُ كَمَقْلٍ الْخَالِدِيُّ ضَعِيفُ

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم [من الخفيف]:

أَكْشَنِي وَجْهَكَ الَّذِي أَوْ حَلَّتْنِي فِيهِ مِنْ قَبْلِ كَشْفِهِ عَيْنَاكَ

(١) في الخزانة * قطعت فنوحي عن جفوني مشرد *

(٢) الذي في الخزانة * بذى أولق فيه اعوجاج.... * وهو خير ما هنا

(٣) رواها ابن حجة في الخزانة (٥٦)

(٤) في الخزانة * يفعل... فعل الهجاء *

(٥) نسبها ابن حجة (٥٧) إلى السري الرقاء

(٦) في الأصول « فلأند من حل الندى » وما أثبتناه موافق لما في الخزانة

غَلَطِي فِي هَوَاكِ يَشْبِه عُنْدِي غَلَطِي فِي أَبِي عَلِي بْنِ زَاكِي
وقول أبي بكر الخوارزمي [من الطويل] :

وصفراء كالذي نار بنت ثلاثة شمال وأنهار ودهر مجرم
مسة محزون وعذر مرديد وكثر مجوسى وفتنة مسلم
مات لأحيا حياة لميت وعذم لمن أترى نراه لمعيد
يدور بها ظبي تدور عيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكنم
ينزها من نغره ومدامه وخديه في شمس وبدن وأنجم
نهضت إليها والظلام كأنه معاش فقير أو فؤاد معلم
وقوله [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا دمي بحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكي قلبي فؤاد حسودك المحموما
ومنه قول ابن رشيقي وكتب به إلى بعض الرؤساء [من المقتضب] :

إني لقيت مشقة فابئت إلى بشقة
كنل وجهك حسنا ومبثل ديني رقة

فقال له الرئيس : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر على هذا الأسلوب في فقهين كانا بدمشق
يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس [من الكامل] :

البغل والجاموس في جدليهما قد أصبعا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فنباحنا هذا بقرنيه وذأ بالخافر
ما أنقنا غير الصياح كأنما لقا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر كالعقل في عبد الطيف الناظر

اثنيان مالهما وحكّ ثالثٌ إلّا رَقاعةً مذكّريه الشاعر
ومنه قول ابن جابر الأندلسي [من الطويل] :

تقولُ بهِ للجدِّ أشرفُ همةٍ فاباعهُ عن غايَةٍ بقصير
سما لا تقتناصُ المكروماتِ كاسماً بعمرو إلى الزبّاء سعى قصير
وقوله أيضاً [من الطويل] :

سراةٌ ركرامٌ من ذؤابةٍ هاشمٍ يقولون للأضيافِ أهلاً ومرحباً
ويُفعلُ في قعرِ القلْبَيْنِ جودهم كفعلٍ على يومٍ حاربَ مَرْحَباً

ترجمة السموأل

والسموأل (١) : هو ابن غريض (٢) بن عادياء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن
عبد بن سلام والسكري عن الطوسي وأبي حبيب ، وذكر أن الناس يدرجون
غريضاً في النسب وينسبونه إلى عادياء جده ، وقال عمرو بن شبة : هو السموأل
ابن عادياء ، ولم يذكر غريضاً ، وقد قيل : إن أمه كانت من غسان ، وكلهم قال :
إنه صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتيّماء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن
هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية ،
وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، قال السموأل [من المتقارب] :

فبالأبلى الفردِ يتيّ بهِ وبيت النصير سوى الأبلى

وكانت العرب تنزل به فيضيها ، وتمتار من حصنه ، ويقم هناك سواها .
وبه يضرب المثل في الوفاء لأنه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته في أذراع أودعها
وكان السبب في ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما سار إلى الشام يريد
قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الأبلى بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم

(١) له ترجمة في الأغاني (١٩ - ٩٨)

(٢) في الأصول «عريض» بالعين مهملّة في كل المواضع، وما أثبتناه موافق
لما في الأغاني.

بنو أسد وكراهة من معه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقي وحده واحتاج إلى الحرب، وطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه إلى طلبه جيوشاً، وخذله حمير وتفرقت عنه، فلجأ إلى السموأل بن عادياء، وكان معه خمسة أذراع: الفضاضة، والضافية، والمحضنة، والحريق^(١)، وأم الذبول. وكانت لبني آكل المزار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه ابنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال وكان بقي بما^(٢) كان معه رجل من بني فزارة يقال له الربيع، وهو الذي قال فيه امرؤ القيس [من الطويل]:

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دُونَهُ وأيقنَ أننا لا حِقانَ بقيصرًا
فقلتُ له لا تَبكِ عَيْنُكَ إِيَّامًا نحاولُ ملكًا أو نموتَ فنعدراً

فقال له الفزاري: قل في السموأل شعراً تمدحه به فان الشعر يعجبه، فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها [من الكامل]:

طَرَقَتْكَ هَندُ بعدَ طَوَّلٍ تَجَنَّبُ وَهَنًا ولم تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

فقال له الفزاري: إن السموأل يمنع منها^(٣) وهو في حصن حصين ومال كثير، فبقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشده الشعر، فعرف لها حقهما، وضرب على هند قبة من آدم، وأنزل القوم في مجلس له، فأقاموا عنده ماشاء الله ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني

(١) في الأصول «الحريق» بالحاء مهذلة، وأثبتنا ما في الأغاني
(٢) من حق التعبير أن يقول «من كان معه» ولكنه أخذ عبارة الأغاني وأسقط منها كلمات فجاءت العبارة كما ترى، وأصل العبارة في الأغاني «وسلاح ومال كان بقي معه، ورجل من بني فزارة - إلخ»
(٣) في الأصول «يمنع منك» وما أثبتناه عن الأغاني، وفيه زيادة «حتى يرى ذات عينيك» والمعنى أنه يحميها إلى أن تعود بنفسك

أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب رجلاً يده على الطريق ، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه مع ابنته هند .

قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلىق ، ويقال : بل كان المنذر وجهه في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يقع وخرج إلى قنص له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم هذا ابني ، فقال : أقتل ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارث وسط الفلام قتلته وقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ، فقال السموأل في ذلك [من الوافر] :

وفيت بأذرع الكندي إني إذا ما ذم أقوامٌ وفيت
وأوصى عادياً يوماً بأن لا تُهدمَ يا سموأل ما بنيت
بني لي عادياً حصناً حصيناً وبترأً كلما شئتُ استقيتُ

وفي ذلك يقول الأعشى — وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كلبي قد هجاه ، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه ، فترل بابن السموأل فأحسن ضيافته ، ومر بالأسرى فناده الأعشى من جملة أبيات [من البسيط] :

كن كالسموأل إذ طاف المهامُ به في عسكر كسوادِ الليل جرأ
إذ سامه خطتي خفف فقال له قل ما تشاء فإني سامعٌ حارث^(١)
فقال غدرٌ ومُكلٌ أنتَ بينهما فاخترْ ، وما فيهما حظٌ لختار
فشكٌ غيرَ طويلٍ ثم قال له اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري

(١) في الأصول « فإني سامع جاري » محرفاً ، وما ثبتناه موافق لما في الأغاني ، وحار : مرخم حارث

وسوف يُعْقِبْنِي إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ رَبُّ كَرِيمٌ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْفَارٍ
 لَا سِرْهَنَ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ أَبَدًا وحافظات إذا استودعن أسرارى^(١)
 فاختار أذراعهُ كيلا يُسَبَّ بها ولم يكن وعده فيها بختار
 فجاء شريح إلى السكبي فقال له : هب لي هذا الأسير المضروز ، فقال :
 هولاك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأجيزك ، فقال له الأعشى :
 إن تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نجيّة ، فأعطاه ناقة نأجية ، فركبها ومضى من
 ساعته ، وبلغ السكبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح :
 ابث إلى الأسير الذي وهبته لك حتى أحبه وأعطيه ، فقال : قد مضى ، فأرسل
 السكبي وراءه فلم يلحقه

وشمية بن غريص^(٢) أخو السموأل شاعر أيضا ، ومن شعره [من السريع] :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
 لَا نَجْمِلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ^(٣)
 نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتَنَمَلَ الذَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

عن الغني قال : كان معاوية رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل إذا اجتمع الناس

في مجلسه بهذا الشعر

وعن يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء
 بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الأبيات ، ثم يجتهد في الحق
 بين الخصمين .

(١) في الأصول « لاثنرهن لدنيا » محرفا من عدة وجوه وما أثبتناه
 موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأصول « وسعيد بن غريص » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في معجم
 الشعراء للمرزباني ، ووقع في الأغاني « سعية بن غريص » بالسين المهملة ،
 وهو تحريف أيضا .

(٣) في الأصول « نلط » بالطاء مهملة

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — طبع الجزء الأول من كتاب
« معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحاً بشواهد الفن الثاني ،
وهو علم البيان ، نسأل الذي يبيته مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، ويُيسّر
سبيل اختتامه ، آمين ؟

١ - فهرست بالموضوعات البلاغية

التي وردت الشواهد لإيضاحها

أولاً - في الجزء الأول

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	تقديم محقق الكتاب	١٠٠	شاهد تنبيه المخاطب على خطأ وقع في ظنه
٢	خطبة مؤلف معاهد التنصيص	١٠٣	شاهد الإيماء إلى وجه انبناء الخبر
٣	وصف الكتاب	١٠٧	شاهد تعريف المسند إليه بالإشارة
	موضوعات شواهد المقدمة	١١٩	شاهد الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة
٨	شاهد التناثر في حروف الكلمة		للتعريض بعبارة السامع
١٤	شاهد الغرابة	١٢٠	شاهد الإتيان بالمسند إليه معرفة
١٨	شاهد مخالفة القياس اللغوي		بالإضافة لقصد إحضاره في ذهن السامع من أقرب طريق
٢٦	شاهد الكراهة في السمع	١٢٧	شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم وللتحقير
٣٤	شاهد تناثر الكلمات	١٣٥	شاهد تقديم المسند إليه لم تكن الخبر في ذهن السامع
٣٥	شاهد آخر لتناثر الكلمات	١٤٥	شاهد على أن لفظ «كل» إذا تأخر عن أداة النفي كان المقصود بالنفي الشمول
٤٣	شاهد التقيد اللفظي		إذا تقدم لفظ «كل» على النفي دل الكلام على أن النفي يعم كل فرد مما أضيف إليه كل
٥١	شاهد التقيد المعنوي	١٤٧	شاهد وضع المظهر الذي هو اسم إشارة موضع المضمحل تام العناية
٥٩	شاهد تابع الإضافات	١٥٩	من شواهد وضع اسم الإشارة موضع المضمحل
	موضوعات شواهد علم المعاني		
٧٢	شاهد تنزيل غير المنكر منزلة المنكر		
٧٣	شاهد الحقيقة في الإسناد بالنظر للمتكلم		
٧٨	شاهد ظهور حقيقة المجاز في الإسناد بعد نظر وتأمل		
	موضوعات شواهد المسند إليه		
١٠٠	شاهد حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث		

فهرست الموضوعات البلاغية

الموضوع	ص	الموضوع	ص
موضوعات شواهد القصر		١٧٠ من شواهد وضع المظهر غير الإشارة	
٢٦٠ شاهد صحة انفصال الضمير مع إنما		موضع المضمير للاستعطف	
موضوعات شواهد الانشاء		١٧٠ من شواهد الالتفات	
٢٦٤ شاعر استعمال صيغة الأمر في التثنية		١٧٣ ومن شواهد الالتفات أيضا	
موضوعات شواهد « الفصل والوصل »		١٧٩ من شواهد القلب	
٢٧٠ شاهد على أنه إذا لم يكن بين الجملتين		موضوعات شواهد المسند	
المتعاطفتين جهة خاصة تربط بينهما		١٨٦ شاهد ترك المسند	
كان الكلام غثا		١٨٩ ومن شواهد ترك المسند	
٢٧١ شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين		١٩٤ من شواهد حذف المسند	
خبرا وإنشاء		٢٠٢ من شواهد حذف المسند لوقوع	
٢٧٨ شاهد كمال الاتصال بين الجملتين		الكلام بعد استفهام مقدر	
٢٧٩ شاهد عطف البيان في المفردات		٢٠٤ شاهد مجيء المسند فعلا ليفيد التجدد	
٢٧٩ شاهد وقوع الجملة الثانية مستأنفة		٢٠٧ شاهد مجيء المسند اسماليا ليفيد الحدوث	
لكونها جوابا عن سؤال تضمنته		٢٠٨ شاهد تقديم المسند للتثنية من أول	
الجملة الأولى		وهلة على أنه خبر	
٢٨١ شاهد أن الاستئناف قد يقع جوابا		٢١٤ شاهد تقديم المسند ليدل على التشويق	
لسؤال عن غير سبب		موضوعات شواهد أحوال متعلقات	
٢٨٢ شاهد حذف الاستئناف وقيام شيء		الفعل	
بمقامه		٢٣٢ شاهد تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم	
٢٨٤ شاهد الجامع الوهمي بين المتعاطفتين		٢٤٦ شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لكون	
٢٨٥ شاهد دخول الواو على جملة الحال		تعلق فعل المشيئة به غريبا	
الفعلية التي فعلها مضارع مثبت		٢٥٤ شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لعدم	
٢٨٧ شاهد مجيء جملة الحال بغير واو		القرينة التي تدل عليه إذا حذف	
٣٠٤ من شواهد مجيء جملة الحال بغير واو		٢٥٥ شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير	
٣٠٥ ومن شواهد مجيء جملة الحال بغير واو		المراد	
		٢٥٦ شاهد حذف المفعول لأنه يقصد إلى	
		ذكره في جملة ثانوية لإظهار كمال العناية	

فهرست الموضوعات البلاغية

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٥٥	شاهد الإيغال لتحقيق التشبيه		موضوعات شواهد
٣٥٨	شاهد التذيل		الإيجاز والإطناب والمساواة
٣٦٢	شاهد التكيل (الاحتباس)	٣٠٨	شاهد إخلال اللفظ بالمعنى المراد
٣٦٩	شاهد الاعتراض	٣١٠	شاهد التطويل
٣٧٧	من شواهد الاعتراض أيضا	٣٢٣	شاهد الحشو الزائد المفسد
٣٧٧	شاهد الإيجاز في كلام بالنظر إلى كلام	٣٢٥	شاهد الحشو غير المفسد
	آخر يؤدي نفس المعنى	٣٣٠	شاهد مساواة اللفظ للمعنى
٣٧٩	شاهد الإطناب	٣٣٩	شاهد إيجاز الحذف
٣٨٢	من شواهد الإطناب أيضا	٣٤٦	شاهد الإيغال لزيادة المبالغة